

ذكريات من الاتحاد السوفييتي

# زيارات للمسلمين

في بلاد الروس والباشقيرو

(بعلم)

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

م ١٤٢٠ - هـ ٢٠٠٠

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م

(ح) محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر  
زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي : بلاد الروس  
والباشقرد - الرياض .

٢٦ ص ١٧ × ٢٤ سم  
ردمك : ٣ - ٢٤٩ - ٣٦ - ٩٩٦٠

١- المسلمين في الاتحاد السوفيتي  
٢- انشار الإسلام - الاتحاد السوفيتي  
أ- العنوان

٢٠/١٩٨٢ ديوبي ٩١٤٧

رقم الإيداع ٢٠/١٩٨٢

ردمك : ٣ - ٢٤٩ - ٣٦ - ٩٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## **كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف**

- (١) - في إفريقيا الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام وال المسلمين - بيروت دار الثقافة ١٢٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- (٢) - رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- (٣) - مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- (٤) - جولة في جزائر البحر الرنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطبع الأهلي للأوقاف ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- (٥) - رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- (٦) - صلة الحديث عن إفريقيا مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (٧) - مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقيا وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي التصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (٨) - إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (٩) - زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع في الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- (١٠) - شهر في غرب إفريقيا مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- (١١) - في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطبع الفرزدق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- (١٢) - رحلات في أمريكا الوسطى - المطبع الأهلية للأوفست في الرياض  
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (١٣) - إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض  
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (١٤) - على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره  
النادي الأدبي في أبيها ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- (١٥) - على قمم جبال الأنديز - الرياض مطبع الفرزدق التجارية  
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- (١٦) - في غرب البرازيل - الرياض - مطبع الفرزدق التجارية  
١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- (١٧) - في بلاد المسلمين المنسيين: بخاري وما وراء النهر - طبع في مطبع  
الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- (١٨) - بقية الحديث عن إفريقيا - مطبع الفرزدق التجارية في الرياض عام  
١٤١٢هـ .
- (١٩) - جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطبع الرياض الأهلية للأوفست  
عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٢٠) - جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطبع الفرزدق في الرياض عام  
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- (٢١) - داخلي أسوار الصين (مجلدان) - مطبع الفرزدق التجارية - الرياض  
عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- (٢٢) - بلاد الداغستان - طبع مطبع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

- (٢٣) - المرحلة الروسية - مطبع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.
- (٢٤) - مع المسلمين البولنديين - مطبع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٢هـ.
- (٢٥) - جمهورية أذربيجان - طبع مطبع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٦) - في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.
- (٢٧) - بين الأرغواي والبارغواي - مطبع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٨) - بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.
- (٢٩) - مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٣٠) - ذكريات من يوغسلافيا - مطبع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.
- (٣١) - كنت في بلغاريا - مطبع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٣٢) - في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.
- (٣٣) - كنت فيألانيا - مطبع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.
- (٣٤) - ذكرياتي في إفريقيا - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- (٣٥) - أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.
- (٣٦) - على أرض القهوة البرازيلية - مطبع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) - نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) - بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) - من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) - سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) - يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) - نظرة في وسط إفريقيا - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) - بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) - قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) - حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) - المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) - في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) - رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) - إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

- (٥٠) - أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
- (٥١) - في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.
- (٥٢) - إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
- (٥٣) - حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٥٤) - زيارة رسمية لไตاوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٥٥) - سطور من المنظور والمأثر عن بلاد التكرور - مطبعة النرجس، الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٥٦) - راجستان: بلاد الملوك: من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- (٥٧) - في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطبع التقنية للألوفت في الرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٥٨) - العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطبع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.
- (٥٩) - في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية - طبع في مطبع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.
- (٦٠) - هندوراس ونيكاراغوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في

- جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.
- (٦١) - من بلاد القرشاي إلى بلاد القبردai، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوقاف في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.
- (٦٢) - بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٦٣) - بلاد الشركس: الإديفي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٦٤) - مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٦٥) - تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٦٦) - نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة.
- (٦٧) - ذكريات من الاتحاد السوفييتي: زيارات للمسلمين في بلاد الروس والباشقرد. وهو هذا الكتاب.

## **مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات**

- (٦٨) - معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة وطبعته بالطابع الأهلية للأوقاف بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.
- (٦٩) - أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.
- (٧٠) - الأمثال العامية في نجد، مجلد واحد، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٣٧٩هـ.
- (٧١) - الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.
- (٧٢) - كتاب الشلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (٧٣) - نفحات من السكينة القرانية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.
- (٧٤) - مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (٧٥) - سوانح أدبية - طبع مطباع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.
- (٧٦) - صور ثقيلة - مطباع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.
- (٧٧) - العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

- (٧٨) - نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطبع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٧٩) - المقامات الصحراوية - مطبع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٨٠) - مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطبع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.
- (٨١) - كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدياء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.
- (٨٢) - المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعتها في مطابعها في مكة المكرمة.
- (٨٣) - مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).
- (٨٤) - رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعتها في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه مذكرات يومية دونتها عندما كنت في رحلة في أنحاء من الاتحاد السوفييتي -السابق- على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وكنا تلقينا دعوة من رئاسة العلاقات الخارجية للإدارات الدينية الأربع لمسلمي الاتحاد السوفييتي لزيارة وفد من رابطة العالم الإسلامي إلى الاتحاد السوفييتي، والاجتماع بالمسؤولين في الإدارات الدينية هناك.

وقد رغبت الإدارات الدينية لMuslimi الاتحاد السوفييتي وهي توجه الدعوة أن يكون وفد الرابطة برئاسة الأمين العام للرابطة، أو الأمين العام المساعد، وحددت مدة الزيارة بأسبوعين اثنين، وعدد أعضاء الوفد بحوالي عشرة.

وقد ذكرتُ أسباباً عديدة لطلب هذه الزيارة، ومن أهمها أن المسلمين هناك يتطلعون إلى زيارة وفد من المملكة العربية السعودية التي فيها الحرمان الشريفان، ولتكون المملكة العربية السعودية تكاد تكون الدولة الإسلامية الوحيدة التي لم يقدم منها وفد إسلامي إلى الاتحاد السوفييتي.

وذكرت أن الغرض من الدعوة هو غرض إسلامي خالص، فالإخوة المسلمين في الاتحاد السوفييتي لا يطلبون مساعدات مالية كالتى يطلبها بقية الإخوة المسلمين في أنحاء العالم، لأنهم يتبرعون بأنفسهم للمشروعات الإسلامية ولتسخير أمورهم الإسلامية.

وإنما يطلبون تجديد الصلات وتعزيز الأخوة الإسلامية معهم.

إن زيارة وفد من رابطة العالم الإسلامي لسلمي الاتحاد السوفييتي يكون على رأسه الأمين العام للرابطة، أو الأمين العام المساعد سيكون بحسب ذاته حداً هاماً يتمناه المسلمون هناك، وربما لا ينسوه لأماد طويلة.

ولم يذكروا في الإدارات الدينية كل ما ينبغي أن يذكروه لتعليل عدم طلب المسلمين للمساعدات المالية، لأنهم في الاتحاد السوفييتي قد رأوا الناس وعودوهم على ألا يقولوا كل ما يريدون قوله، بل على ألا يقولوا كل ما يقوله غيرهم في العادة من المسلمين في الشعوب الأخرى.

ومن ذلك أنهم لم يقولوا: إن حكومة الاتحاد السوفييتي تمنع وصول المساعدات المالية للمسلمين من البلدان الخارجية، كما أن أوجه الإنفاق على الشؤون الإسلامية هناك محدودة جداً، فالمسلمون ليست لديهم الحرية في بناء المساجد التي يريدونها سواء من حيث العدد أو الأماكنة، وإنما قد تسمح لهم السلطات ببناء بعض المساجد، أو إعادة تعمير عدد معين محدود من المساجد التي سبق أن صادرتها السلطات الشيوعية، وفق مخطط لديهم يقتضي عدم انتشار المساجد وتعددها إلا للضرورة في بلدان ذات أغليان مسلمة معينة، وإذا سمحت السلطات الحكومية بإقامة مثل تلك المساجد، أو إعادة تعمير مسجد من المساجد القديمة فإن المسلمين من داخل البلاد يسارعون بالتبرع لبناء المسجد مدفوعين بالحرمان الشديد الذي صادفوه؛ بل ران عليهم عشرات من السنين كانوا ممنوعين خلالها من عمارة المساجد سواء بتشييدها أو من عمارتها بالعبادة.

وذلك رغم كون دخولهم محدودة، بل إن دخل الفرد في البلدان الشيوعية لا مجال لتحسينه أو رفعه إلى درجة أن يكون فيها الفرد قادراً على القيام بمشروعات مهمة حتى في الأمانى.

إن الإخوة المسلمين كثري في الاتحاد السوفييتي، وهم يزدادون أكثر مما يزداد غيرهم من غير المسلمين، فيتبرعون من دخولهم المحدودة بما

يستطيعونه، والقليل من الكثير كثير.

وقد شملت زيارتنا أول ما شملت مركز الثقل لل المسلمين في بلاد بخاري وما وراء النهر التي تمثلها في الوقت الحاضر جمهورية أوزبكستان، فزرتنا فيها عدداً من المدن، وكتبت عنها كتاباً مستقلاً عنوانه: «في بلاد المسلمين النسيين: بخارى وما وراء النهر»، ثم جمهورية أذربيجان ولها كتاب بهذا العنوان، وبعدها زرنا (بلاد الداغستان) الواقعة في جبال قبج أو قفق كما كان أسلافنا العرب يسمونها، واسمها الآن عند كتابنا المقلدين: جبال القوقاز أو القفقاس، وألفت في ذلك كتاباً مستقلاً عنوان: ((بلاد الداغستان))، وكل هذه الكتب مطبوع منشور، والحمد لله.

ويقى هذا القسم من الرحلة المشتمل على الحديث عن زيارة جمهورية (باشقورذستان) التي اشتهرت عند الناس بيشكيريا، أو جمهورية البشكير، وهي جمهورية متمنعة بالحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية، وكذلك عن بلاد الروس نفسها التي زرنا هنا المدينتين الرئيستين فيها: (لينين قراد) التي كانت تسمى قبل حكم الشيوعيين (بطرس بورج)، أي مدينة بطرس لأن (بورج) معناها: مدينة بالألمانية، مثلاً أن (قراد) معناها مدينة باللغة الروسية، وكانت (لينين قراد) عاصمة لروسيا أيام حكم القياصرة، ومن بعد ذلك زرنا العاصمة: موسكو.

ولقد قيدت في مذكراتي اليومية التي تراها هنا ما شاهدته أو سمعته أو لاحظته مما يتعلق بأحوال المسلمين بخاصة، وبأحوال الناس بصفة عامة.

ومع ذلك فإنني لا أستطيع القول بأن ما فيها هو صورة كاملة لذلك كله، لأن الزيارة كانت زيارة رسمية تسير على برنامج معين، ومحاطة بطائفة من المرافقين والأعوان الذين أظهروا مرافقتهم لنا بكونهم معنيين مهتمين، وإن كان المقصود منها أن يكونوا محيطين موجهين للزيارة ولأنظار الزوار إن أمكنهم ذلك.

فكان معنا ونحن ستة نحو أحد عشر مرافقاً في الرحلة كلها، منهم خمسة من المرافقين الذين أسموهم إعلاميين من صحفيين ومصورين، وبعضهم يعرف العربية ويكلمنا بها، وبعضهم لا ندرى عما إذا كان يعرف منها شيئاً، وهؤلاء كلهم من غير المسلمين، بل إنهم من الروس المختارين لهذه المهنة.

إلى جانب عدد من الإخوة المسلمين العاملين في الإدارات الدينية، وبعضهم لا ندرى عن الغرض من وجوده معنا، فليسوا كلهم من الذين يظهر عليهم الإخلاص للدولة الروسية الشيوعية إذا اعتبرنا كونهم لا يتكلمون معنا ابتداءً عما قد يعتبر في داخل الاتحاد السوفياتي من محاسن هذه الدولة.

وبعضهم ساكت لا نعرف وجهة نظره ولا ما يخفى؛ بل إننا لا ندرى بالضبط ما هو الغرض من مرافقتنا، إلا ما قيل لنا من كون ذلك من أجل خدمتنا.

فلم يكن بإمكاننا أن نرى كل ما نريد أن نراه، أو نستمع إلى من يرغب في أن نستمع إليه.

ومع ذلك فإننا نعترف بأن إخواننا المسلمين في الإدارات الدينية قد اجتهدوا في أن يجعلوا زيارتنا هذه زيارة مفيدة لنا ولهم، وأن رجال الإدارة في الاتحاد السوفياتي قد حرصوا على أن يظهروها أيضاً بالزيارة المعتبرة المتميزة، وإن كانوا من خلال ذلك قد حاولوا أن يستفيدوا منها دعاية لذويهم، أو تبريراً لسياسة حكومتهم، وذلك أمر مفهوم السبب.

والمعروف بل المعترف به في السياسة الدولية أن العلاقات ما بين الدول وعلاقة الرابطة ب المسلمين في الاتحاد السوفياتي هي في ظاهرها علاقة بين هيئات غير حكومية مبنية على أن يحاول كل طرف من الأطراف أن يستفيد من تلك العلاقة بقدر ما يمكنه في نطاق الأعراف المتعلقة بالضيافة، وفي حدود اللياقة

ولذلك حاولنا أن نستفيد، ونحن نمثل رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، من هذه الزيارة إلى أبعد حدود الاستفادة الممكنة عن طريق توطيد العلاقات ما بيننا وبين المسؤولين في الإدارات الدينية هناك، وعن طريق إفهام الإخوة المسلمين من العامة الذين نجتمع بهم في المساجد، أو في أماكن أخرى بأنهم جزء من العالم الإسلامي الكبير، وبأنهم أحضاد قوم كان لهم شرف النهوض بالإسلام في هذه المناطق في قديم الزمان حتى نهضوا بالإسلام، ونهضت الدعوة إلى الإسلام بهم، فكان من ذلك ما سجله لهم التاريخ من تقدم ورقي ومن مكانة عالمية كانت مرموقة في الوقت الذي كان فيه الأوربيون يعتبرون من المتأخرین.

وحركتنا مشاعرهم في العودة إلى هذا النبع الأصيل من منابع حياتهم الذي حاولت الشيوعية الملحدة، وقبلاها القيصرية المتعصبة أن تغلق ما بينهم وبينه بالتجحيل والتضليل وبالكتمان والنسيان.

ثم إنني كنت أنتهز كل مناسبة، فأذكرهم بواجبهم تجاه ناشئتهم من أولاد المسلمين أن يعتنوا بتنشئتهم على الإسلام، ولو عن طريق التلقين في البيوت، والتعليم الحر في المساجد، لأن التربية الدينية محرمة كلياً في الاتحاد السوفييتي خارج المساجد التي حرم فيها أيضاً التعليم الديني فيما عدا الموعظ والكلام الذي لا يعد بمثابة تدريس منتظم.

أما الإخوة أعضاء الوفد فهم:

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل باز.

الدكتور سعيد أحمد باديب.

الشيخ سالم بن عبد الله السالم.

الشيخ عبد الرحمن بن رشيد بن عوين.

الأستاذ رحمة الله بن عنایة الله (سکرتیرا).

وقصدنا من كتابة هذا الكتاب هو ما قصدناه من كتب أخرى عن الإخوة المسلمين في الاتحاد السوفييتي هو إطلاع المسلمين في العالم على أحوالهم، واشراكهم فيما شاهدناه من أمرهم، إلى جانب ما تحويه مثل هذه الكتب مما يتكلم فيه الرحالة، فيدخل في أدب الرحلات، والاطلاع على الشؤون العامة في البلاد.

وقد استقبلت الكتب الأخرى التي طبعت بمثل هذه الطريقة استقبالاً كريماً من القراء الكرام، ولم يقتصروا على ذلك، بل طلبوا منها المزيد، كما طالبوا بالإسراع بطبع ما لم يطبع، فجزاهم الله خيراً على حسن ظنهم، وكريم تقديرهم. والله المستعان، وعليه التكلال.

## المؤلف

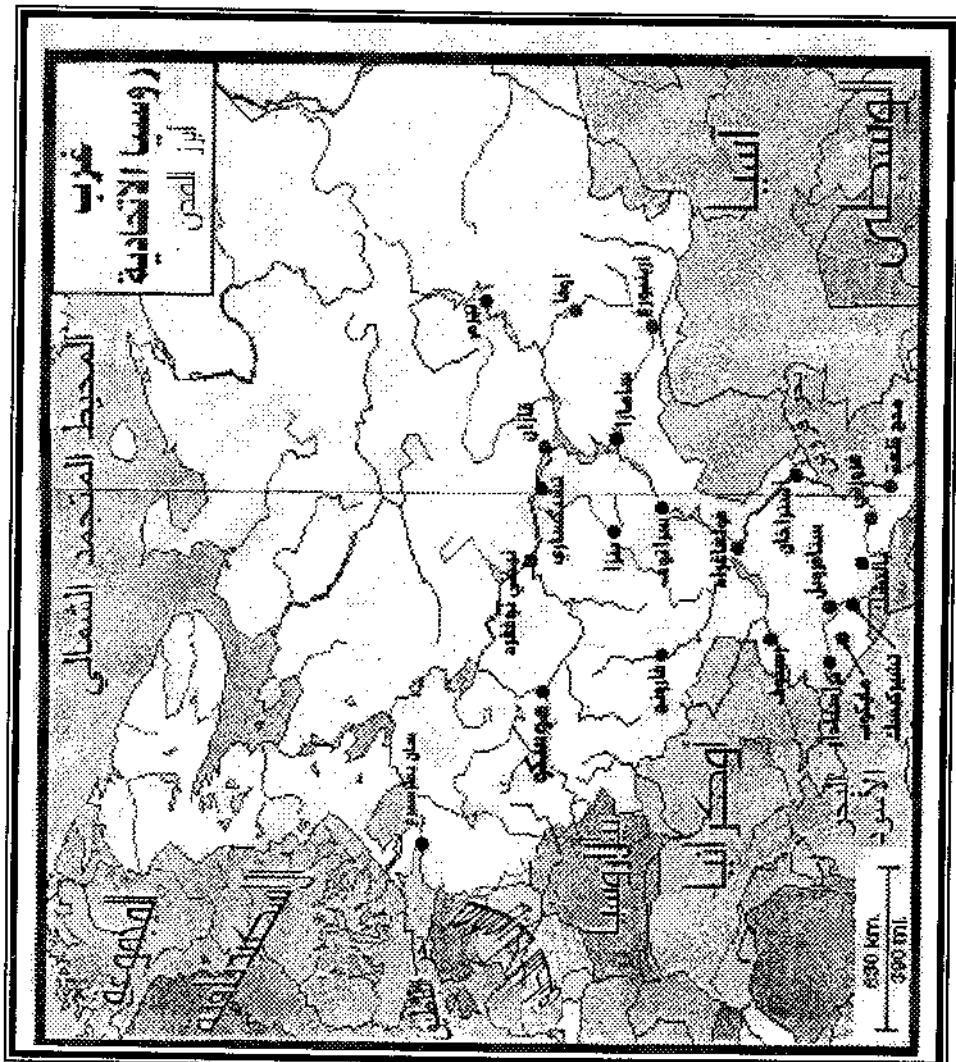
محمد بن ناصر العبد

كتب هذا الكتاب مع ما فيه من الملاحظات أثناء زيارة الوفد للاتحاد السوفييتي التي تمت في أول عهد الرئيس جوربا تشوف، ولكن كان ذلك قبل أن يعلن سياسة البروستريكا. وما ترتب عليها من افتتاح نسبي أعقبه افتتاح عظيم كان فتحاً لسكان الاتحاد السوفييتي، ومنهم الإخوة المسلمين.

ثم توالى الأحداث الجسام في الاتحاد السوفييتي حتى انسرط عقد ذلك الاتحاد، وخرجت منه الجمهوريات الاتحادية التي كان يتألف منها ومنها الجمهوريات الإسلامية في آسيا.

ونال المسلمين المقيمين في جمهورية روسيا الاتحادية التي لا تزال تضم بلداناً إسلامية عريقة نصيب عظيم من الحرية في أمور دينهم، فأقبلوا على تعويض ما فاتهم من بناء المساجد وفتح المدارس، والرجوع إلى تراثهم الإسلامي الخالد.

وقد أبقيت ما كتبت في هذا الكتاب على حاله؛ لأنه صار جزءاً من التاريخ، والتاريخ لا ينبغي تغييره، وهو يدل على مرحلة صعبة من المراحل التي مرت بال المسلمين في جمهورية روسيا وما ألحق بها. إضافة إلى المشاهدات العامة عن أحوال البلاد التي تغيرت الآن إلى وضع آخر، نرجو أن يعقبه وضع لهم يكون أحسن من ذلك.



جمهوریه روسیا

## مقدمة

### مسلمو الاتحاد السوفييتي في عهد القياصرة والشيوعيين :

بعد أن فشل الصليبيون في حروبهم، ومنيت حملاتهم بالهزيمة في الشرق العربي، وتقدم الأتراك العثمانيون إلى أوروبا بعد فتح القسطنطينية معقل الإمبراطورية الرومانية ومركز المسيحية الأرثوذكسية في عام ١٤٥٣ م التجأ زعماء الصليبيين إلى إمارة موسكو التي اعتنق أميرها فلاديمير المسيحية الأرثوذكسية عام ٩٨٨ م، وأجبر كافة الروس على اعتناق المسيحية، وأراد الصليبيون تعويض هزائمهم المتكررة، واستعادة ملكهم الرائل بقيام إمبراطورية جديدة في إمارة موسكو بدلاً من الإمبراطورية الرومانية.

وأصبح أمير موسكو قيصراً ومدافعاً عن الكنسية الأرثوذكسية،.. وتجددت الحروب الصليبية في الشرق، ولكن ضد المسلمين التatars، واستولى الروس على بلادهم، وفرض القيسار الروسي إيفان الرابع اعتناق المسيحية على المسلمين، وهدم مساجدهم، وقتل الكثير منهم، حتى لقب بالرهيب أو المرعب، ثم استمر خلفاؤه من بعده في اضطهاد المسلمين، وحملهم على قبول المسيحية ديناً بحجة تحويلهم إلى سلاف وروس.

وفي عهد القيصرة حنة (١٧٣٨ - ١٧٥٥) أقفلت جميع المساجد في بلاد التatars، وفي حوض الفولغا الأوسط، وألغيت الصيغة الدينية من الأوقاف المخصصة للتعليم والإحسان، ونقلت ملكيتها إلى الدولة، وطرد المسلمين من قراهم، وفرضت الضرائب الباهظة عليهم، وصدر أمر يقضي بالموت على كل من يمارس دعوة إسلامية، وأعلن عن إغفاء التatars الذين يقبلون النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية الإلزامية.

ولكن في سنة ١٩٠٥ م عندما صدر مرسوم قيصري بالحرية الدينية ل الإسلامي روسيا القيصرية، أعلن جميع المسلمين المنصررين بالضغط الشديد

والإكراه عودتهم إلى الإسلام وتمسكهم به، واتضح في هذه الفترة أن تصدير المسلمين لم يكن إلا ظاهراً، وأن النشاط الإسلامي لم يختب بالاضطهاد، وإنما عمل المسلمون على نشر دينهم الإسلامي خفية بين القبائل الوثنية والمسيحية أيضاً، وبينما كان الروس يظنون بأن أمر الإسلام قد انتهى، ظهر أن الإسلام قد انتشر بين قبائل جديدة مثل الفوتياك والشيريمس، وأن عدداً بلغ من الكثرة ٥٣ ألف شخص أسلم بين سنتي ١٩٠٦ - ١٩١٠ م رغم القوانين التي تحرم التحول إلى أي دين من الأديان عدا مذهب الكنيسة الأرثوذكسية.

ويقول الكاتبان الفرنسيان ألكسندر بنيفسن وشانتال:

كانت روسيا قد سيطرت على الأتراك والقفقاسيين خلال أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن، من ١٥٥٢ حتى ١٩١٧ م، وفي هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية والقفقاسية معنة قاسية، وعانت صراعاً مريضاً ومستمراً للحفاظ على تراثها الروحي والبقاء كشعوب متميزة، ولقد نجحت في كفاحها نجاحاً كاملاً إذ خرج الفاتح مهزوماً من المواجهة، فيما اندمج الإسلام المضطهد بعنف اندماجاً تاماً بثقافة هذه الشعوب وتقاليدها، وأصبح النواة الأكثر عمقاً لهويتها القومية. فالشعوب المسلمة في روسيا ظلت قبل كل شيء ورغم تغير الأحوال السياسية والعسكرية منتمية إلى دار الإسلام.

بعد انتهاء فترة استرداد الأنفاس لل المسلمين والنشاط الإسلامي فيما بين ١٩٠٥ - ١٩٢٤ م عاد الاضطهاد الديني والقسوة الوحشية في استئصال الإسلام ومحاربة المسلمين من جديد على يد الشيوعيين الروس. وشنّت السلطات الشيوعية حملات واسعة ضد الإسلام انطلاقاً من مبدأهم الضال: (الدين أفيون الشعوب)، واصطبغت المعركة الماركسية الموجهة ضد المسلمين بفرض الإلحاد عليهم، ومطالبتهم بالتفكير لربهم وخالفهم بكل عنف وقسوة.

وفي عام ١٩٢٤ م بدأ العمل الفعلي في حرب الشيوعيين ضد الإسلام

بإلغاء المحاكم الشرعية والأحكام الشخصية الإسلامية، ثم أغلقت الحكومة السوفياتية ٢٦ ألف مدرسة و ٣١ ألف مسجد وجامع مسلمي الاتحاد السوفيaticي.

في عام ١٩٢٨م وفي عام ١٩٣٠ صادرت بقية الأوقاف الإسلامية التي كانت تؤمن باستمرار بعض النشاط الإسلامي والاجتماعي للمسلمين.

وأخيراً بدأت في عام ١٩٣٢ حركة شاملة للتخلص من علماء الإسلام ورجال الدين الذين قدر عددهم بحوالي ٤٥ ألفاً بتهمة الطفيليّة والرجعية، واجتهد الملحدون والشيوعيون في نشر الدعايات الإلحادية وال تعاليم الماركسية بين المسلمين، ومراقبة تصرفاتهم وسلوكهم، ومنعهم من أداء الشعائر الدينية، والعقاب بالقتل والسجن لكل من يؤدي صلاة، أو يقرأ القرآن الكريم وغير ذلك. واستمر اضطهاد الدين الإسلامي بلا هوادة حتى شوب الحرب العالمية الثانية.

إنشاء الحرب العالمية الثانية حاول جوزيف ستالين استعمال القوى الداخلية في حربه مع ألمانيا النازية، فخفت الحملات الم使人ة ضد المسلمين، واتجهت الحكومة السوفياتية إلى احتواء المسلمين ومارستهم الدينية في الإدارات الدينية التي أحدثتها الإدارة ما كان ولا يزال متبقياً من المؤسسات الإسلامية. وحدث في نفس الوقت إنشاء دار فتيا للإسلام في الاتحاد السوفيتي، ودعا إلى مؤتمر إسلامي في أوفا تحت رئاسة الفتى عبد الرحمن رسولوف، وقام هذا الفتى في نفس العام بزيارة القاهرة وغيرها من البلدان الإسلامية.

وفي عهد خروتشيف فترة وصفت بالعودة إلى الدينية، وبنهاية مرحلة الوفاق، واستعرت حملة جديدة وعنيفة ضد الدين دامت من ١٩٥٤ حتى ١٩٦٤، إذ أغلقت معظم المساجد المفتوحة، فهبط عددها إلى أقل من ٣٠٠ مسجد في عام ١٩٦٥، وشنّت ضد الدين حملة دعائية كثيفة وشاملة جذبت لخدمتها كل وسائل الإعلام العامة من صحافة وإذاعة وتلفزة ومسرح، وطبع

ما بين سنتي ١٩٥٤ - ١٩٦٤ تسعينات وعشرون مصنفاً مناهضاً للإسلام باللغات الإسلامية.

وبعد سقوط خروتشيف، دخلت العلاقات ما بين الحكومة السوفيتية والإسلام مرحلة أخرى أقل عنفاً. فقد خف الهجوم الشامل، لكن الدعاية المعادية للإسلام تتبع بشكل علني أكثر. وأوقفت حملات الهجوم ضد رجال الدين لأنها اعتبرت غير مجده.

وفي السنوات الأخيرة افتتحت بعض المساجد الجديدة، وأعيد فتح المساجد المغلقة، ومنحت حكومة موسكو الإدارات الدينية الإسلامية حرية أكبر في العمل، وفي المقابل بذل الزعماء الدينيون مساهمتهم في الدعاية الإعلامية بأن المسلمين تغمرهم السعادة والسرور والرفاهية في الاتحاد السوفياتي. غير أن هذا التقارب التكتيكي لم يبدل الأساس المناهض للدين والأيديولوجية марكسية الليينية. لأن الشيوعية والدين ضدان لا يجتمعان، والفرق الوحيد بين عهدي لينين وستالين وعهدنا الحالي يكمن فقط في الطريقة التي تستعملها السلطات السوفياتية في محاربة الإسلام، بيد أنها تفضل في الوقت نفسه الصراع الأيديولوجي والتربوية والإقناع على الضغط الإداري والقمع البوليسي.

تقع مهمة محاربة الدين على عاتق كل تنظيمات الدولة والحكومة والحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي. وتبعاً لذلك يمكن تنظيم دورات في الإلحاد العلمي في المصانع والمزارع مثلاً تنظم في الجامعات، وقد كانت بالدعائية المناهضة للدين النقابات العمالية، وفروع معهد "ماركس - إنكلز - لينين" في كل من الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والكومسومول، وزارات الثقافة في الجمهوريات، وكذلك الحزب الشيوعي في المناطق والمدن، وكل المؤسسات المدرسية ابتداء من رياض الأطفال حتى أعلى مستوى جامعي.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تمركزت الدعاية المعادية للإسلام تحت إدارة جمعية نشر المعارف السياسية والعلمية التي تضم فروعًا في كل جمهورية ومنطقة ومقاطعة. وتستخدم الدعاية المناهضة للدين كل وسائل الإعلام الجماهيرية من برامج إذاعية خاصة، وأفلام معادية، ومعارض ومتاحف ثابتة ومتقلة، ونشرات متعددة من كتب وكراريس ومقالات صحافية ونشرات دورية متخصصة، وخاصة المحاضرات العامة العديدة، وكذلك الأحاديث الخاصة إذ يتوجه الاختصاصيون في الإلحاد إلى بيوت المسلمين لاعطاء دروس ومحاضرات في أصول المادية الجدلية.

ويبلغ متوسط المحاضرات الإلحادية ثلاثة آلاف محاضرة يومياً في مناطق المسلمين في الاتحاد السوفييتي.

أما وضع الدين الرسمي في الاتحاد السوفييتي كما نص عليه في الدستور الذي صدر في عام ١٩٢١م، والذي لا يزال ساري المفعول إلى الآن، فهو كالتالي:

المادة ٢٥: التعليم والتدريس أو التأهيل المهني يخدم المبادئ الشيوعية والتنمية الثقافية والجسدانية للشباب.

وفي المادة ٥٢: تنص على الآتي: تضمن الدولة مواطن الاتحاد السوفييتي حرية الاعتقاد، أي الحق في اتباع أي دين، أو عدم اتباع أي دين، وحق أداء الشعائر الدينية، وكذلك حق القيام بالدعاية الإلحادية، ويحظر استخدام الدين في التحرير على العداء والكراهة. والدولة في الاتحاد السوفييتي منفصلة عن الدين، وكذلك التعليم.

وأصعب موضوع في المسألة هو التوازن بين القيام بالعبادات مع الحق في نشر الدعاية الإلحادية. فالدعاية الدينية التي تفسر بأوسع معاناتها حتى تشمل أي شكل من التعليم الديني، أو المناقشات الدينية بين الأفراد ممنوعة. وحتى

القيام بالعبادات من جهة ثانية يفسر بشكل ضيق، ويعتبر قانونياً إذا جرى بالشكل وفي المكان الذي تحدده الدولة.

ومثلاً على ذلك: يجيز القانون لمن يدعوا للإلحاد أن يفعل ذلك في كل مكان إلا في داخل المعبد، أي أنه يجوز له أن يقوم بالدعاهية الإلحادية في كل مكان ما عدا داخل المسجد في بلاد المسلمين، ولكن لا يجوز لمن يدعو لإلحاد أن يفعل ذلك إلا في داخل المعبد، فلا يجوز لامام المسجد مثلاً أن يعظ أو يرشد أو يبصّر الناس في دينهم إلا في داخل المسجد، فرأى عدل في هذا؟ والفرق واضح بين سعة المباحثتين بما بينهما، لا سيما إذا عرفنا أن مجرد دخول المرء إلى المسجد يحرمه من وظيفته إن كان موظفاً؛ لأن ذلك خروج على مبادئ الحزب الشيوعي، كما أن الذهاب للمسجد خلال أوقات العمل غير ممكن، وغير ممكّن أداء الصلاة خارج المسجد لأن ذلك يخالف القانون.

### البيقولة الإسلامية في الاتحاد السوفياتي:

لقد مضى على بدء الاستعمار الروسي لبلاد المسلمين أكثر من ٤٥٠ عاماً منذ أن سقطت قازان بيد القيسار إيفان عام ١٥٥٢م. وخلال هذه الفترة الطويلة تعرض المسلمون لضروب شتى من الاضطهاد والعنف، بدأه الصليبيون بفرض النصرانية بالقوة وإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية، واستتصال الإسلام من صدور المؤمنين. وإن تولى الاضطهاد الصليبي بزوال الإمبراطورية القيصرية من روسيا، فإن العنف الإلحادي قد مارس قسوته وظلمه بالقتل والتعذيب البدني بهدف فرض الشيوعية الضالة عقيدة على المسلمين بدلاً من إسلامهم الحق، ولا تزال الماركسية السوفياتية - التي خفت من حدة البطش الجسدي - تمارس الاضطهاد المعنوي والفكري بقوة لا تقل عن البطش البدني في تضليل المسلمين وإفساد عقيدتهم، وإخراجهم عن طريق الإسلام المستقيم.

والنعمـة التي أكـرم الله تعالى بها أولئـك المسلمين المضطهـدين، واحـتـار لها

الصلبيون والشيوعيون، هي أن الله تعالى أعندهم على التمسك بدين الإسلام في هذه المحنـة، وأن احتكاك المسلمين بالظلم والاضطهاد الطويل، والعنف أثبت تمسكـهم وأرتباطـهم الوثيق بالإسلام.. فالقارير الصحفية وانطباعات الزائرين إلى المناطق الإسلامية.. علاوة على استقصاءات الحكومة السوفياتية والدراسات الغربية، تؤكد أن أساليب الاضطهاد المختلفة وعمليات الإبادة والتهجير والقوة والعنف والتذويب الشليفي والعنصري لم تؤد أهدافها في القضاء على روح الإسلام في نفوس المسلمين.

وقد عبر القادة السوفيات في أكثر من مناسبة عن مخاوفـهم من تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام؛ حيث جاء في الخطاب الذي ألقاه شريف رشيدوف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في أوزبكستان عام ١٩٧٩: "إن رجال الدين يتآقلمون بذكاء مع الأوضاع الجديدة، ولهـم مقدرة على ليس الملبـوس لـكل حـالة، وهم يدافـعون عن بعضـهم بـعنـف.. ويـبدـون اهـتمـاماً خـاصـاً بالـشـباب، ومن خـطاً القـول إنـهم يـخـوضـون حرـباً خـاسـرة، وإن نـفوـذـهم يـتـبـدىـ في الأعداد المتـزاـيدة التي تـؤـمـ المسـاجـد دون الأعـدـاد التي تـشارـكـ في الأعيـاد والـشعـائر الإـسلامـية".

وقد أشارت معظم الدراسات السوفياتية إلى أن نسبة المتصفين بالإلحاد هي ٢٠٪ من المسلمين، وأن ٨٠٪ منهم يعلنون بوسيلة أو بأخرى إيمانـهم بالله عـلـىـكـ، ويـمارـسـون بـعـضـاً من الشـعـائر الإـسلامـية، وـحتـىـ إنـ المـحـديـن أوـ المـتصـفـينـ بالإـلـاحـادـ الذينـ تـقـدرـ نـسـبـتهمـ ٢٠٪ـ منـ رـجـالـ الحـزـبـ الشـيـوعـيـ، ويـتـولـونـ منـاصـبـ حـزـبيـةـ أوـ حـكـومـيـةـ عـالـيـةـ هـمـ فيـ غالـيـتـهـمـ مـسـلـمـونـ يـلتـزمـونـ بـالـختـانـ وـالـزوـاجـ الإـسـلامـيـ وـالـدـفـنـ فيـ مقـابـرـ الـمـسـلـمـينـ، وـبـؤـدـونـ الـصـلـاةـ وـالـصـيـامـ سـراـ، وـيـعـلـنـونـ إـسـلامـهـمـ بـعـدـ التـقـاعـدـ، وـعـلـىـ هـذـاـ فـإـنـ الـدـرـاسـاتـ الـحـدـيـثـةـ تـقـدرـ نـسـبـةـ الـمـسـلـمـينـ الـذـيـنـ يـلتـزمـونـ بـتعـالـيمـ الإـسـلامـ ماـ بـيـنـ ٩٥ـ ٩٩ـ منـ جـمـلةـ الـمـسـلـمـينـ بـماـ يـؤـكـدـ عـلـىـ أـنـهـ لـأـيـوجـ مـسـلـمـ مـلـحـدـ كـامـلـ يـكـفـرـ بـجـمـيعـ أـحـكـامـ دـيـنـهـ. وـإـنـ كـانـتـ

مناصبهم تلزمهم بإظهار الكفر، إلا أنهم في قرارة نفوسهم يرون أنهم مسلمون، وأن تخليهم عن المراكز الحكومية في إدارة مجتمعاتهم يؤدي إلى إشغالها بعناصر روسية أجنبية تزيد من قوة سطوة الاستعمار وسيادة الروس في بلادهم.

وفي التحقيق الذي نشره دور جينوف في مجلة موسكو فيت نوكا في شهر أبريل عام ١٩٦٧ قال فيه إن بعض المثقفين السوفيت، وهم أعضاء الحزب الشيوعي وفي الكوموسموول وملحدون عن اقتناع، يعتبرون أنفسهم مسلمين، ولا يزالون يحافظون على أداء بعض الشعائر الدينية.

كما أثبتت الواقع والدراسات العلمية بأن الشبان المسلمين المتشبعين بالثقافة الشيوعية، والمعروضين بالتلامح في المجتمع السوفيتي، يرفضون ظواهر الترويض، ويتمسّكون بشخصيتهم الإسلامية وإرثهم التاريخي وصفاتهم القومية، وتتفق كل التحقيقات على نقطة واحدة مشتركة هي أنها تكشف تعلق المؤمنين وغير المؤمنين الفريد بمجموعة من الممارسات التي تشكل طريقة العيش الإسلامية، والتي تميزهم عن الروس، وت تكون عقبة أمام التقارب البيولوجي (الزواج) بين المسلمين وغير المسلمين. حيث لم تفلج الضغوط المادية والمعنوية في حمل المسلمين والمسلمات على الزواج من غير أهل دينهم إلاّ بنسب قليلة.

**أحدث إحصائية لأهم القوميات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي**

**كما أعلن عنها في ١٩ يناير ١٩٩٠ م**

اسم القومية	عام ١٩٨٩ م	عام ١٩٧٩ م	معدل الزيادة
الأوزبك	١٦٦٨٦٢٤٠	١٢٤٠٥٩٧٨	%٢٤
القازاق	٨١٣٧٨٧٨	٦٥٥٦٤٤٢	%٢٤,١
الأذاريون	٦٧٩١١٠٦	٥٤٧٧٣٣٠	%٢٤
التاجيك	٤٢١٦٦٩٣	٢٨٩٧٦٩٧	%٤٠,٥
التركمان	٢٧١٨٢٩٧	٢٠٢٧٩١٣	%٢٤
القيرغيز	٢٥٣٠٩٩٨	١٩٠٦٢٧١	%٢٢,٨
اللتار	٦٦٤٥٥٨٨	٦١٨٥١٩٦	%٢,٤
الداغستانيون	٢٠٧٢٠٧١	١٦٥٦٦٧٦	%٢٥,١
جوفاش	١٨٣٩٢٢٨	١٧٥١٣٦٦	%٥
الباشكير	١٤٤٩٤٦٢	١٣٧١٤٥٢	%٥,٧
الشيشان	٩٥٨٣٠٩	٧٠٠٧٨٢	%٢٦,٨
اوستين	٥٩٧٨٠٢	٥٤١٨٩٣	%١٠,٣
قراقلباقي	٤٢٢٤٣٦	٣٠٣٣٢٤	%٢٩,٦
شباردو	٣٩٤٦٥١	٣٢١٧١٩	%٢٢,٧
قريم	٢٦٨٧٣٩	١٣٢٢٧٢	%١٠٣,٧
الاولينور	٢٦٢١٩٩	٢١٠٦١٢	%٢٤,٥
انغوش	٢٣٧٥٧٧	٢٨٦١٩٨	%٢٧,٦
ترك	٢٠٧٣٦٩	٩٢٦٨٩	%١٢٣,٧
قراجاي	١٥٦١٤٠	١٣١١٧٤	%١٩,١
كرد	١٥٢٩٥٢	١١٥٨٥٨	%٣٢
أرچ	١٢٤٩٤١	١٠٨٧١١	%١٤,٩
ابخاز	١٠٢٩٣٨	٩٠٩٩٥	%١٣,٢

%٣٢,٨	٦٦٢٣٤	٨٨٧١١	بلغار
%٣٤,٨	٥١٦٩٤	٦٩٦٨٦	دونكان
%١٢,٧	٤٦٤٧٠	٥٢٣٥٦	شركس
%٥٣,١	١٨٩٩٧	٢٩٠٩١	بلوش
%٧٠,٢	٦٨١٣	١١٠٩٩	عرب

والأنظمة الشيوعية لا تجري إحصاءاتها طبقاً لأديان الناس، ولكن حسب قومياتهم وقبائلهم، وهذه الإحصائية لا تعكس عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي بالضبط؛ لكن توضح عدد أفراد كل قومية مسلمة، وبموجب الإحصاء الأخير قد بلغ عدد سكان الاتحاد السوفييتي ٩٦٥ ٦٨٨ ٢٨٥ نسمة، ويقدر عدد المسلمين الإجمالي بنحو ٧٥ مليون نسمة.

#### الجمهوريات السوفيتية ذات الصبغة الإسلامية

الاسم	المساحة	عدد السكان	نسبة المسلمين	العاصمة
جمهورية اذريجان السوفيتية	٢٨٦٨٠٠ كم²	٧٢٧٠٠٠	%٢٨	بايكو
جمهورية اوزبكستان السوفيتية	٤٤٧٤٠٠ كم²	١٩٨١٠٠٧	%٨٦	طاشقند
جمهورية تاجيكستان السوفيتية	٤٣١٠٠ كم²	٥٤٩٠٠٠	%٨٨	دوشنبه
جمهورية تركمانستان السوفيتية	٤٨٨١٠٠ كم²	٣٧٨٩٠٠٠	%٨٦	عشق آباد
جمهورية قازاقستان السوفيتية	٢٧١٧٠٠ كم²	١٦٧٨٢٠٠	%٥٢	الماطا
جمهورية قيرغيزستان السوفيتية	١٩٨٥٠ كم²	٤٠٩٠٠٠	%٧٣	فرونزد

#### الجمهوريات الذاتية ذات الكثافة الإسلامية

الاسم	المساحة	عدد السكان	نسبة المسلمين	العاصمة
جمهورية تatarستان	٦٨٠٠٠ كم²	٤٢٥٠٠٠	%٥٠	قازان
جمهورية باشكيريا	١٤٣٦٠٠ كم²	٤٣٢٠٠٠	%٥٦	اوها
جمهورية جوفاش	١٨٣٠٠	١٨٢٩٠٠٠	%٥٨	جيبوكسراي

نالجیک	%٥٥	٧٦٢٠٠٠	٢كم١٢٥٠٠	جمهوريه قبرداي بلغار
محج قلمعه	%٦٠	٢٢٥٠٠٠٠	٢كم٤٤٣٠٠	جمهوريه داغستان
غروزني	%٦٦	١٧٢٥٠٠٠٠	٢كم١٩٢٠٠	جمهوريه شيشتانييفوش
ارجونيسيزى	%٥٥	٩١٩٠٠٠	٢كم٨٠٠٠	جمهوريه اوستينا الشمالية
سوقومي	%٣٠	٧٥٠٠٠٠	٢كم٨٦٠٠	جمهوريه انحازيا
باطومى	%٤٠	٤٥٠٠٠٠	٢كم٣٠٠٠	جمهوريه اجاريا
ازيفسک	%٥٢	١٨٥٠٠٠٠	٢كم٢١٠٠	جمهوريه ادمورتيا
سارنسك	%٥٥	١١٥٠٠٠٠	٢كم٦٢٠٠	جمهوريه مورديفا
ناخجوان	%٩٥	٢٩٧٠٠٠	٢كم٥٠٠٠	جمهوريه ناخجيفان
يوشكاراولا	%٥٢	٩٥٨٠٠٠	٢كم٣٢٠٠	جمهوريه ماريا
نوقوس	%٨٠	١٤٥٠٠٠٠	٢كم١٦٤٩٠٠	جمهوريه قره قلباچ

### المقاطعات الذاتية ذات الكثافة الاسلامية

الاسم	المساحة	عدد السكان	نسبة المسلمين	العاصمة
مقاطعة ناغورنو - قره باغ	٢كم٤٤٠٠	٢٧٨٠٠٠	%٢٠	ستيافاكرت
مقاطعة قره جاي شركس	٢كم١٤١٠٠	٤٥٠٠٠٠	%٦٠	شركسك
مقاطعة اديغا	٢كم٧٦٠٠	٥٤٠٠٠٠	%٥٠	مايكوب
مقاطعة اورينبورغ	٢كم١١٢٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	%٥٠	اورينبورغ
مقاطعة غورنو - بدخشان	٢كم٦٧٣٠٠	١٨٠٠٠٠	%٨٥	خوروغ

قبل الوصول إلى  
بلاد الباشقد

اعتقدنا على أن نقدم بين يدي المشاهدات في البلد الذي نكون على وشك الوصول إليه لمحه تعريف تساعد القارئ الكريم على تصور مسرح الرحلة، وخفييات بعض المسميات فيه، وحتى تساعد على تصور تاريخي مجمل لماضيه.

وهذا ما أردت تقديمها بين يدي الكلام على (جمهورية باشقردانستان) أو بشكيريا.

### العالم الجغرافية

#### ١ - اسم البلد:

تسمى المنطقة جمهورية باشقردانستان، ويعرفها بعضهم باسم بشكيريا.

#### ٢ - الموقع والمساحة:

تقع جمهورية باشقردانستان في جنوب جبال الأورال، يحدها من الشمال والغرب "جمهورية تatarستان"، من الجنوب تحدها محافظة "أورنبورغ"، أما الشرق الشمالي فيحد بمنطقة سيبيريا.

هذا الموقع الذي يجعلها همة وصل بين قارتي آسيا وأوروبا.

تبلغ المساحة الإجمالية للجمهورية (١٤٣٦٠) كيلم مربع

#### ٣ - المناخ:

يسود المنطقة مناخ قاري بارد (مضطرب)، فالشتاء بارد ويسوده فترات من التجمد لا سيما فوق المرتفعات، وتحخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر بكثير؛ حيث يتراوح المعدل السنوي لدرجة الحرارة بين (١+) درجة فوق الصفر بالمنطقة الجنوبية الشرقية، و (-٦) ست درجات تحت الصفر بالمنطقة الشمالية

الغربية المحاذية لسيبيريا، أي يمكن أن تصل درجة الحرارة في بعض الأحيان إلى (٣٠-) ثلاثين درجة تحت الصفر.

مدة الشتاء في الشمال (٧ أشهر)، "من شهر أكتوبر - شهر إبريل"، أما في الجنوب فمدة الشتاء هي (٥ أشهر) "من شهر نوفمبر إلى شهر مارس".

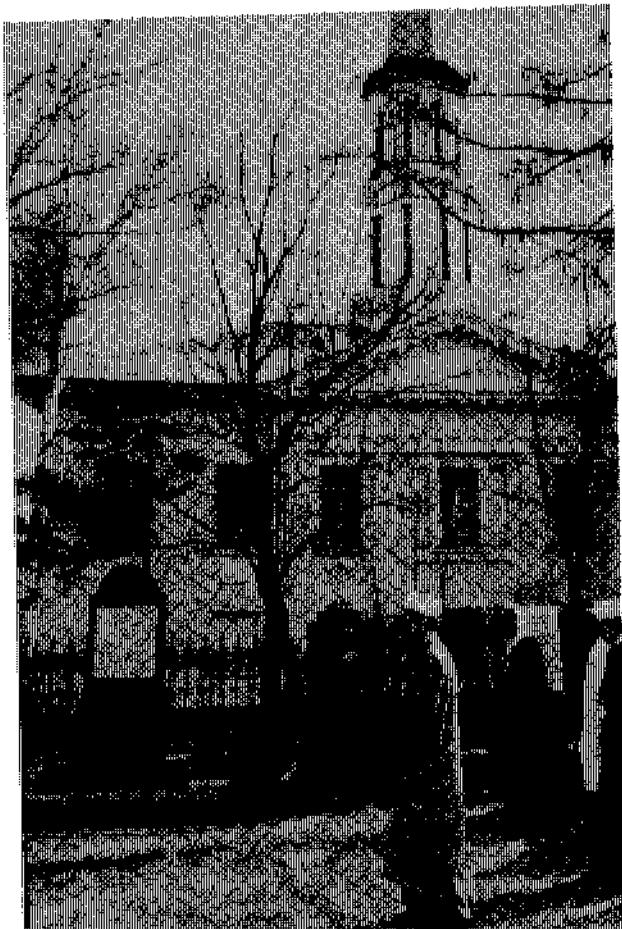
#### ٤- التضاريس:

نظراً لموقع الجمهورية الموجودة في شرق روسيا الاتحادية، وكذلك محاذاتها لنهر "الفولغا" فإن طبيعة المنطقة تتميز بكثرة السهول خاصة في المنطقة الغربية للجمهورية، أي مجراه بعض روافد نهر الفولغا مثل نهر (كاما) حيث يوجد الطرف الجنوبي من جبال الأورال، كذلك تبع منها عدة روافد تتجه إلى نهر الفولغا ونهر الأورال، وتمثل هذه الروافد ممرات تعبّرها الطرق.

#### ٥- المدن الرئيسية:

يوجد بجمهورية "باشقردرز ستان" مدن رئيسية هي:

الرقم	اسم المدينة
١	العاصمة (أوفا)
٢	مدينة (ستيرليتماك)
٣	مدينة (صالافات)
٤	مدينة (أكتيابر سكايا)
٥	مدينة (بيلوريتسك)
٦	مدينة (نيضتيكماهسك)
٧	مدينة (إيشمباي)
٨	مدينة (كوميرتاي)
٩	مدينة (بيرسكا)
١٠	مدينة (بيليبيا)



## جامع أوفا

### ٦ - عدد السكان:

يبلغ عدد سكان جمهورية باشقردزستان أربعة ملايين و(٣٢,٠٠٠) ألف نسمة حسب آخر الإحصائيات التي جرت سنة ١٩٩٥م، ويتوسط سكان الجمهورية على المدن والأرياف، حيث يسكن في المدن حوالي (٢٠,٠٠٠) نسمة، أما في القرى فيسكن حوالي (٩٨,٠٠٠) نسمة، ويمكن شرح توزيع السكان في الجمهورية حسب الجدول التالي:

الرقم	اسم المدينة	عدد السكان
١	العاصمة (أوطا)	١,٠٠٠,٨٥ ألف نسمة
٢	مدينة (ستيرليتماك)	٢٤٨ ألف نسمة
٣	مدينة (صالافات)	١٥٠ ألف نسمة
٤	مدينة (أكتياير سكايا)	١٠٥ ألف نسمة
٥	مدينة (بيلوريسك)	٧٢,٥ ألف نسمة.
٦	مدينة (نيفتيكمامسك)	١٠٧ ألف نسمة.
٧	مدينة (إيشمباي)	٦٩,٩ ألف نسمة.
٨	مدينة (كوميرتاي)	٦٤,٣ ألف نسمة.
٩	مدينة (بيرسكا)	٣٤,٩ ألف نسمة.
١٠	مدينة (بيليبا)	٥٣,٤ ألف نسمة.

أغلبية سكان جمهورية بشقيرستان هم الشعب البشكيري الذي يتكلم إحدى اللغات التركية، وهم مسلمون أحناف مثلهم مثل التatar، لكن فرضت عليهم اللغة الروسية، وأصبحت اللغة الرسمية، كما يعيش في بشكيريا عدد كبير من القوميات الأخرى مثل الروس الذين يعتبرون القومية الثانية بعد البشكير، والتatar، وكذلك البيلاروس، والأوكرانيون، والتشوفاش لكن بنساب قليلة، وبعض القوميات الأخرى.

## ٢ - اللغة الرسمية للمنطقة واللهجات المحلية:

اللغة الرسمية الأكثر تكلماً والتي تستعمل في المنطقة هي اللغة الروسية، لكن في السنوات الأخيرة وجد اهتمام كبير واتجاه للناس نحو اللغة "البشكيرية والتatarية" لغتهم الأصلية.

وبما أن المنطقة يسكن فيها عدد من القوميات المختلفة، لهذا توجد لكل قومية لغتها الخاصة رغم أنهم كلهم يعرفون اللغة الروسية، أهمها:

- ١) الروس      اللغة الروسية.
- ٢) التatar      اللغة التatarية.

#### ٤- التوزيع الديني للسكان، والمذاهب المتبعة.

نظراً لأن أغلبية السكان من البش��ير والتتار، فإن الديانة الأكثـر انتشاراً هي الديانة الإسلامية، والمذهب المتبـع في الفروع هو المذهب الحنفي)، ثم تأتي المسيحية الأرثوذكسية في الآونة الأخيرة، وانتشر العمل الكبير التي تقوم به الجمعيات المسيحية؛ حيث إنهم لديهم إمكانات مادية كبيرة.

#### ٧- نبذة تاريخية عن تأسيس جمهورية باشقوردستان:

تأسـست جمهوريـة باشقوردستان في ٢٠ آذار ١٩١٩م واحدة من الجمهوريـات الاشتراكـية الفيدـرالية السوفـيـيتـية، وكانت أول جمهوريـة مستـقلـة ذاتـياً، وكانت أول عاصـمة لها هي (ستـرـليـتـاماـكـ). ثم بعـدهـا نـقـلـتـ العـاصـمةـ من "ستـرـليـتـاماـكـ" إلى (أـوـفاـ)، وأـصـبـحـتـ العـاصـمةـ لـالـجـمـهـورـيـةـ الـآنـ.

#### ٨- تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة:

وصل الإسلام إلى بلاد الخزر في جبال القوقاز في النصف الأول من القرن الهجري الأول، وذلك بعد فتح مدينة باب الأبواب التي تسمى الآن دربند، وأصبحت ثغراً إسلامياً هاماً، واستمر التوسيـعـ في انتـشارـ الدـعـوـةـ الإـسـلامـيـةـ في العـصـرـيـنـ الأمـويـ والعـبـاسـيـ، فـوـصـلـ الإـسـلامـ إـلـىـ بلـادـ الصـقـالـبـيـ فيـ حـوـضـ نـهـرـ الفـولـغاـ، ثـمـ بلـادـ الـبـلـغـارـ الـمـجاـوـرـ، حيث طـلـبـواـ منـ الخليـفـةـ العـبـاسـيـ إـرـسـالـ وـفـدـ إـلـيـهـمـ يـعـلـمـهـمـ أـمـورـ الدـينـ، فـأـرـسـلـ الخليـفـةـ المـقـتـدرـ وـفـدـاـ إـلـىـ هـذـهـ المـنـطـقـةـ لـتـقـيـهـ أـهـلـهـاـ فيـ الدـينـ، وـوـصـلـ إـلـيـهـاـ معـ الـوـفـدـ الـكـاتـبـ اـبـنـ فـضـلـانـ الـجـفـرـاـيـ المشـهـورـ، فـكـتـبـ عـنـ أـهـلـ الـمـنـطـقـةـ، وـذـكـرـ البـشـڪـيرـ ضـمـنـ مـنـطـقـةـ حـوـضـ الفـولـغاـ، وـكـانـتـ زـيـارتـهـ فيـ بـداـيـةـ الـقـرـنـ الرـابـعـ الـهـجـريـ.

فـبـعـدـ اـعـتـاقـ الصـقـالـبـيـ وـالـبـشـڪـيرـ إـلـامـ مـبـكـراـ، وـانـضـمـامـهـمـ إـلـىـ دـوـلـةـ الـبـلـغـارـ الـتـيـ اـعـتـقـ حـكـامـهـاـ إـلـامـ، بـدـأـ الـبـلـغـارـ فيـ مـحاـوـلـةـ إـدـخـالـ مـلـكـ روـسـياـ إـلـىـ الدـينـ إـلـامـيـ.

وبعد أن غزا المغول بلاد الشعب البشكيри، وفرضوا سيطرتهم على بلادهم حافظ البشكيير على عقيدتهم الإسلامية، ثم أسلم ملوك المغول، فصارت الدولة إسلامية، وهاجر الكثير من البشكيير إلى العالم العربي، وكان منهم "علم الدين البشكيري" نائباً للسلطان قلاوون في سوريا، وقد جند المماليك عدداً منهم، وظل البشكيير على علاقة بدولة الأتراك العثمانيين، ثم احتل الروس أرض البشكيير سنة ١٥٥٧ م في عهد الإمبراطور إيفان الرابع، والذي عرف بـ"إيفان الرهيب" أو المدهش؛ حيث حاول الروس زعزعة عقيدة الإيمان في قلوب البشكيير الذين قاوموهم بشتى الوسائل، وذلك ما تفسره الثورات التي قاموا بها مثل ثورة سنة ١٧٧٣ م على إثر صدور قوانين ترغم السكان على أن يعتنقوا المسيحية كرهاً.

واضطهد المسلمين بصفة عامة، والشعب البشكيري بصفة خاصة، ومن بين هذه القوانين التي أصدرتها الإمبراطورة كاترين الثانية سنة ١٧٧٨ لتقييد حرية العبادة، وإجبار كل الناس على الدين بال المسيحية، وقاوم البشكيير مرة ثانية وتحدوا ذلك بكل شجاعة، بل وإنهم قاموا أيضاً بنشر الدعوة بصورة سرية، وكانت من نتائج هذه الدعوة إسلام قبيلة الشيرميس رغم اعتناق الكثير منهم المسيحية، هذا رغم القوانين التي كانت تعاقب كل من يتحول من المسيحية إلى الإسلام بصرامة، وبعدها هاجر كثير من البشكيير إلى قرى الشيرميس لإقامة المساجد، ذلك أن القوانين الروسية كانت تحرم معتنقي الدين الإسلامي الجدد من بناء المساجد، ولما صدر قانون حرية الدين في روسيا القيصرية في سنة ١٩٠٥ م نشط البشكيير في الدعوة علانية حيث أصبح عدد المدارس الإسلامية في باشقوردستان أكثر من ستة آلاف مدرسة.

وعندما استولى الشيوعيون في روسيا على الحكم أعلنا قيام جمهورية باشكيريا الاشتراكية سنة ١٩١٩ م، ثم بعد أربع سنوات ألغيت المدارس،

وهدم الكثير من المساجد، ودخل البش��ير مرحلة أخرى من التحدي من أجل العقيدة، ولكنهم لم يستكينوا ولم يهنو بعد هذه الإجراءات، وقاوموا حتى اضطر الشيوعيون إلى الاعتراف بالإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي ومسلمي سيبيريا، ووضع مقرها في عاصمة الجمهورية أوفا سنة ١٩٤٣م، وهذه المدينة تاريخ إسلامي حافل.

وبما أن أهم المشكلات المطروحة في مجال الدعوة في المنطقة هي نقص الدعاة المؤهلين لتدريس الدين الإسلامي، وكذلك نقص الكتب الإسلامية والخاصة بتعليم اللغة العربية. لهذا لا بد من توفير أو تكوين جماعات محلية يمكن الاعتماد عليها مستقبلاً من أجل العمل الإسلامي مع قوميتهم، كذلك توفير الكتب الإسلامية المترجمة، وكذلك العمل على بث برامج تلفازية وإذاعية إسلامية خاصة بالمناسبات الإسلامية، وتوفير الأشرطة السمعية والبصرية الخاصة بالأفلام الإسلامية والدورس والمحاضرات.

وهذا حديث عن المسلمين في بشڪيريا مختصر من حديث للشيخ عبد الباري عيسايف الرئيس السابق للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وسبيريا، وهو لا يخرج عن النطاق الرسمي في حديثه إلا بما لا يتعارض مع ذلك.

نتحدث عن نشاطات واحدة من الإدارات الدينية آنفة الذكر، وهي الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وسبيريا، وعن حياة المسلمين في هذه الأقاليم، فهي إحدى المنظمات الإسلامية القديمة التي أنشئت قبل مئتي عام. نبغ خلالها علماء بارزون بالتصانيف والأثار القيمة. وأكثرهم ألفوا آثارهم باللغة التركية، وبعضهم باللغة العربية وتصانيفهم وأثارهم مفيدة للجميع، وأكثرهم قد مضوا قبل ثورة أكتوبر بعضهم بقوا وكتبوا آثارهم، وطبعوا كتبهم في مطباع قازان وبطرسبورغ بعد الثورة. وحتى الآن فإن هذه الإدارة الدينية لمسلمي سبيريا والقسم الأوروبي من الاتحاد

السوفياتي تنشط نشاطاً لا يأس به، وبعد ثورة أكتوبر انتخب بين مسلمي باشكيريا وتاتاريا سماحة المفتى رضاء الدين بن فخر الدين، وهو من أبرز العلماء بالاتحاد السوفياتي وأكثراهم تضاعفاً في التفسير والحديث والتاريخ والسير، وفي كل هذه العلوم له آثار مفيدة يستفيد منها حتى الآن مسلمو تاتاريا وباشكيريا وأبناء الوطن.

وتوفي رحمه الله سنة ١٩٣٦ وعمره يناهز ٨٠ سنة. وبعده انتخب سماحة الفتى عبد الرحمن رضولي، نشأ سماحته في أسرة معروفة بكرم الأخلاق والدين، وله آثار مفيدة. توفي سماحته سنة ١٩٥٢م. فيقي منصب الفتوى خالياً سنة كاملة. وتواردت العرائض إلى الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان إلى سماحة المفتى إيشان باباخان رحمة الله عليه بأن تعين المفتى متوقف بإجماع العلماء التatars والباشكيريين على رأي سماحة المفتى إيشان باباخان رحمة الله تعالى. وبعد ذلك دعا سماحته علماء الأمصار من تاتاريا وباشكيريا والقسم الأوروبي، وألقى كلمة تحدث فيها عن تاريخ النظارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي، ومهمتها وخدماتها الجليلة ابتداءً من المفتيات الأولى.

فسأل كل واحد من علماء تatar وبashkiriya أن ينتخب واحداً منهم، ولكنهم اتفقوا على أن يعين المفتى من جانب سماحة إيشان باباخان. فأجاب بأن لدينا عالماً مشهوراً تاتارياً وحافظ كلام الله من علماء تatar، ولكنه الآن معين من قبلنا لمسجد جمكينست التي تقع قرب طشقند بمسافة ١٢٠ كيلومتراً، فهو جدير لمنصب المفتى، واتفق آراء العلماء على هذه الفكرة الصحيحة التي عرضها سماحة المفتى إيشان باباخان رحمة الله عليه. فتعين سماحة الشيخ الحافظ شاكر خيال الدين بن شيخ الإسلام في سنة ١٩٥٢. وتوفي سماحته في سنة ١٩٧٤ (رحمه الله تعالى)، وبعد وفاة الشيخ شاكر خيال الدين انتخب سماحة المفتى عبد الباري عيسايف رئيساً للن扎ارة الدينية

مسلمي سiberيا والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفيaticي. وكان هذا المفتى من قبل إماماً وخطيباً لمسجد لينينغراد.

وقد تحدث الشيخ باقتضاب عن تاريخ الشعب الباشكيري الشقيق، وعن حياة المسلمين ونشاطهم العلمي في باشكيريا ، وعن منجزات هذا القطر المزدهر العملية والإبداعية عبد الباري عيسايف فقال:

تقع بقعة باشكيريا في جنوب الأورال وقسم من المجرى الأوسط لنهر الفولغا ، وقاما وتوبول والأورال ، وجاء في المصادر القديمة ، وخاصة في مؤلفات كل من ياقوت الحموي "معجم البلدان" ، وللقرزويني "عجبات المخلوقات" ، ولأبى الفداء "تقويم البلدان" أن ظهور القومية البشكيرية يعود إلى القرن التاسع . وأنهم كانوا يقطنون خلال الحقبة من القرن ٩ إلى القرن ١٢ جنوب جبال الأورال ، وعلى سواحل بحر الخزر وفي السهول الواقعة بين نهري الفولغا والأورال . تبلور الشعب الباشكيري كقومية جراء اندماج القبائل التركية والأويغورية ، وانضمت إلى هذه المجموعة قبائل بوزان وتانفاور وأوسيرغان وغيرها . وفي القرن ١٠ اندمجت معها كذلك قبائل كيبيتشاك وبليغار ونوغاي التي تقطن بمحاذاة ضفاف الفولغا . وفي القرن السادس عشر تكونت القومية البشكيرية تكويناً تماماً . ودخلت إحدى لهجات اللغة التركية في أساس اللغة القومية للباشكير .

كان الشعب الباشكيري يزاول قديماً تربية الماشي والصيد البري وصيد السمك وقطع الخشب وتربية النحل . وفي وقت لاحق وتحت تأثير البلغار انتقل سكان باشكيريا الغربيية إلى الحياة الحضرية ، وراحوا يعملون بالزراعة .

وكما تؤكد عليه المراجع والمصادر التاريخية بدأ الدين الإسلامي الحنيف بالانتشار في هذه الديار التي تتشكل منها باشكيريا الحالية ، منذ القرن العاشر الميلادي . وبهذا الصدد كتب علامـة الشرق القديم رمزي في

كتابه "تنيق الأخبار وتفريح الآثار في وقائع قازان والبلغار وملوك تاتار" واستند فيه قوله على المعطيات التي أوردها ياقوت الحموي في مؤلفه "معجم البلدان" فقال: «أرسل الخليفة المقتدر بالله في عام ٢٠٩ هـ أحمد بن فضلان بن عباس بن رشيد بن حماد إلى بلاد باشكير كرسول له، وكلفه بدعوة السكان إلى اعتناق الإسلام».

فكان ذلك بداية لدخول باشكير إلى الدين الإسلامي الحنيف». وفي عام (١٢٢٩ م - ١٢٥ هـ) زحفت إلى باشكيريا جحافل التتر المغول. وفي سنة ١٢٣٦ وقعت باشكيريا كلياً تحت سلطة قوات باطلي خان. وفي أواسط القرن الـ ١٠، وعلى أثر انقسام الأوردة الذهبية إلى عدة إمارات، دخلت باشكيريا الجنوبية الشرقية ضمن إمارة نوغاي أوردة، وانضمت باشكيريا الغربية إلى إمارة قازان.

ومنذ القرن الـ ١٨ شرعت بالتطور في باشكيريا الصناعة والتجارة، ولعبت دوراً كبيراً في اقتصاد البلاد الصناعية التعدينية في الأورال.

وبعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى غدت باشكيريا يمرور الزمن قطراً صناعياً متطولاً، ذات زراعة ممكنة طرأ تطورات كبيرة في البلد على الحياة الاجتماعية وقضى على الأممية إلى الأبد.

تعتبر باشكيريا اليوم جمهورية متقدمة اقتصادياً وثقافياً. إنها تشغل في السنوات الأخيرة المرتبة الثانية في الاتحاد السوفييتي بعد جمهورية تاتاريا ذات الحكم الذاتي باستخراج النفط، وبالإضافة إلى ذلك تستخرج في باشكيريا كميات هائلة من الغاز الطبيعي، والنحاس. طرأ تطور كبير جداً على نظام توليد الطاقة الكهربائية الذي انضم إلى نظام الطاقة في ضفاف الفولغا وأورال، وتعمل على نهر أوفا محطة كهربائية بقدرة ١٦٦ ألف كيلو واط.

وطرأ تطور كبير خلال العهد السوفييتي على صناعة إنتاج المكائن

والسيارات. فتتتج المعامل الضخمة في مدن: أوفا وستيلينا ماك وصلوات السيارات الجبارة والماكنات الضرورية لاقتصاد جمهوريتنا. تشتهر المناطق الجبلية من باشكيريا بثرواتها الطبيعية حيث تستخرج كميات كبيرة من فلزات الحديد والنحاس وغيرها من المواد الثمينة.

وبفضل الاهتمام الدائم من لدن السلطة السوفيتية أحرزت الجمهورية نجاحات كبيرة في مجال العلوم. فتأسست في باشكيريا معاهد الأبحاث العلمية والمخابر الخاصة بالاستخدام الأمثل للنفط ومعالجته. وفي سنة ١٩٥١ تأسس في باشكيريا فرع أكاديمية العلوم السوفيتية الذي وحد بين معاهد الأبحاث العلمية المتخصصة في الجغرافيا وتاريخ وعلم اللغات والأداب والاقتصاد والكيمياء العضوية. وفي الوقت الراهن يعمل في مختلف المعاهد التابعة لفرع الأكاديمية ٤٠٠ عالم ونيف، منهم ٢٠ بدرجة دكتور في العلوم، و ١٥٠ بدرجة مرشح للعلوم. ويقوم علماء الجمهورية بمساهمة كبيرة في تطوير العلم والتكنيك في عموم البلاد، ويقدمون وصايا محددة بهدف تطوير النروع الهامة في اقتصاد جمهورية باشكيريا ذات الحكم الذاتي.

وطرأت تغيرات كبيرة على حماية الصحة. وتعير دولتنا اهتماماً بالغاً بهذا الصدد لأعداد الكوادر المحلية من الأطباء، ولبناء المؤسسات الصحية. ففي الجمهورية الآن حوالي ٤٠٠ مستشفى تحتوي على ٣٥٨٠٠ من أسرة المرضى، و ٥٢٠ مستوصفاً يعمل فيها بنجاح ٦٥٠ طبيب، و ٢٥٣٠٠ وممرضة. وعلاوة على ذلك ثمة في باشكيريا ٣١ مصحاً، و ١١ داراً للاستجمام والراحة. حيث يرتاح فيها آلاف المواطنين سنوياً.

تبلغ جمهورية باشكيريا ذات الحكم الذاتي نجاحات لم يسبق لها مثيل في شتى مجالات الحياة، ويعمل شعبها المتعدد القوميات بنجاح لجعل الحياة أكثر بهاء وروعة. أما الإداره الدينية لسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي وسيبيريا وقيادتها، فتبذل جهوداً كبيرة في نشاطها اليومي من أجل

إغاء الحياة الروحية لـ مسلمي باشكيريا بأحكام القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ . ثمة المساجد الموجودة على رقعة الجمهورية، وخلاف ذلك، ثمة مساجد كبيرة في موسكو ولينينغراد ونوفوسيبيرسك، وهي أيضاً تقع تحت إشراف الإداره الدينية آنفة الذكر، تقول الآية القرآنية: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١٦﴾ .

وانطلاقاً من هذا الاعتبار الإلهي للمساجد تقوم مساجد باشكيريا بدور كبير من أجل نشر وتعزيز أحكام الإسلام بين المسلمين.

يتمسك مسلمو الاتحاد السوفييتي على الدوام بقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالثَّقْوَى ﴾ ، وكمثال على هذا التعاون نذكر ما تسييه الإداره الدينية لـ مسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان برئاسة سماحة الفتى ضياء الدين خان بن إيشان بباخان إلى إدارتها في مجال إعداد الأئمه الشباب.

إن الأئمة الشباب الممثلين عزماً وحيوية يساهمون مساهمة فعالة في نشاط إدارتنا الدينية بعد تخرجهم من مدرسة «مير - عرب» الدينية في بخارى، وعودتهم إلى موطنهم باشكيريا، ويدبرون أمور المساجد إدارة جيدة جداً، ومن بين هؤلاء الأئمة الشباب يمتاز خاصة الإمام الخطيب في الجامع الكبير بمدينة أوفة الشيخ عباس بيبارصوف أنه واصل دراسته بعد التخرج من «مير - عرب» في كلية الشريعة الإسلامية بدمشق لدى الجامعة. أما في جامع لينينغراد فيعمل إماماً خطيباً الحاج جعفر بانتشايف، وهو أيضاً متخرج مدرسة «مير - عرب» الدينية، إنه يتمتع باحترام عميق من لدى المؤمنين في لينينغراد. وذلك بفضل تعمقه في المعارف الدينية التي تلقاها خلال مدة دراسته في مدرسة «مير - عرب» وبفضل اطلاعه على أحكام القرآن الكريم والسنن النبوية.

وثمة ممثل آخر للجيل الياافع من أئمة باشكيريا، وهو طلعة تازيف. إنه يدرس في الوقت الراهن في جامعة «الأزهر» بالقاهرة. ويقول تازيف باعتزاز

إن مرد دراسته الناجحة في القاهرة هي معلوماته التي تلقاها في مدرسة "مير- عرب" ببخارى.

من الصعب هنا ذكر أسماء كافة أئمتنا الشباب، فيكفي القول إن عشرات من مسلمي باشكيريا يدرسون الآن في مدرسة "مير عرب" ببخارى، والمدرسة الدينية العليا بطشقند، المسماة باسم إمام المحدثين - الإمام البخاري.

تقوم الإدارة الدينية في أوفا بأعمال مدير قسم العلاقات الخارجية مع البلدان الأجنبية. وفي هذا المجال يبذل جهوداً كبيرة مدير قسم العلاقات مع البلدان الأجنبية لدى الإداره الدينية رشيد غلمانوف. وقام بزيارة ودية لإدارتنا مختلف الوفود الإسلامية من إندونيسيا، والأردن، واليمن، وتشاد، والسنغال، وكمبوديا، ومن البلدان في العالم العربي والإسلامي.

إننا أطلعنا أعضاء الوفود بكل سرور وضيوفنا الأكارم على حياة ونشاطات مسلمي باشكيريا والإدارة الدينية، وعلى منجزات الشعب الباشكيري في شتى ميادين الحياة. وسافر ممثلو مسلمي باشكيريا بدورهم في عدد الوفود الإسلامية من الاتحاد السوفييتي إلى مختلف البلدان الإسلامية للاطلاع على حياة ومنجزات إخوتهم في الدين وهكذا، فقد زار ممثل إدارتنا الشيخ عباس بيبارصوف قبل مدة بلغاريا الشعبية، وقد لعبت هذه الزيارة - ولا ريب - دوراً كبيراً في إقامة علاقات أخوية بين مسلمي بلغاريا وجمهورية باشكيريا السوفيietية ذات الحكم الذاتي.

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدُ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكُوَةَ وَلَمْ يَخْشِ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، وامتناعاً لمشيئة الله وإرادته فإن الإداره الدينية في أوفا تهتم اهتماماً بالغاً بالمساجد وتحرص على ترتيب ونظافة الموجودة منها في الجمهورية، وترمم القديمة منها.

فقد بوشر في هذه السنة بأعمال كبيرة لترميم جامع كبير في أوفا. إنه

بني عام ١٨٢٠، ورممت كذلك بالطابوق منارة المسجد، وتقدم المنظمات التابعة للدولة مساعدات كبيرة للإدارة الدينية في هذه الأعمال، كتأمين مواد البناء، وغير ذلك. وجدير بالذكر أن المتطوعين يساهمون مساهمة كبيرة في ترميم المساجد. وهذا ما يظهر مرة أخرى إخلاص وولاء مسلمي بلادنا لدينهم وسعيهم من أجل الحفاظ على آثار الفن المعماري لأسلافهم على أكمل وجه. إن إخلاصهم وسعيهم من أجل عمل الخير سيجازى خيراً عند الباري عَزِيزًا إن شاء الله. فقد قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا

وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن الإدارة الدينية قد افتتحت ثلاثة مساجد جديدة خلال الـ (٧ - ٨) أشهر الأخيرة، وقد افتتحت مساجد جديدة في مدن الماتيفسك في تatarيا، وموزغ في مورديها، وبيلدة أيربويك بمحافظة كirov في روسيا السوفيتية، وتعيين الأئمة الخطباء ذوي التحصيل الديني للمساجد آنفة الذكر.

كما وتهتم الإدارة الدينية باستمرار بتوفير الكتب الدينية الضرورية للمسلمين، وذلك لتسهيل عليهم تطوير معلوماتهم الدينية. وفي هذا المجال تقدم مكتبة الإدارة الدينية خدمة كبيرة للمسلمين فهي تحتوي على ١٣ ألف كتاب في مختلف مسائل الدين الإسلامي. وعلاوة على ذلك، يستلم المسلمون سنوياً التقاويم الدينية التي تصدرها الإدارة الدينية، وتصدر الإدارة الدينية كذلك الفتاوی بشأن المسائل التي تهم المسلمين.

وفي ختام حديثه، لجأ سماحة الفتى عبد الباري عيسايف إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِحِينَ﴾ ثم ابتهل إلى الله العلي القدير أن يهدي شعوب العالم كافة إلى طريق الصواب والرشد، وأن يوطد الحق والعدل والسلام والأمان في العالم كله. آمين.

انتهى كلامه، وهو معين من السلطات الشيوعية ويتكلم بما تريده أن يتكلّم به.

#### ٨- المصادر الرئيسية التي تعتمد عليها موارد الجمهورية:

يعتمد اقتصاد الجمهورية بالدرجة الأولى على مواردتها المعدنية الغنية بها مثل الحديد والنحاس والنikel الذي يستعمل في صناعة الطائرات والذهب والنفضة، وكذلك المحروقات (النفط والغاز) والصناعات الخشبية وبما أن الجمهورية محاذية لكثير من روافد نهر الفولغا مما أعطى الفرصة على توليد كمية كبيرة من الطاقة الكهربائية.

أما من الجانب الزراعي فتعتبر جمهورية بشيرازستان جمهورية زراعية بالدرجة الأولى حيث يوجد فيها أكثر من ٤٠ مزرعة نموذجية (جماعية)، وخمسين مزرعة حكومية، والحاصلات تمثل في القمح والشوفان والشعير والبنجر السكري، ويعتبر الرعي وتربية الحيوانات حرف هامة في باشكيريا لا سيما التطاقي الجنوبي من جبال الأورال حيث المروج الطبيعية، وتربية الخيول الباشكيرية المشهورة كما تربى الأبقار والأغنام والماعز.

#### ٩- أهمية التجارة في الجمهورية:

نظراً لطبيعة اقتصاد المنطقة، وكذلك موقعها، فالتجارة تحتل مكانة مرموقة، والاستثمار في هذا المجال يلقى نجاحاً كبيراً.

وأهم المركبات السياحية الموجودة في المنطقة هي المركبات الطبيعية للاستشفاء، كذلك المناطق التاريخية الإسلامية.

وتتمثل المشكلات الاقتصادية التي تواجه المنطقة في الاستثمار والاستيراد والتصدير إلى الخارج رغم أهميتها، ويمكن الاستثمار عن طريق المسلمين بالمنطقة، وأهم المجالات التي يمكن الاستثمار فيها هي النفط والغاز، وفي الزراعة.

## ١٠ - نسبة الأمية:

في جمهورية باشكييريا لا توجد الأمية إلا بقدر ضئيل، وهناك عدد من السكان قد أنهوا الجامعات والمعاهد أو (دراسات عليا).  
ويوجد بالجمهورية عشرة معاهد وجامعة واحدة، ومراكز وأقسام جامعية متخصصة.  
ومن مشكلات المسلمين في المنطقة هو نقص الدعاة المؤهلين، مع أن الجمهورية أغلبية سكانها مسلمون نظراً لضعفها وقلتها.

## نشاط المنظمات غير الإسلامية

أهم المنظمات التي تنشط في المنطقة كغيرها من المناطق الأخرى في روسيا الاتحادية هي تلك المنظمات التي تقوم بالدعوة للمسيحية، وهي كلها قادمة من أوروبا الغربية أو من أمريكا الشمالية، وتتبع هذه المنظمات مختلف الكنائس المسيحية (البروتستانت، الكاثوليك، الأرثوذكس، الأنجليلكان إلخ)، وينشطون أيضاً في القرى المأهولة بال المسلمين، ومن أهم وسائلهم التصويرية هو الإغراء بالمال، وكذلك امتلاكهم إمكانيات مادية كبيرة.

## الباشقرد في الكتب العربية القديمة

لا يعرف كثيرون من مثقفينا المسلمين بلاد الباشقرد بل ربما ظن أن تسميتهم هذه تسمية محدثة أطلقها عليهم الروس أو المتأخرن من غيرهم، ولذلك لا يحاول حتى الرجوع لكتب العربية التي قد تذكرهم مع أن ذكرهم واضح بل مجلي في كتب أسلافنا العرب الأماجد الذي لم تكن تمنعهم الموارع من بعد المسافة أو صعوبة الاتصال ولا عاقتهم العوائق من الحصول على المعلومات عنهم.

لذلك رأيت أن أنقل شيئاً عن ذكرهم في كتبنا القديمة من كتاب جمعه أحد فضلاء المنطقة وهو الشيخ إم، إم، الرزمي من أهل قازان، وحشد

فيه النصوص العربية الواردة عن (الباشقردز) ومحضها، وهو أوفى ما رأيته من الكتب في هذا الموضوع. قال:

”الباشقرت“، وربما يتلفظ بالغين المعجمة أو الجيم بدل القاف، وبالميم والجيم الشين، وتتأوه تبدل في العربية في جميع لغاته، وإلا فيقال: باشقرد، وبشغرد، وبشجرد، ومجفرد. وأما السروس والمتروس والأفرنج والمترننج فيقولون: باشكير، وعلى كل حال فهم أمة عظيمة من الأقوام التركية، ومسكنتهم الآن نهر وولغا وجبار أورال وفي شرقها، والمشهور أنهم كانوا ممتدین قبل هذا التاريخ بمايئتي سنة إلى نهري إيليك وقويدابل إلى مسافة في شرقهما من صحراء قزاق حال كونهم رحالة نزالة، ثم طردتهم القزاق إلى مساكنهم الحاضرة.

وقد صرخ بعض السواح المتقدمين من المسلمين كونهم في طاعة بلغار في مساكنهم الحاضرة، ويعين بعض منهم مساكنهم في حدود الإفرنج كما قال الملك المؤيد أبو الفداء في تاريخه: ومن النصارى أيضاً باشقرد، وهم أمة كثيرة ما بين ألمان وبلاط إفرنجة، وملوكهم وغالبهم نصارى، وفيهم مسلمون، وهم شرسو الأخلاق. اهـ.

وقال في كتابه تقويم البلدان: بلاد الباشق رد في الإقليم السابع، وهم ترك جاوروا الألمانيين على عهد متواشق، وهم مسلمون من جهة فقيه تركمانى وبصرهم بشرائع الإسلام، وأكثراهم عمائرهم في نهر دوما لعله طوله، وعلى جنوبية قاعدتهم.

قال القزويني في عجائب المخلوقات: باشغرت جيل عظيم من الترك بين  
القسطنطينية وبلغار، حتى أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى ملك  
الصقالبة (يعني البلغار) لما أسلم، فقال عند ذكر باشغرت: وقمنا في بلاد قوم

من الترك، فوجدنا هم شر الأتراك، وأقدرهم، وأشدهم إقداماً على القتل، ووجدتهم يقولون للصيف رب<sup>(١)</sup>، وللشتاء رب، وللمطر رب، وللحياة رب، وللموت رب، وللأرض رب، ولسماء رب هو أكبرهم؛ إلا أنه يجتمع مع هؤلاء بالاتفاق، ويرضى كل بعمل شريكه. ا.ه.

ونقل أيضاً عن السفير المشار إليه أنه قال: رأيت قوماً يعبدون الكراكي<sup>(٢)</sup> إلا أنه لم يقل إنهم من الباشقرا.

ثم قال القزويني: قال لي فقيه من أهل باشقرت إن أهل باشفترت أمة عظيمة، والغالب عليهم النصارى، وفيهم جمع من المسلمين على مذهب الإمام أبي حنيفة، ويؤدون الجزية إلى النصارى كما تؤدي النصارى هنا إلى المسلمين، ولهم ملك في عسكر عظيم، وأهل باشفترت في خركاها<sup>(٣)</sup> ليس عندهم حصون، وكان كل حلة من الحل إقطاعاً لما تقدم صاحب شوكة، وكان كثيراً ما تقع بينهم خصومات بسبب الإقطاعات، فرأى ملك باشفترت أن يسترد منهم الإقطاعات، ويجري لهم الجامكيات من الخزانة دفعاً لخصوماتهم ففعل، فلما قصدتهم التتار تجهز ملك باشفترت لالتقائهم، فقال المتقدمون: لسنا نقاتل حتى ترد إلينا إقطاعاتنا. فقال الملك: لست أرد إليكم

(١) قلت: كانوا على مذهب أفلاطون، فإنه يقول بوجود رب لكل نوع بقال له رب الأنواع وتحقيقاته ليس هذا محل إيرادها. انظر المختوبات. وكذلك قدماء اليونان كانوا يقولون بوجود إله على حدة للبر والبحر وال الحرب والصلح والتجارة إلى غيره من الأمور، إلا أنهم كانوا يصورون تمثلاً لكل واحد منها يعبدوه. ا.ه. منه عفي عنه.

(٢) وتمامه: قلت: إن هذا من أعجب الأشياء. وسألت عن سبب عبادتهم الكراكي، فقالوا: كنا نحارب قوماً من أعدائنا فيزمونا، فصاحت الكراكي وراءهم فحسبوها كميناً فانهزموا، ورجع المكرة لنا عليهم، فتعبدوا لأنها هزمت أعدائنا. ا.ه. فهذا يدل على أنهم قوم لا ينسون المعروف، ولو صدر من غير ذوي العقول بلا اختيار وقدر وروبة، فكيف إذا كان من ذوي العقول قصداً واختياراً. منه عفي عنه.

(٣) الخركاها: جمع خركا، وهي الخيمة الكبيرة.

على هذا الوجه، وأنتم إن قاتلتم فلانفسكم وأولادكم. فتفرق ذلك الجمع  
الكثير ودهمهم سيف التتار بلا مانع، وتركوهم حصيناً خامدين. اهـ.

قلت: بالنظر إلى أول كلامه وإلى قوله يؤدون الجزية إلى النصارى ليس  
هؤلاء الباشقد الذين في أطراف أورال؛ بل طائفة الباشقد الذين في حدود  
الإفرنج، والذي حكااه ابن فضلان إنما هو في شأن باشقد أورال بلا شبهة.

قال الحموي في معجم البلدان: باشغرد بسكون الشين والغين معجمة،  
وبعضهم يقول: باش جرد بالجيم، وبعضهم يقول: باش قرد بالقاف، بلاد بين  
القسطنطينية ولغار، وكان المقتدر بالله قد أرسل أحمد بن فضلان بن  
العباس بن راشد بن حماد مولى أمير المؤمنين، ثم مولى محمد بن سليمان إلى  
ملك الصقالبة، وكان قد أسلم هو وأهل بلاده، ليفيض عليهم الخلع، ويعلمهم  
الشرائع الإسلامية، فحكى جميع ما شاهد منذ خرج من بغداد إلى أن عاد،  
وكان انفصالة في صفر سنة تسع وثلاثمائة، فقال عند ذكر البашقد: وقعا  
في بلاد قوم من الأتراك يقال لهم الباشقد، فحضرناهم أشد الحذر، وذلك  
لأنهم شر الأتراك، وأشدتهم إقداماً على القتل، يلقى الرجل الرجل فيفرز  
هامته ويأخذها ويتركه، ويحلقون لحاظهم. وكل واحد من كفارهم قد نحت  
خشبة على قدر الإحليل ويعلتها عليه، فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلاها وسجد  
لها وقال: يا رب افعل بي كذا وكذا. فقلت للترجمان: سل بعضهم ما حجتهم  
في هذا، ولم جعله ربه؟ فقال: لأنني خرجت من مثله، فلست أعرف لنفسي  
موجداً غيره. ومنهم من يزعم أنني عشر رباً: للشتاء رب، وللصيف رب، وللمطر  
رب، وللريح رب، وللشجر رب، وللناس رب، وللدواب رب، وللماء رب، ولليل  
رب، ولنهار رب، ولموت رب، ولحياة رب، ولأرض رب، والرب الذي في  
السماء أكبرهم إلا أنه يجتمع مع هؤلاء باتفاق، ويرضي كل واحد منهم ما  
يعمل شريكه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما أنا فإني وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشقدية

شقر الشعور والوجوه جداً، يتقهون على مذهب أبي حنيفة رض، فسألت رجالاً منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم، فقال: أما بلادنا فمن وراء القدسية في مملكة أمة من الفرنج يقال لهم الـنـكـرـ، ونحن مسلمون رعية لـمـلـكـهمـ من طرف بلاده نحو ثلـاثـينـ قـرـيـةـ؛ كلـ وـاحـدـةـ تـكـادـ أـنـ تـكـوـنـ بـلـيـدـةـ إـلـاـ أـنـ مـلـكـ الـنـكـرـ لاـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ نـعـمـلـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـهـاـ مـسـوـراـ خـوـفـاـ مـنـ أـنـ نـعـصـيـ عـلـيـهـ، وـنـحـنـ فـيـ وـسـطـ بـلـادـ التـصـارـيـةـ، فـشـمـالـيـنـ بـلـادـ الصـقـالـيـةـ، وـقـبـلـيـنـ بـلـادـ الـبـابـاـ يـعـنـيـ رـوـمـيـةـ... وـفـيـ غـرـيـنـاـ الـأـنـدـلـسـ، وـفـيـ شـرـقـيـنـاـ بـلـادـ الرـوـمـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وأـعـمـالـهـ. قال: ولـسـانـنـاـ لـسـانـ الـفـرـنـجـ، وزـيـنـاـ زـيـهـ، وـنـخـدـمـ مـعـهـمـ فـيـ الـجـنـديـةـ، وـنـفـزـوـ مـعـهـمـ كـلـ طـائـفـ؛ لـأـنـهـمـ لـاـ يـقـاتـلـونـ إـلـاـ مـخـالـفـيـ الـإـسـلـامـ، فـسـأـلـهـ عـنـ سـبـبـ إـسـلـامـهـمـ مـعـ كـوـنـهـمـ فـيـ وـسـطـ بـلـادـ الـكـفـرـ، فـقـالـ: سـمـعـتـ جـمـاعـةـ مـنـ أـسـلـافـنـاـ يـتـحدـثـونـ أـنـهـ قـدـمـ إـلـىـ بـلـادـنـاـ مـنـذـ دـهـرـ طـوـيلـ سـبـعـةـ نـفـرـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ بـلـادـ بـلـغـارـ، وـسـكـنـواـ بـيـنـنـاـ، وـتـلـطـفـواـ فـيـ تـعـرـيـفـنـاـ مـاـ نـحـنـ عـلـيـهـ مـنـ الضـلـالـ، وـأـرـشـدـوـنـاـ إـلـىـ الـصـوـابـ مـنـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ، فـهـدـانـاـ اللـهـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ، فـأـسـلـمـنـاـ جـمـيعـاـ، وـشـرـحـ صـدـرـنـاـ لـلـإـيمـانـ، وـنـحـنـ نـقـدـمـ إـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ وـنـتـفـقـهـ، فـإـذـاـ رـجـعـنـاـ إـلـىـ بـلـادـنـاـ أـكـرـمـنـاـ أـهـلـهـاـ وـوـلـونـاـ أـمـورـ دـيـنـهـمـ.

فـسـأـلـهـ: لـمـ تـحـلـقـونـ لـحـاـكـمـ كـمـاـ يـفـعـلـ الـفـرـنـجـ؟ فـقـالـ: يـحـاـقـهاـ مـنـاـ الـمـتـجـنـدـونـ، وـيـلـبـسـونـ لـبـسـةـ الـفـرـنـجـ، أـمـاـ غـيرـهـمـ فـلـاـ. قـلتـ: فـكـمـ مـسـافـةـ مـاـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـ بـلـادـكـمـ؟ فـقـالـ: مـنـ هـنـاـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ نـحـوـ شـهـرـيـنـ وـنـصـفـ، وـمـنـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ نـحـوـ شـهـرـيـنـ وـنـصـفـ إـلـىـ بـلـادـنـاـ.

وـأـمـاـ الـإـصـطـخـريـ فـقـدـ ذـكـرـ فـيـ كـتـابـهـ: مـنـ باـشـجـرـ إـلـىـ بـلـغـارـ خـمـسـةـ وـعـشـرـونـ مـرـحـلـةـ، وـمـنـ باـشـجـرـ إـلـىـ الـبـجـنـاـكـ، وـهـمـ صـنـفـ مـنـ الـأـتـرـاـكـ، عـشـرـةـ أـيـامـ. اـنـتـهـىـ مـنـ مـعـجمـ الـبـلـدـاـنـ بـحـرـوفـهـ.

يـقـولـ جـامـعـ هـذـهـ الـحـرـوفـ: لـأـحـدـ يـجـهـلـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ مـوـقـعـ بـلـادـ الـبـاشـقـرـدـ، وـمـوـقـعـ بـلـادـ وـيـنـغـرـيـةـ (ـمـاجـارـ)، وـمـسـافـةـ بـيـنـهـمـاـ وـسـمـتـهـمـاـ، وـلـاـ كـوـنـ

الباشقرد ساكنين مقيمين في مساكنهم الحاضرة من الزمان القديم.

وقد عين هؤلاء الكباراء - أعني أبي الفداء، والقزويني، والحموي - مساكن باشقرد في ونفرية، وماجارتستان، فإن صدر هذا عن واحد منهم لقنا إنه سبق قلم، أو وقع غلطاً من قلم النسخ، ولا يمكننا أن نقول لهم كانوا تحت حكمومة الماجار قبل مهاجرة الماجار من أرض باشقرد إلى مساكنهم الحاضرة، فإن كلام أبي الفداء والحموي، وأول كلام القزويني أيضاً يستأصل عرق هذا الاحتمال، فالمعرفة والدرایة والتحقيق والتدقيق والمهارة في التصرف في الكلام على أصوله إنما هي في توجيهه مثل هذا الكلام المتناقض المغلق، والاقتدار والمكنته إنما تظهر في مثل هذا، وذلك إنما يمكن بأن يثبت صدور هذا الكلام عن هؤلاء الأعلام ووقوعه عليهم غلطاً وسهواً، أو كونه سهواً من قلم النسخ، وإن هؤلاء القوم الذين ذكرتهم بعنوان الباشقرد ليسوا بباشقرد؛ بل هم القوم الفلاني مستنداً إلى دليل ما ولو كان ضعيفاً، أو بأن يقال: نعم، إنهم من الباشقرد كما قال هؤلاء الفضلاء، وإن الباشقرد كانوا أولاً في مملكة وينفرية وماجارتستان، وألسنتهم كانت عين السنة الماجار، ولونهم كان أشقر مثل لون الماجار وجنسهم، لا فرق بينهم قط، إلا أنهم هاجروا من مساكنهم المذكورة، أعني وينفرية، بعد عصر هؤلاء الفضلاء في الزمان الفلاني، واستوطنوا في أوطانهم الحاضرة، أعني ما بين أورال وولغا، وتركوا لغة ماجار، وتعلموا لغتهم الحاضرة، وانسلبوا عن الشقة وتلونوا بلونهم الحاضر كذلك مستنداً إلى دليل ما ولو ضعيفاً، أو بأن يقال: إنهم غير باشقرد أورال، وإنهم تحولوا بعد ذلك عن وينفريه إلى المملكة الفلانية، ثم اشتهروا هناك بالاسم الفلاني، وهم الآن القوم الفلاني، أو أنهم اضمحلوا بالكلية، ولم يبق منهم أثر مستنداً إلى قول أو دليل ما ولو ضعيفاً ومحتملاً، فاخترأي شق شئت من هذه الشقوق الثلاثة وأثبته إن قدرت.

حتى إن الفاضل المرجاني لم يتعرض لهذا قط، ولم يجد فيه شيئاً من

الاحتمالات، مع أن من عادته أن يذكر في مثل هذه المسألة احتمالات لا يسبق إليها وهمٌ واهمٌ فقط، بل قال بعد أن ذكر شيئاً مما نقلناه عن ابن داسة في حق المجرفية: هذا يقتضي كون المجرفية طائفة من الباشقرا، وينبغي أن يكون إطلاق لفظ كانطون على حكام باشقرد مأخوذاً من لفظ كندة المذكور، ثم أورد بعده حكاية من الخرافات لا تعلق لها بما نحن فيه قط، وكون لفظ كانطون مأخوذاً من لفظ كندة وإن كان جائزًا إلا أن عين لفظ كانطون لما كان بمعنى الناحية في لغة فرنسا أو أسوiggerة كان القول بأن إطلاق لفظ كانطون على حكام باشقرد لكونهم حكام الناحية أولى وأقرب إلى الصواب من الذهاب إلى الاحتمال الذي أبداه، كما يقال الآن لحكام الناحية بالروسية زيمسكي لكونه بمعنى حاكم الناحية.

وهذا شيء ساقنا إليه الاستطراد، ولترجع إلى ما نحن فيه.

ثم قال نقلًا عن أبي حامد الأندلسي: إن الباشقرا في طاعة البلغار. وقال أيضًا نقلًا عن أبي إسحق الإصطخري: من باشجرد إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة وإلى البجاناك<sup>(١)</sup> الذين هم صنف من الترك عشر مراحل. وبباشجرد صنفان:

صنف في آخر غزية (قرغز) ووراء بلغار، وهم زهاء مائتي ألف نفس، ومواضعهم محكمة، وهم في طاعة البلغار.

وصنف متاخم لحدود بجاناك أهـ.

وهذا وإن خف الإشكال المذكور من وجهه، ولكنـه لا يدفعه بالكلية، أما تخفيه فإنه يؤيد أن الذي نقل عن أبي الفداء والقزويني والحموي صحيح لا سهو فيه ولا غلط ولا مخالفة؛ لكون مساكن باشقرد في أراضيهم الحاضرة من القديم، لكون الباشقرا الذين ذكروا غير الباشقرا

(١) البجاناك: هم البوشناق.

الذين في أطراف أورال؛ بل هم صنف آخر منهم كانوا في حدود الإفرنج ومملكة الماجار، ولا إشكال في ذلك بما تقدم مراراً من أن الماجار والبافاريين من جنس واحد. وأما عدم دفعه الإشكال بالكلية، فإنه لا يظهر منه أنه إلى أي شيء آل أمرهم، وأنهم أين ذهبوا. وهذا هو أصل الإشكال مع قطع النظر عن كونهم باشقرد أو غيرهم، فإن التعبير عنهم بباشقرد يمكن أن يكون سبق قلم وغلط النساخ لقرب الألفاظ، والأسامي بعضها من بعض، فكأنه لم يذهب الإشكال قط، ولا يمكن الجواب عنه أنهم تركوا الإسلام بعد القرون المذكورة ودخلوا في التنصريات، فإن ذلك مع كونه بعيداً عن العقل بمراحل لم يتعلق به النقل أيضاً قط، فإنه لو وقع مثل هذا الأمر العظيم لذكر في واحد من التواريخ خصوصاً من طرف جمعية ميسيلونير نصارى الذين إذا ظنروا في مدة ستين بإدخال واحد من السكارى ومدمري الخمر، أو من سائر الفساق في دين النصارى ولو ظاهراً بصرف مبالغ جسيمة من الأموال يشيعون ويشهرون في جميع العالم أنهم أدخلوا ألوفاً في دين النصارى، وإن لم يظفروا به، يشيعون ذلك كذباً وافتراء كما لا يخفى عادتهم الشيطانية هذه على أحد، فإن وقع مثل ذلك في وقت لم لا شهروا أن ذلك العالم صاروا بأجمعهم نصارى.

ومثل ذلك في كونه مستبعداً عند العقل ومحالاً عادياً القول بفنائهم ومحوهم بالكلية، فلم يبق إذا من الاحتمالات المذكورة إلا القول بتحولهم وهجرتهم من ديارهم إلى ديار أخرى من بلاد الإسلام، وعدم هجرتهم إلى بلاد الدولة العلية العثمانية من قبيل البديهي لعدم ذكرها في واحد من التواريخ العثمانية مع كثرتها وانتظامها، ولا نقدر أن نقول إنهم المسلمين الموجودون الآن في مملكة لهستان (بولونيا بالإنجليزية)، فإن كارامزين يصرح بكونهم من التتار الباقيين من توقتماش خان كما سيأتي عند ذكر أحواله، ويكتنينا دليلاً على ذلك شهرتهم بذلك، واحتثارهم عند أهل القرى والعثامنة بتatar ليقة، فأي مناسبة لهم بالقوم الذين نحن الآن بصدد بيان أحوالهم، فحينئذ فلا

مانع من أن نقول إنهم طائفة ميشر الكاثرين في ولايات طنبو وبنزا وسراططا ونيزني، والباعث على الذهاب إلى هذا الاحتمال ثلاثة: أحدها ظهور أن طائفة ميشر ليسوا من التتار الذين وردوا إلى تلك الديار عند خروج جنكيز خان ظهوراً بينما<sup>(١)</sup> لوجود الاختلاف بين هاتين الطائفتين من جهة العادات، واللهجة واللغة والإطلاق لفظ ميشر في مقابلة التتار في جميع المحاورات حتى إنه يقول الميشر للتتار في معرض السب والتقيص يا تatar، وكذلك يقول التتار للميشر: ياميشار. وثانيها القرب بين لفظ ميشر وماجار وباشقرد خصوصاً لفظ مجر الذي هو أحد فروع لفظ ماجار ومجر على ما تقدم من ابن داسة.

وكذلك لفظ بشجرد الذي هو أحد فروع لفظ باشقرد، فلا بعد في كون هذه الألفاظ محرفة عن أصل واحد مثل: إسكيت، وإسكتيا، وسيتيا ... إلخ. وهنغارية وهنغارية إلخ ... نحو ما تقدم، ومثل ألفاظ بغداد، بغداد، بغداد، بعدين، بغداد، وبرطاس وبرداس. فرداس ومردازو موردوا على ما سيجيء ذكره، وأمثال ذلك مما لا يعد ولا يحصى، ألا ترى أن الروس والإفرنج يقولون لفارس برسيه وبرسيان وبارت، وللعثماني أوتومانى ولنبيون بابونيا إلى غير ذلك من التحرifات<sup>٢</sup> حتى الألفاظ المتداولة فكما أنه لا يلزم كون هؤلاء مغاييرين لأنفسهم لغاية هذه الألفاظ المحرفة، كذلك فيما نحن فيه، لم لا يجوز أن يكون الفاظ ميشر، مجر، مجر، بشجرد إلخ منحرفة من أصل واحد؟ ولم لا يجوز أن يكون إطلاق لفظ باشقرد، وبشجرد على قوم ميشر وماجار من الفضلاء المذكورين لشهرة الأولى وعدم شهرة الثانية في عصرهم؟ أو تكون الأولى أصلاً والثانية محرفة عنها؟.

(١) وأدل دليل على ذلك هو وجود طائفة ميشر في تلك القطعة في ابتداء ظهور الروسية على ما ذكره سكارامزين نقاً عن نيساطور الذي هو أول مؤرخي الروسية حيث قال عند تعداد الأقوام الموجودين فيها عند ظهور الروسية وتبين مسابكتهم أن قوم ميشجر وموردوا كانوا في الجنوب الشرقي من قوم ميرا. أ. هـ. انظر كيف جعل هذين القومين متباورين في ذلك الوقت كما أنهمااليوم كذلك. منه عفي عنه.

وثلاثها كون بلاد القوم المذكورين الذين نحن الآن بقصد بيانهم قريبة ومجاورة وملائقة لتلك الولايات، حتى إنه يمكن أن نقول على ما مر بيانه من ابن داسة، وعلى قول كارامزين في بيان الماجار، إنها عينها، فيكونون وثنيين وعبدة النار في عصر ابن داسة، ثم يتشرفون بالدخول في دين الإسلام بالسبب الذي ذكره الحموي والقرزويني بعد انسحابهم إلى جهة الغرب قليلاً على ما ذكره كارامزين، وبعد ورود التتار إلى تلك الديار واستيلائهم على سائر الأقطار، وتشرفهم بالدخول في دين الإسلام في عصر بركة خان عليه الرحمة والغفران، وأنقلاب تلك الديار دار إسلام، جاؤوا إلى أقرب ناحية منها من مساكنهم، أعني بها ولايات طنبور، وبنزا، وسرطا، ونيزني التي يمكن أن يقال إنها مساكنهم الأصلية على ما مر من ابن داسة وكارامزين، ثم يبدل اسمهم السابق، أعني مجفر، أو مجر، أو باشقرد، أو بشجرد، على قول بعضهم إلى ميشر، كما بدل في حق هنغريه إلى ماجار، وتبدل لسانهم الأصلي إلى لسان الترك والتتار الذي هو اللسان الرسمي في تلك الديار في العصر المذكور ولسان العامة والأمة الغالية، ولو معنى في دائم الأوقات.

ويؤيد هذا وجود كثیر من ألفاظ الروس في لسانهم، فإن هذا يدل على أن لسان الترك ليس لسانهم الأصلي، ويجوز أن يكون لسانهم الأصلي تركياً، فيبقى المسلمون منهم على أصل اللسان<sup>(١)</sup> الترکي، ويكون وجود كلمات الروس في لسانهم ناشئاً عن كثرة اختلاطهم بالروس، وتبدل لسان من تتصرر منهم إلى لغة ماجار الآن، كما تبدلت أخلاقهم وعاداتهم الأصلية التركية إلى عادات النصارى وأخلاقهم، كالنفرة من اعتقاد المخلوق المتغير الحادث إليها، ولو كان أعظم المخلوقات، وغاية الاجتناب والتبعاد عنه حيث تبدلت إلى قبول اعتماد كون أضعف مخلوق مغلوب من أذل خلق الله، مقهور مهان ذليل في أيديهم على اعتقادهم لا على اعتقادنا معاشر المسلمين إليها،

---

(١) ولكن يابى عن هذا ما تقدم عن الحموي من كون لسانهم لسان الإفرنج منه عفي عنه.

وهذا هو الحق، فإن لسان الماجار تركي في الأصل بلا شبهة، وقد حاول بعضهم إثبات ذلك بوجود كلمات تركية في لسان الماجار إلى الآن.

وأدل دليل عليه كون أدعيتهم في كنائسهم إلى القرن الرابع عشر الميلادي تركية على ما ذكره المير آلي رتيخ الروسي في بعض آثاره الأنطوغرافية، وهكذا نصه:

والحاصل، إذا نظرنا إلى ما ذكره غير واحد من المؤرخين والجغرافيين والأنطوغرافيين من القول باتحاد جنس ماجار والباشقد، تأملنا في قرب الفاظ ماجار ومجفر ومجرو ويشجر وميشر بعضها من بعض، ونظرنا مع ذلك إلى كثرة وجود طائفة ميشر فيما بين باشقد الآن في ولايات صمار، وأورنيور، وأوفا، لا يستبعد ما بيناه، بل نجد مناسبة تامة بين هذه الطوائف من القديم، ويكون ما ذكره الفاضل المرجاني أيضاً من قوله، وهذا يقتضي كون المجفري طائفة من الباشقد صحيحًا وواقعاً في حاق موضعه.

وأما مادة مخالفة الأشكال والسماء والألوان التي أوردها رفاعمة بك اعتراضًا كما مر، فليس الأمر كما زعم، فإننا نرى ونشاهد بعيوننا أن أربعة إخوة أشقاء مثلاً إذا ذهب كل واحد منهم إلى مملكة مختلفة السمت والجهات وتوطنوا بها، واحتلطوا بأهاليها المختلفة الأشكال والألوان والألسن والأطوار والأخلاق والعادات، يأخذ أولاد كل منهم المتواillون في تلك الممالك عادات أهالي المملكة التي ولدوا فيها وأخلاقهم وأطوارهم ولغاتهم وألوانهم وأشكالهم ولو في الجملة، ويكونون بحيث إذا اجتمعوا في محل واحد لا يصدق كون أصلهم من ولاية واحدة وأمة واحدة، فضلاً عن تصديق كونهم أولاد إخوة أشقاء، فكيف يمكن حال أولاد هؤلاء الأولاد؟ وهلم جراً.

هذا بل انظر إلى اختلاف الموجود بين هؤلاء الإخوة المذكورة في تلك الأشياء، فإنك ترى فيها بينهم تفاوتاً عظيماً، وظاهر هذا التفاوت ظهوراً بينما زائدأ فيمن يقيم فيما بين القزاق والجهة الشمالية، على أنا نقول إن هذا القائل

لم ير من المغل والتتار إلا رعاة الإبل والغنم، فحكم بقبح الصورة في كلهم، ولم ير ما ذكره العلامة ابن عريشاء الدمشقي في وصف التتار بقوله: رجالهم بدور، ونساؤهم شموس، ولم ير ما ذكره غير واحد في بعض أفراد المغل بأنه كان حسن الصورة جداً لم ير مثله قط، كما سيجيء ذكره في ولد توقطاغو خان إيليسار، وأوزبك خان عليه الرحمة، وما ذكره غير واحد في أهالي طراز وجكل من بلاد الترك من أنهما في غاية الحسن والجمال، وما مر ذكره عن ابن فضل الله العمري من حسن شمائل الأتراك، واعتدال قدودهم، وظراقتهم، ولم يتأمل في التفاوت الفاحش بين أهالي إسطنبول، وأهالي أناطولي؛ بل بين أهل القرى وأهل البلاد في كل مملكة في الأشياء المذكورة مع اتحاد جنسهم وأصلهم.

هذا هو تحليل هذه المسألة الصعبة بالنسبة إلى كثييرين ذهن هذا العاجز، ومن رام الزيادة فمجال الكلام واسع؛ خصوصاً لمن حصل الفنون والمعارف من معدنها، من بلاد التمدن والمعارف الجديدة، ويوشك أن يدرك نوابغ في مدارس قازان، وأورنبور أيضاً يحققون أمثال هذه المسألة تحقيقاً شافياً بحيث تستفيد من ثمرات تحقيقياتهم العالية، فإني لا أدعني أن هذا هو الحق والصواب الذي لا يقبل النقض والإبطال؛ بل الغرض عرض ما أدى إليه ذهني الكليل، وخاطري الفاتر على أنظار الأذكياء أرباب المعارف، وأصحاب الفنون لينظروا فيه، ويتصرفو بالنقض والإبرام والرد والقبول والتسديد والتعديل، حتى يظهر لبني الحق والصواب من بين فرث الغلط ودم الشطط، ويكون شرابة سائغاً للشاربين فإن تكميل الصناعة إنما يكون بتلاحم الأفكار، خصوصاً في مثل هذه المسألة المبتكرة التي لم يتكلم فيها أحد، وحقيقة العلم عند الله سبحانه وتعالى. اهـ.

انتهى كلام الشيخ الرمزي رحمة الله.

## إلى بلاد الشفق والفسق:

كنا نتوجه بالطائرة من مدينة (غروزني) عاصمة جمهورية الشيشان إلى مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا؛ حيث يقيم صديقنا ومرافقتنا في الرحلة في الاتحاد السوفييتي المفتى الشيخ طلعت تاج الدين، رئيس الإدارة الدينية لسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي، وكان يجلس بجانبي، فكان مما قاله بهذه المناسبة: إن بلادنا التي عاصمتها (أوفا) هي بلاد (الشفق والفسق)، يريد بذلك أن الشفق لا يغيب في جهة الغرب في الصيف قبل أن يطلع الفجر من جهة الشرق، وهي بلاد البليغار التي ذكرها الفقهاء بهذا الأمر.

وذكر أن النهار يطول عندهم جداً في الصيف، وأنهم في شهر رمضان الماضي كان يفطرون الساعة الحادية عشرة والنصف، وهو موعد مغيب الشمس وذلك في شهر يونيو، وقال إن صلاة التراويح تستمر عندنا من الثانية عشرة والنصف حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وموعد السحور في الساعة الثانية، وتطلع الشمس في الساعة الرابعة والنصف.

ومن الغريب اللافت للنظر من الطائرة أن الظلام كان دامساً على الأرض بحيث صرنا لا نبصر مما هو تحتنا شيئاً، مع أن الشفق يبدو أبيض معتراضاً في السماء في أفق الغرب واضحاً كل الوضوح.

## في مطار أوفا:

قبل النزول أعلنت المضيفة باللغة الروسية التي ليس معها لغة أخرى من بين ما أعلنته أن درجة الحرارة في (أوفا) هي أربع عشرة درجة مئوية، وهذا معناه جو ربيعي، لأننا الآن بعد مغيب الشمس بفترة، وقد رأينا من الطائرة أنوار المدينة ساطعة جيدة.

وكان الوصول إلى مطار أوفا في الساعة التاسعة بوقت داغستان

والشيشان اللتين تركناهما، وهو موافق لتوقيت موسكو، ويصادف الساعة الحادية عشرة بتوقيت أوفا الذي يتقدم عن توقيت موسكو الصيفي بساعتين، وعن توقيت المملكة ساعة واحدة.

وعندما حطت الطائرة في المطار لم يتحرك أحد من ركابها، وقال الشيخ طلعت تاج الدين: إنهم لا ينزلون؛ بل لا يغادرون مقاعدهم حتى ننزل نحن، لأن هذه هي العادة مع الضيوف والزوار من خارج البلاد، ولم يقل ما إذا كانت المضيفه قد أعلنت ذلك للركاب من مكبر الطائرة.

ولم ينزل أحد قبلنا إلا بعض رجال الوفد الإعلامي المرافق، وفيهم مصورون للتلفزة المحلية والاتحادية، وذلك جرياً على عادتهم في تكريم ضيوف البلاد في مثل هذه المواطن.

ونزول مصوري الصحافة والتلفزة قبلنا هو من أجل أن يصوروها وصول الوفد إلى المطار ونزوله من الطائرة، ووجدنا عند سلم الطائرة جمعاً من الإخوة من أئمة المساجد في الجمهورية، ومن أماكن أخرى لن يمر بها وقدنا لكي يكونوا في استقبال الوفد وليجتمعوا به، ويبحثوا معه أمور دينهم.

ثم كانت جلسة في قاعة كبار الزوار في المطار قدم خلالها الشيخ الفتى (طلعت تاج الدين) هؤلاء الإخوة إلينا ومنهم:

الشيخ عبد الخبير جار الله، القاضي في الإدارة الدينية لسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي وإمام جامع قازان عاصمة جمهورية تatarستان.

الشيخ أحمد زكي، إمام ثان في جامع قازان عاصمة جمهورية تatarستان الداقية الحكم التابعة لجمهورية روسيا.

الحاج الشيخ عبد الباري حبيب الله، إمام مسجد أورنبورغ.

الشيخ ذو القرنين شاكرجان، إمام وخطيب جامع أومسك في سيبيريا.

الشيخ رفقة رفيع، إمام وخطيب إيشم باي في سيبيريا.

الحاج نور محمد نعمة الله، إمام أوي بيشك.

وقالوا: إن بعضهم جاؤوا من مسافة ألفي كيلو متراً ليكونوا في استقبالكم.

وسائل الأخ الشيخ ذو القرنين إمام جامع مدينة (أومسك) وقلت له: إلى كم تدنت درجة البرودة عندكم في سيبيريا هذه السنة؟

فقال: إلى ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر، فاستعظمنا ذلك، وقلت له مع الإخوة الحاضرين: كيف تعيشون تحت هذه الدرجة من البرودة القاسية. فقال: إن هذه الدرجة جيدة، وهي أحب إلينا من درجة التجمد، أو من البرد الذي لا ينزل عن خمس درجات تحت الصفر، لأنه إذا نزلت البرودة إلى عشرين درجة فما دون ماتت جميع الجراثيم، وأمنوا من الأمراض التي تصيب الزروع والثمار، ولم نخش نحن حتى الزكام، لأن أكثر الجراثيم تموت عندما يصل البرد إلى هذه الدرجة؛ بخلاف ما إذا كان البرد في درجة الصفر أو ما تحته بقليل فإن الجراثيم لا تموت، ولابد مع ذلك من الاحتياط ضد البرد ونزلات الزكام ونحوها.

ووافت النكبة أحد الحاضرين فذكر أنهم في سيبيريا في مثل هذه الحالة التي تهبط فيها الحرارة إلى ثلاثين درجة أو دون ذلك يلجمون إلى الثلاجة يستدفئون فيها؛ لأن درجة البرودة داخلها عشرون درجة تحت الصفر على حين أنها خارجها تكون ثلاثين أو أشد برداً من درجة الثلاثين.

ولم تكن الجلسة خاصة بالكلام على الجو القارس في سيبيريا، ولكن كان هذا حديثاً من الحديث الذي اتسع له المجال بينما كان الموظفون يطلعون على الجوازات وبطاقات الإخوة من المسلمين السوفيت، وكانت الأمتعة تنقل من الطائرة.

## في مدينة أوفا:

قدم رتل من السيارات للوفد، وقدمت لي سيارة سوداء اللون معتادة، ولنست من السيارات الرسمية الطويلة التي اعتدت على ركوبها في المدن التي قبل (أوفا)، وقال الشيخ (طلعت تاج الدين): إنها سيارتي الخاصة أردت لك أن تركبها، ولم أوثر عليها سيارة رئيس الجمهورية كما في المدن الأخرى.

فشكرته على ذلك وقلت: إنها كافية ومريحة، وإنني أفضل أن أركب في سيارتكم معك على غيرها.

وتبلغ المسافة ما بين المطار وقلب المدينة ثمانية عشر كيلو متراً، ولكننا لم ننصر الطريق جيداً في الليل.

ولذلك لم نر النهر عندما قالوا لنا إننا نمر الآن بالنهر الذي تقع عليه المدينة، وهو أصل من أصول نهر الفولغا الذي كان أسلافنا العرب يسمونه نهر إيتل، ويسميه أهل البلاد من البيلاريين والتاتار نهر (إيدل) بالدال.

وأما تسميته بالفولغا فإنها روسية اشتهر بها.

ونزلنا في (فندق روسيا)، وهو فندق للحكومة كغيره، ولكنهم قالوا: إن الحكومة المحلية في هذه البلاد تسكن فيه ضيوفها من الزوار الرسميين غير أن سكناً فيه هي على ضيافة الإدارة الدينية لMuslimi Sibiriya والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي، وليس على ضيافة الحكومة.

وعندما وضعنَا أمتتنا في الفندق كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف ولكنهم قالوا: إلى العشاء.

## لبن الفرس وعسل الشجر:

وليس غرابة مائدة العشاء هذا في طولها، وكثرة أنواع الطعام فيها، فذلك ما تعودنا عليه من إخواننا المسلمين في الإدارات الدينية في الاتحاد

السوفيتية التي تمول كلها من تبرعات المسلمين، وإنما أيضاً في وجود أشياء غريبة جداً، منها لبن الفرس، وقد جاؤوا به في زجاجات بيض كبيرة، وبأعداد كثيرة، وقال الشيخ طلعت تاج الدين وهو يقدمه لنا: إنه لبن الفرس، إنه مفيد للصحة، ومحق للبدن، ونحن قد اعتدنا على شريه، لذلك نستلاق إليه إذا فقدها.



### مأدبة العشاء في فندق أوفا

وتذوقت لبن الفرس، فإذا به حامض قليل الدسم، وذكروا أنه لا تكون فيه زيادة. فقلت: يكون إذا كلبن الناقة لا يستخرج منه زيادة.

وقد استساغ بعضنا لبن الفرس هذا، وبعضنا لم يستسغه رغم غرابته وطرافة شريه لكونه شيئاً نادراً قليلاً الوجود في غير هذه البلاد وأمثالها.

والشيء الغريب الثاني يشبه المريض، وهو حلزون غريب الطعم أيضاً، ذكرروا أنه عسل الزيزفون، وأشجار الزيزفون تنمو في بلادهم بكثرة، ولهم

أوجه عديدة في الانتفاع بها، من أهمها أن النحل يتغذى على زهورها التي تنمو في شهر يونيو، فيكون من ذلك نوع من العسل الجيد ذي النكهة الخاصة اللذيذة.

وقد ذكرني هذا بما ذكره ابن فضلان في رسالته التي تضمنت مشاهداته في البلغار المجاورة لهذه بلاد ر بما كانت هذه البلاد امتداداً لبلادهم في ذلك الحين قال: ورأيت لهم شجراً لا أدرى ما هو مفرط الطول، وساقه جرد من الورق يعمدون إلى موضع من ساق هذه الشجرة يعرفونه فيثقبونه ويجعلون تحته إناء يجري إليه من ذلك الثقب ماء أطيب من العسل، إن أكثر الإنسان منه أسكري.

أقول: هكذا ذكروا أنهم يصنعون بالشجر، ولكنهم أنكروا أن يكون يسكري بحال.

وأما باقي الأطعمة في المائدة، فإنها عديدة، منها ما هو فاخر كالكافيار المسمى بالروسي الشهير.

وقد انتهى العشاء في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل.

وأما الفندق الذي نزلنا فيه وهو فندق روسيا، فإنه من فنادق الدرجة الأولى الفاخرة، وهي ذات طراز قديم، ولكن فيه أجنحة كاملة، منها جناح أنزلوني فيه مؤلف من قاعة استقبال وغرفة طعام وغرفة للنوم فيها سرير يتسع لشخصين، وهو أول سرير من نوعه في الفنادق التي نزلنا فيها في الاتحاد السوفييتي.

ومكتب فيه معرف (بيانو) كبير، وكانت الضيافة فيه، وهي التي تضعها الفنادق الكبيرة للضيوف في الغرفة، فاكهة من التفاح والكمثرى وزجاجات من المياه الغازية وعصير الفاكهة.

ولأول مرة أجد في الحمام صابونة مغلفة؛ إذ كان الصابون في الفنادق

السابقة يكون قطعة أو بعضاً من قطعة من أي صابون كان، ولو كان من صابون غسيل الملابس.

وفي الطابق الذي فيه غرفتي، وهو الرابع، امرأتان روسستان غليظتان تديرانه؛ إحداهما كهله، والأخرى في منتصف العمر كما هي العادة في الفنادق الأخرى التي يقيم فيها الأجانب.

يوم الجمعة: ١٦ شعبان ١٤٠٦ هـ - ٢٥ أبريل ١٩٨٦ م.

### صباح أوفا:

(أوفا) هي عاصمة جمهورية باشقورذستان، وهي واقعة في جبال الأورال، لا يفصل بينها وبين حدود سيبيريا إلا نحو مائة كيلومتر. وتقع على خط العرض ٥٩ شمال خط الاستواء.

وهي من المواطن القديمة لل المسلمين الذين كان أسلافنا العرب يسمونهم بالبلغار، ولا يزال علماؤهم والمحافظون على التسميات والمصطلحات القديمة يحيون أن يسموا بلادهم ببلاد البلغار رغم كون شعب البلغار قد اضمحلت دولته وذاب أفراده في شعب التatar المسلم، وهو الاسم الصحيح القديم لبلادهم وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته.

ووجه الصحة في هذه التسمية أن أولئك البلغار كانوا بفعل قد جاؤوا في الأصل من تلك المنطقة التي جاء منها الأتراك الأوائل، وهي مجاورة لبلاد التatar الأصيلة، إلى بلادهم الحالية التي تقع على ضفاف نهر إيتل (الفولجا)، ومنها إلى بعض أنحاء شرقي أوروبا، ومجيئهم كان على مراحل.

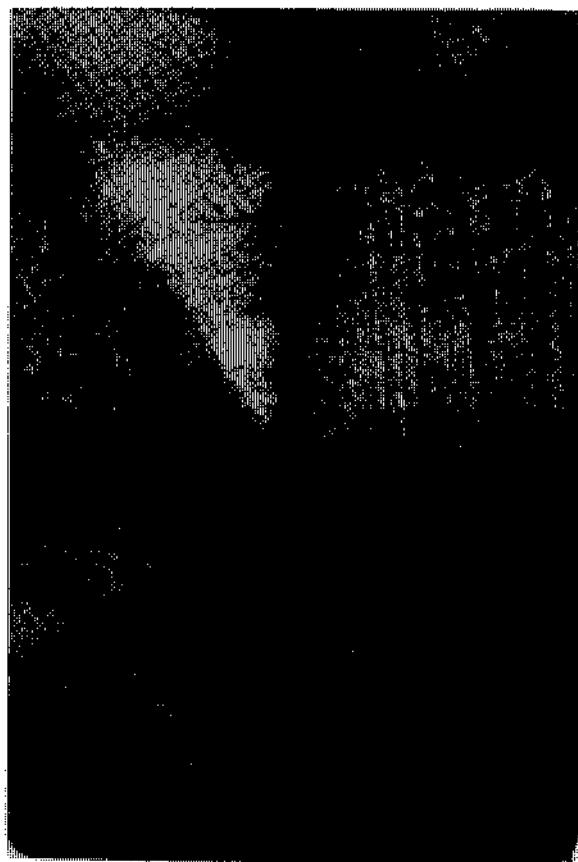
ووجه الخطأ في التسمية أن مجئهم إلى هذه البلاد الأوروبيية الشرقية واستيطانهم فيها كان قبل جنكيز خان وحفيده وعهده بقرون.

وقد اختاروا الدين الإسلامي ديناً في أواخر القرن الرابع الهجري، وبذلك فارقهم المحبة، وصاروا من أكثر شعوب المسلمين تمسكاً بالإسلام، وكتب الله لهم بذلك عزًّا ومجدًا يمكنهم أن يفاخروا به القرون ثم اندمجوا في أبناء عمهم التatar الذين حكموا المنطقة، وهداهم الله للإسلام على يد أول ملك مسلم منهم، وهو بركة خان حفيد جنكيز خان وأبن عم هولاكو الذي تغلب هو وقبوته المسلمين على الشعب الروسي، حتى إن إماراة موسكو ظلت تدفع الجزية أو الإتاوة لسلطانين التatar الذين كان مقرهم مدينة (بيراي)، ثم

مدينة قازان عاصمة جمهورية (تاتارستان) في الوقت الحاضر، مدة تزيد على مائتين وثمانين سنة حسبما ذكره المؤرخون.

وإن كانت جمهورية باشقردز هذه ليست وحدها بالضبط بلاد البلغار التاريخية فإنها قريبة منها، وأهلها أبناء عم للبلغار.

ولنعد إلى صباح أوفا الذي كان بعد ليل ديفء، ونوم هنيء، لم نشك فيه قرأ ولا حراً، إذ كانت درجة الحرارة عند وصولنا هي ١٤ درجة مئوية، وكانت الغرفة معدة من أجل أن توفر الدفء في هذه البلاد الباردة.



### الأشجار الهاameda في أوفا

وعندما أزاحت ستارة النافذة التي كانت جهة الشرق كان المنظر منظر

الغابات الملتقة التي لم تصح بعد من سباتها الشتوي الطويل، فكانت عارية  
الأوراق، جرد السوق والأعناق.

قد ظهرت هكذا من النافذة؛ لأن الفندق يقع في جزء حديث المعمار من  
مدينة (أوفا) التي كانت هي كلها منطقة غابة واحدة في الأصل واقعة على  
نهر (إيتل) الذي هو أصل نهر الفولغا الشهير.

ورأيت عدد السيارات من النافذة في شارع رئيسي من المدينة كثيراً  
بالنسبة إلى عدد السيارات التي أريد بها هنا سيارات الركوب الصغيرة.

وكل ما يراه المرء من النافذة جميل؛ سواء في الوجوه التي تمر مسرعة  
في هذا الصباح الباكر، أو من الأبنية التي كان أكثرها ذا طلاء بهيج.

وكان الصباح أيضاً مشرقاً الشمس، بهيجاً، خالياً من الغيوم من غير  
حر، أو شيء يستلزم معه وجود الغيم.

ومن صباح هذا اليوم طعام إفطار شهي غريب، قد كثرت فيه ألبان  
الخيول وأريد بها لبن الفرس كما كان العرب القدماء يقول: ألبان الإبل،  
ويريدون بها لبن الناقة، وليس كما يقول بعض العامة في ألبان الإبل: لبن  
الجمل، لأنهم يسمون البعير كله جمالاً سواء أكان جمالاً أم ناقة.

ومن خصائص لبن الفرس هذا كما أخبرونا إذا كان في زجاجة  
مسدودة ثم حركت، بمعنى خضخت، فإن صمامته - أي السدادة - في فم  
الزجاجة تطير، لأنه يتولد فيه آنذاك غازات قوية تدفع بها، وقد بالغوا في تفع  
لبن الفرس هذا للبدن، وسمعنا من ذلك في هذا الصباح أكثر مما سمعناه  
البارحة.

وفي طعام الإفطار أيضاً حساء - أي شربة - جيد، وقطائف باللحمة

## جولة في مدينة أوفا:

كان مدير (فندق روسيا) الذي نزلنا فيه ينتظرنا للسلام على الوفد، وتقديم باحترام وإجلال، ولا أدرى أذلک بمبادرة منه أو بأمر من واضعي البرنامج، ولكن كان سلامه يدل على الإجلال والإكبار، وهو من أبناء المسلمين، واسمه إلهام بن خلف، من التتار.

ويذكر هنا أنه وإن كانت هذه البلاد هي من بلاد المسلمين الخالصة لهم في القديم، فإنه منذ أن استولى الروس عليها قبل حوالي أربعين سنة أخذوا في الهجرة إليها، والسكن فيها، ثم صاروا بعد الشيوعية يأتون أيضاً للعمل والسياسة، وزاحمهم أيضاً عليها الأكرانيون مع الروس حتى ألفوا نسبة كبيرة من سكان مدينة أوفا خاصة.

وقد انطلق الموكب مع شوارع في المدينة واسعة جيدة التنظيم، نظيفة المظهر، عليها الأشجار الباسقة إلا أنها كلها هامدة بعد الشتاء القارص البرد، وبعض الشوارع لكتلة الأشجار فيها تظن أنها شوارع في غابة من الغابات، وذلك أن أصل المدينة كان محاطاً بالغابات، فاستفادوا منها في تنظيم المدينة، وابقاء الأشجار الكثيرة في أماكنها بعد التنظيم، وعلى الشوارع في المدينة نفسها الأبنية الحكومية المتعددة الطوابق ذات الشقق السكنية.

إلى أن توقفنا في ميدان جيد أقيم في عام ١٩٦٧ لأنّه في ضاحية المدينة.

وقد أقيم فيه تمثال لأحد المسلمين الثائرين على القياصرة، واسمه (صلوات بولاي)، وقد ثار على التيصرة الروسية كاترين الثانية، وكتب عليه تاريخه ١٧٧٦ م.

وقف الموكب عند الميدان حيث صعدنا درجاً يفضي إلى مكان متسع مفروش بالرخام المن نق، ثم صعدنا درجاً آخر أفضى إلى الميدان الرئيسي الذي

هو مفروش بالرخام، وهو أشبه ما يكون بالسطح؛ لأنه في موقع عالٍ وعلى ضفة نهر يسمونه (اق إيدل)، ومعناه: النهر الأبيض، فاق: أبيض، وهو أحد أصلي نهر الفولغا الشهير الذي يسميه أهله المسلمين في بلادهم (إيدل)، وكان أسلافنا العرب يسمونه (أيتل)، ونحن المتأخرين الذين لم نستطع حتى المحافظة على المعرفة التي خلفها لنا أسلافنا العظام قد ضعيينا تسميته العربية العريقة لأننا لا نعرفها، ونقلنا هذه التسمية الروسية مثل كثيرون من المغارف عن المسلمين في البلاد الروسية، وعن أسماء بلادهم، فسميناه (الفولغا)، وكان الأولى بنا أن نسميه بما هو معروف به في كتبنا القديمة، أو نسميه بما سماه أهله من الإخوة المسلمين.



### عند التقاء نهرٍ قره إيديل واق إيديل في أوفا

وقد رأينا في هذا المكان الذي يطل على هذا النهر الشهير من ضفة مرتفعة تحيط بالنهر غابات كثيرة لم تورق بعد.

وقد عجب أهل أوفا مما أسموه حسن حظنا في يوم شامس ديفه إلى

درجة لم يكونوا يحلمون بها، حتى إن الإذاعة ذكرت في الصباح أن درجة الحرارة الكبرى المتوقعة هذا اليوم ستصل إلى ٢٥ درجة مئوية.

وأخبرونا أن الجو قبل أسبوع كان مكفهاً ثالجاً.

ودرجة ٢٥ مئوية تعني عندهم فصل الصيف لا فصل الربيع، لأنها لا تكاد تتجاوز ذلك في الصيف.

لذلك خرج الناس الذين يمكنهم الخروج إلى النزهة في هذا المكان الجميل، وفي هذا الجو الشامس اللذيد، ومنهم عرسان - جمع عروس - والعروس في الفصحي كلمة تصدق على الرجل والمرأة عند الزواج، مثل كلمة زوج هي في الفصحي للرجل المتزوج وللمرأة المتزوجة.



العرسان في المنتزه فوق الهمبة على ضفة نهر إيدل في أوفا

وقد رأينا عروسين اثنين، وكلاهما في لباس أبيض، فذكر الإخوة المراافقون أنهما من أبناء المسلمين، وعلوا ذلك بأن الزوجة تضع على رأسها غطاء أبيض مثل ثيابها يشبه القبعة الأنبياء.

وأشاروا إلى عروسين اثنين وقالوا: هؤلاء ليسوا من المسلمين، بدليل أن الزوجة كاشفة رأسها قد تركته بدون غطاء.

هذا وكنا وجدنا دليلاً سياحية في المكان، كانت قد أخبرت قبل ذلك من قبل السلطات المختصة، وهي ذات معرفة بالأماكن الموجودة في المدينة، اسمها (شكرا فلورا بنت عثمان قريبي)، وهي تترية مسلمة في حدود الأربعين من عمرها، وقد غطت رأسها بمنديل على عادة المسلمين عندما يرتدين لباسهن الوطني.

وقد استفدنا من الإخوة المراافقين، وبخاصة الشيخ (طلعت تاج الدين) من المعلومات عن هذه الأماكن مثلاً استفينا من الدليل أو أكثر.

وكانت تتكلم الإنكليزية بغير طلاقة، فاثرنا أن يترجم لنا كلامها إلى العربية أحد الإخوة المراافقين من أهل هذه البلاد، وبخاصة إمام جامع (أوفا) الشيخ (نور محمد مغفور نعمة الله).

وسمعنا من الدليلة كلمات عربية عديدة دخلت في لغتهم التي لا يفهمها أهل أوزبكستان المراافقون الذين هم من المسلمين المسمى عندنا بالبخاريين.

ومن الكلمات العربية التي ترددت في الترجمة كلمة (لكن)، وقال أحد الإخوة الذين يعرفون العربية: إن في لغتنا كلمات عربية كثيرة تصل إلى ثلث اللغة أو قريباً من ذلك .٪ ٣٠

وأكثرنا من التقاط الصور التذكارية من استجلاء هذه المنطقة من ضواحي مدينة (أوفا) التي ينساب فيها نهر (إيتل) المسمى بالغولغا مفعماً بالمياه، وضفافه قد فاضت إلى أطراف الغابة عليها حتى ظهرت الأشجار

وكانما هي نامية على النهر، وقال الإخوة المرافقون إن كثرة مياه النهر التي جعلتها طمت على الضفاف ناتجة عن موجة الدفع الحالية التي أحالت كثيراً من الثلوج إلى مياه تشبه مياه الفيضان.

### روضة الأطفال:

الاتحاد السوفيتي مشهور بالعناية بالأطفال، وبخاصة أطفال المدن، وقيل في تعليم ذلك إنه لاستكشاف الذكاء (المهارات) العقلية عند الأطفال في وقت مبكر للاستفادة منهم في العقول العلمية في المستقبل.

وأيًّا كان الأمر، فإن زيارة روضة للأطفال في مدينة أوفا هذا اليوم جعلتنا نتأكد من عناية القوم الفائقة بالأطفال.

زيارة روضة الأطفال هذه مما وضعوه في برنامج الزيارة من دون أن نطلع عليه، وهو أمر مفيد لنا، وإن كنا لم نأت من أجل رؤيته وأمثاله، وإنما جئنا من أجل رؤية المؤسسات الإسلامية والاتصال بالمسؤولين من إخواننا المسلمين.



أطفال في روضة الأطفال في أوفا

ذهبنا إلى روضة الأطفال ومعنا الإخوة المرافقون من أهل أوفا على رأسهم الفتى الشيخ الجليل (طلعت تاج الدين)، والشيخ (محمد نور) إمام جامع (أوفا) الذي تولى الكثير من الترجمة، ومع الإخوة المرافقين من أول الرحلة من طشقند، وهم من أهل تلك المنطقة، ولا يعرفون لغة أهل هذه البلاد التي تسمى بالبشكيرية، ولكنهم يعرفون اللغة الروسية التي يجيد التكلم بها، أو يعرف قدرًا منها كل المثقفين في البلاد، لأنها لغة الثقافة في جمع أنحاء البلاد السوفيتية، وكانت إدارة روضة الأطفال على علم بزيارة وفدنا وموعدها، لذلك قابلنا الأطفال بباقات لطيفة من الزهور.

وقد ارتدى هؤلاء الأطفال لباساً قومياً تريراً تقليدياً أهم ما فيه أن يكون على الرأس غطاء من جلد الذئب يتدلّى ذيله على الرقبة مثلما تتدلى عذبة العمامة أي طرفها المتدي عند العرب.

وهذا اللباس قصد منه الظهور بهذه المناسبة، وإنما لا يلبس في المدينة في الأوقات المعتادة، وكانت مع الأطفال المستقبلين عند الباب الخارجي معلمة لهم من أهل البلاد، لطيفة الجسم، رقيقة الطبع، تشبه اللبنانيات في المظهر الخارجي على البعد إلا أنها أكثر شقرة وصفاء في اللون، ثم جاءت المديرة مديرية الروضة، وهي روسية غليظة الجسم، كثيفة القوام، في منتصف العمر.

والأطفال في الروضة مختلفون، منهم روس، ومنهم وطنيون من أبناء المسلمين، وتغلب على الجميع الشقرة في اللون.

وأما البياض فإنه لا فرق بينهم فيه.

وكلهم ذو مظهر صحي جيد، لا يشكون فيما يظهر للناظر من نقص في الغذاء، أو في الصحة؛ فضلاً عن الملابس النظيفة البراقة.

وذكروا لنا أن الروضة تقاضي من أولياء أمور الأطفال أجراً شهرياً

يتراوح بين ٨ و ١٨ روبلًا في الشهر، وأن الطفل الذي ليس لولي أمره دخل يزيد على ستين روبلًا في الشهر لا يؤخذ منه شيء.

وعلم أن الروبل يساوي بالصرف الرسمي دولاراً أمريكياً ونصفاً تقريباً.

وقد سالت طفلة عمرها خمس سنوات، وظاهر من شكلها أنها من بنات المسلمين، عن اسمها بواسطة المترجم فذكر أنه (بنت ديناره). ذكرت المديرة أن عدد الأطفال عندهم في الروضة هو (٤٥٠).

وفي قاعة من الروضة أنشدت مجموعة من هؤلاء الأطفال نشيداً بالروسية، وأخر بالترية، ويسمونها اللغة القومية.

وكان مصورو التلفزة والصحافة المرافقون وغيرهم يصورون ذلك، ويبالغون في التصوير، حتى إنهم صوروا حديقة هذه الروضة، ولا شك في أنهم سيستغلون ذلك للدعائية في المناسبات.

وكان منظر الأطفال وقد تدلى من قبعة كل منهم ذيل ذئب وهو ممسك بيد صاحبه من الأطفال، وهم يرقصون أو يدورون في القاعة منظراً جميلاً. وكلهم ما بين الخامسة والسادسة، أعني أعضاء الفرقة الذي يمثلون أمامنا.

وقالت طفلة في نشيد لها ترجموه لنا: إننا نحن نحتفل بقرب أول مايو عيد العمال، عيد الربيع، فإننا نحب السلام كما نحب الربيع.

ولو كان يصح إفهام هذه الطفلة وأصحابها وصوibحاتها من الأطفال معنى ما يقولون حقيقة، وكذلك من أمرتهم بإنشاد هذه الأنشودة لقلنا لهم: إذا كنتم تعبرون عن رأي مرييكم الذين يعبرون عن رأي حكومتهم التي يسمونها الاشتراكية الشعبية في محبة السلام لماذا تصررون على إرسال

الجيوش السوفيتية إلى أفغانستان، وترسلون معها أشد أنواع الأسلحة التي تقتل النساء والأطفال والشيوخ؟ وحتى الرجال البالغين لماذا تقاتلونهم من أجل أن تخضعوهم بقوة السلاح لنظام شيوعي لا يريدونه؟

ثم أدى الأطفال مشهدأً تمثيلياً قصيراً على أنغام موسيقية بسيطة.

وعند الفراغ وزعوا باقات من الزهور على الحاضرين علامة على الوداع.

ومن هناك تقدمتا المديرة الغليظة إلى أقسام الروضة، حيث زرنا مهاجع الأطفال، ووجدنا فيها طائفة من الأطفال وكأنما هم يغطون في نوم عميق، وقد ربوهم على ذلك حتى إن الواحد منهم لا يدع عينه تطرف فيكتشف من ذلك أنه غير نائم.

وغرفة الطعام - وقد أجلسوا فيها طائفة أخرى من الأطفال وكأنهم يتذلون طعامهم -، وغرفة الألعاب وفيها تماثيل ورسوم وأشكال من ذلك غريبة مما ينمي في الأطفال غريزة الاطلاع على اكتشاف المجهول، ويفدلي الخيال في نفوسهم.

ثم غرفة الرياضة - وهي قاعة كبيرة - فيها أدوات لجميع أنواع الرياضة المعروفة من حمل الأثقال إلى اللعب بالكرات.

ثم في الطابق الأسفل قاعة السباحة، وفيها أطفال يسبحون وكأنما هم يفعلون ذلك بطريقة عفوية، وأنهم لم يعرفوا بقدومنا، وقد ربوهم على ذلك أيضاً من دون أن يشعر الزائر بأن الأطفال الذين كانوا معه قد سبقوه إلى مكان آخر، بل هم كانوا قد وزعوه على هذه الأماكن في روضة الأطفال حتى يشعر الزائر بأنه يشاهد ما يشاهده حياً لا تمثيل فيه، وليس فيه من الترتيب المسبق شيء.

وأخيراً كان الاطلاع على غرفات الدراسة.

وقد خرجنا من روضة الأطفال هذه معجبين بما رأيناه من مظاهر العناية

والترتيب، متأكدين من صحة ما سمعناه من عناية القوم بأطفالهم.

وعندما ودعا العاملات في الروضة، وكل العاملين الذين رأيناهم فيها هم من النساء. سألت بعض الإخوة المراقبين: لماذا كانت هذه الروضة للأطفال نموذجاً حقيقياً لرياض الأطفال الأخرى؟ أهي مختارة فيها ما ليس في غيرها؟ فأجابوا: بأنها نموذج حقيقي، وإن معظم رياض الأطفال في البلاد هي على هذا المستوى الجيد من التنظيم والترتيب والعناية الفائقة.

حدقة النصر :

ومن روضة الأطفال هذه التي هي روضة معنية، زهورها أطفال تسعى على الأرض، كان الانتقال إلى روضة حقيقة زهورها أشجار نامية في الأرض.



**بقاء ثلج الشتاء في الحديقة في أوا**

وصلنا حديقة كبيرة سموها حديقة النصر، يريدون بذلك النصر على الألمان في الحرب العالمية الثانية، وهم الذين غزوا روسيا ووصلوا ضواحي

مدينة موسكو العاصمة.

ورأينا في الحديقة ما دلنا على صحة ما ذكروه من تغير الجو فجأة، أو لنقل إنه تغير منذ عهد قريب جداً، وذلك ماثل في أكواخ من ثلوج الشتاء التي لم تجهز عليها شمس الربيع بعد، أكواخ ثلجية بلغ ارتفاع بعضها المتر.

وقد تسابق الإخوة إلى تصوير هذا المشهد الرائع في جو شامس ربيعي ديفه بالنسبة إلينا، وهو صيفي حار بالنسبة إليهم.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً أن جميع أشجار الحديقة لا تزال هامدة كأنما لم تشعر بشمس الربيع التي أذابت الثلوج.

ووقفنا هذه المرة في مكان مرتفع يطل على نهر آخر من أنهار مدينة (أوفا)، وهو (قرا إيدل) أي نهر الفولغا الأسود، وهو خلاف نهر (آق إيدل) أي نهر إيدل الأبيض الذي كنا نطال عليه قبل قليل، فذلك نهر آخر.

وفي مدينة أوفا ثلاثة أنهار، هي: (آق إيدل)، و(قرا إيدل)، والثالث نهر

ديم.

وجمهورية (باشقيرستان) كما يسميها الروس أو بشكيرستان كما يسميها بعض المسلمين لا تشکو من قلة في المياه، ففيها المئات من البحيرات والقنوات من الأنهر، وما هذه الأنهر الثلاثة التي تقع عليها عاصمتها (أوفا) إلا بعض الأنهر في الجمهورية.

وأوقتنا الدليلة على نصب تذكاري أقيم حديثاً في هذه الحديقة؛ حديقة النصر لمناسبة مرورأربعين عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ويتضمن هذا التمثال قوائم عديدة بمن سموهم أبطال الاتحاد السوفيتي، وهم الذين أبلوا في الحرب بلاء حسنة.

وقد ظهر هنا النهر الأسود أو (الفولغا الأسود) وكأنما هو قد فاض

فيضاناً عظيماً، وهذا هو الواقع؛ لأن مياهه قد شملت الغابات الواقعة على ضفتيه، لأنه أيضاً مثل (النولغا الأبيض) قد أمدته الثلوج الذائبة بمياه عامة كمياه الفيضان.

وزاد من منظره غرابة أن هذه الغابات الواقعة على ضفتي النهر وقد غمرت المياه سوقها - جمع ساق - هي هامدة ليس فيها إلا الأخشاب والأغصان القوية، لأن الأغصان الضعيفة بعضها يتكسر من الثلج أو من عوامل أخرى خلال الشتاء.

وهذا النهر كزميله - إن صح التعبير - تطل عليه رابية مرتفعة من الحديقة، وينخفض مجراه حتى يرى المشاهد منه منظراً جميلاً.

وقد أحسنوا صنعاً بالحديقة إذ فرشوا بالبلاط الجيد الكبير منطقة واسعة منها، كما رأيتمهم يفعلون في الأماكن المهمة لديهم مثل المعارض الصناعية والزراعية التي يسمونها إنجازات الشعب.

### مع رئيس الجمهورية :

ويقولون له: رئيس مجلس السوفيت الأعلى في الجمهورية، وقد وضعت مقابلته في البرنامج من دون أن نشاور في ذلك. ولكننا لم نكره المقابلة، وقد جربنا مقابلة غيره من رؤساء الجمهوريات أو نوابهم في الجمهوريات التي مررنا بها من قبل، وأولها: جمهورية أوزبكستان الشعبية؛ حيث قابلنا رئيسها في طشقند، واتسمت مقابلته مثل غيره بالمحاملة، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر»، وهو كتاب مطبوع.

وصلنا إلى مقر رئاسة مجلس السوفيت الأعلى في المدينة، فرأينا به بناء معتاد، أي ليس فاخراً، ولا يدل مظهره على أنه يشغله أعلى سلطة فيما يسمونها بالجمهورية جمهورية باشقردن.

فاستقبلنا عند الباب الخارجي موظف مسؤول دلنا على أماكن جلوسنا

على مائدة مستطيلة جعل رأسها للمستقبل رئيس الجمهورية، وأنا الذي يليه من جهة اليمين، ثم باقي أعضاء الوفد، ومن جهة اليسار شخص من أهل البلاد، ثم الشيخ (طلعت تاج الدين)، وكان من المعتمد أن يضعوا رئيس الإدارة الدينية في الحالات المماثلة هو الذي يلي رئيس الجمهورية، أي على رأس الصف الآخر، المقابل للصف الذي فيه الضيوف.

بعد ذلك أقبل رئيس الجمهورية، واسمه طنان رنان لا يمثل هذا الاسم إلا الطبل الأجوف الذي له رنين، وليس بداخله شيء، ذلك أنه (فيض الله ولـي سلطانوف).

كلمة فيض الله: عظيمة، وولي التي يراد بها في الأصل ولـي الله، هي الكلمة كبيرة، وسلطانوف معناه باللغة الروسية: سلطان، لأن (أوف) هي ابن أي ابن سلطان.



فيض الله رئيس مجلس السوفييت لباشقيرستان مع الوفد

وهو رجل متوسط القامة، وكذلك متوسط المظاهر، وإلى أن يكون تافه الشخصية أقرب منه إلى كونه متوسط الشخصية.

سلم علينا وجلس في رأس المائدة، ثم بدأ كلاماً طويلاً يقرأه أحياناً، ويرجع إليه أحياناً أخرى من أوراق مكتوبة أمامه فوق المائدة.

وذلك بطريقة سردية إحصائية كلها تمجيد للشيوعية وما فعلته في هذه البلاد حيث انقلب حياة أهلها بسبب الحكم الشيوعي من شقاء وتخلف إلى تقدم وسعادة، حسبما يفهم من مجموع كلامه.

وما شبهت كلامه إلا بـكلام شيوعي يخطب في حزب شيوعي.

وكان كلامه ثقيلاً جداً على النفس لما فيه من المغالطات بل الأباطيل من جهة، ولأنه عهد بالترجمة إلى الشيخ (محمد نور بن نعمة الله) إمام جامع أوفا، ومعرفته بالعربية ليست جيدة، وإن كان قضى في سوريا سنتين بعد أن كان قد تعلم مبادئ العربية في البلاد، إلا أنه كان يتعذر ويتרדد في ترجمة أقوال الرئيس، وقد عرفنا سبب تلعثم وتردده بأنه ناشئ عن قصر في فهمه للغة العربية حيناً، وبخاصة أنه يترجم من اللغة التترية إلى العربية، وأحياناً أخرى من الحرج الذي يشعر به تجاه ترجمة العبارات غير المناسبة التي كان يتكلم بها الرئيس (فيض الله) كما يسمى.

لذلك كانت فترة الكلام التي امتدت مع ترجمتها ساعة كاملة ثقيلة على النفس، بل مؤلمة، وكنا نتمنى لو اختصر الكلام، أو لو أعطيت الترجمة للماهر بالعربية الشيخ طلعت تاج الدين الذي يترجم لنا في مناسبات عديدة، بل كان طول مراقبتنا في الرحلة يترجم لنا إذا احتجنا إلى ذلك.

ولكن الأوامر المسيقية المرتبة قد عينت الأخ (نور محمد)، ولا يجوز أن تغير إلا بأمر خاص لا نملكه نحن، ولا يملكه الشيخ طلعت.

هكذا فهمنا الأمر، لأنني أوعزت للشيخ طلعت بالطيف أن يترجم هو،

ولكنه لم يفعل مع حرصه على الاستجابة لـكل رغبات إخوانه من أعضاء الوفد، وإن كان لم يذكر لي شيئاً عن الترتيب المسبق، كما لم يذكر شيئاً عن السبب في أنه لم يطلب منه أن يكون المترجم، شأنه في هذه الأمر شأنه في أكثر الأمور التي يظهر أنه لا يوافق عليها من أمور هذه البلاد، ولكنه لا يظهر ذلك أمام الضيوف، بل حتى لا يسر إلى بذلك التزاماً منه بمبدأ الضيافة، وأنه ذكر المحسن، والسكوت عن المساوئ، أو لأمر آخر هو أنه وأمثاله من كتب عليهم أن يعيشوا في هذه الدولة التي تخنق أنفاس الناس فيها، وتجعلهم يعيشون كأنما هم يعيشون داخل سجن كبير أسواره إرادة للحكومة الشيوعية، وليس معها إرادة أخرى، وعسف في الحكومة لا يراعي عاطفة ولا قانوناً.

ولنعد إلى كلام رئيس مجلس السوفييت الأعلى في الجمهورية (فيض الله ولی سلطانوف) نقله بأكثربنوصوشه كما أبلغنا به المترجم، وإن كان بعض الحاضرين الذين يفهمون اللغتين قد أخبرنا أن بعض كلامه لم يترجم، ولا أدرى السبب في ذلك.

قال فيض الله الذي كان أكثر كلامه فيضاً من الشيطان، وذلك بعد أن رحب بالوفد في جمهورية بشقراستان المتمتعة بالحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية: إن بشقراستان دخلت التاريخ عندما تأسست في ٢٣ مارس ١٩١٩م جمهورية بشقراستان المتمتعة بالحكم الذاتي، وإن جمهورية بشقراستان تقع في الإقليم الأوسط بين قارتي أوروبا وأسيا، وإن جبال أورال تقسمها إلى جزأين، وتبلغ مساحتها الإجمالية ١٤٣٠٠ كم، منها ٦٢٠٠ كم من الغابات، وتقدر الأراضي الزراعية بحوالي ٤٩٠٠ كم، ويصل عدد سكان الجمهورية حوالي أربعة ملايين نسمة، ويسكن في العاصمة أوفا ١١٠٠٠ نسمة، عمل الحزب الشيوعي منذ توليه السلطة على تطوير البلاد علمياً وصناعياً وحضارياً، وقبل الثورة الشيوعية لم يكن يوجد

في باشكيريا مصنع واحد، وكان عدد العمال ١٨ ألف عامل فقط، والآن يبلغ متوسط عدد عمال المصنع بحوالي ٢٠ ألف عامل، وقبل الثورة الشيوعية كان ١٣٪ من المزارعين لا يملكون أراضي زراعية، وإن ٢٢٪ منهم لم تكن لهم آلات حرف، وإن ٨٪ منهم لم تكن لهم مواشي، وإن عدد المتعلمين حينذاك ٤١ متعلماً في كل ألف شخص، وإن الفقر والأمراض والجهل كانت منتشرة بين الناس.

ويقول الرئيس إنه بفضل الثورة الشيوعية ومبادئ الحزب الشيوعي أصبحت باشقرستان جمهورية متطرفة صناعياً وزراعياً وعلمياً، وارتفع إنتاج البلاد إلى أكثر من ألف ضعف، ويستخرج النفط، وتقوم عليه صناعات بتروكييمائية، كما توجد بها صناعات متطرفة متعددة مثل صناعة السيارات والمحركات، ويصدر الإنتاج إلى ٩٠ دولة في العالم.

وقال رئيس الجمهورية: إن مستوى التعليم والثقافة والفن قد تطور في البلاد، إذ توجد جامعة وأكاديمية العلوم الباشقردية، وعشرات من معاهد البحوث العلمية العليا، بينما لم يكن في العهد القيصري مسرح في البلاد أصبح الآن بها سبعة مسارح، وخرج الفنانون الباشقدريون بفنونهم وغنائهم إلى خارج الاتحاد السوفيتي مثل إسبانيا، ونال تقديرأ عالمياً بعد أن تخلص المواطنون الذين قد كان الدين الإسلامي يمنع الفناء والرسم والرقص، ويفرض على المرأة الحجاب، وأنه الآن بمبادئ الشيوعية تحررت المرأة، وأصبحت حرية ت العمل ما تشاء، وازدهر الأدب حالياً، فالكتب الشعبية تطبع وتبيع بالملايين.

واستمر رئيس الجمهورية في حديثه يقول بأن لجمهورية روسيا السوفياتية الفيدرالية خدمات وإنجازات للشعب الباشكيري، ومنحت جمهورية باشقرستان أربع أو سمة، ومنها جائزة العلم الفخرى للتزام باشقرستان بمبادئ الحزب الشيوعي، وإن الشعب الباشقدري يعمل بإخلاص

في إنجاز مقررات وتوصيات مؤتمر الحزب الشيوعي ٢٧ الذي عقد مؤخراً في موسكو. ونظراً لاجتهد الشعب الباشقري، وتمسكه بالمبادئ الشيوعية، فقد أنجز المشاريع والخطط المرسومة قبل أوانها بربع عام، ومن المتوقع أن يبلغ الدخل السنوي هذا العام ١٣٠ مليون روبل.

ثم تكلم رئيس الجمهورية عن مجلس الشعب الباشقري فقال بأن المجلس يضم ٢٨٠ مندوياً من مختلف فئات الشعب، يتم انتخابهم كل خمس سنوات، وإن المجلس الحالي قد جرى انتخابه في ٢٤ فبراير ١٩٨٥، ويمثل العمال والفلاحون ٥٠٪ من أعضاء المجلس، والباقي هم رؤساء المجالس المحلية، ويمثل النساء ١٠٨ مقعداً، والشيوعيون ١٧٦ مقعداً، وإن ٥٪ من أعضاء المجلس تقل أعمارهم عن ثلاثين عاماً، وبأي أكثريه الأعضاء من الباشقريين، ثم الروس، ثم التatars حسب عدد كل قومية من المنطقة، واللغة الرسمية هي الروسية، ولكن جميع المقررات ترجم إلى لغة الباشقري وغيرها من اللغات القومية.

يشكل المجلس لجاناً متخصصة للمراقبة وإنجاز العمل والمتابعة، وهناك ١٥ لجنة دائمة في الوقت الحاضر.

وإن مجلس الشعب يتولى وضع الأسس والخطط العملية في مجالات العمل والصناعة والزراعة وغيرها بدراسة ميزانية البلاد والتصديق عليها، والمجلس بصفة عامة هو أعلى سلطة في البلاد، تعقد جلساته مرتين في العام، وقد تلقى المجلس ٢٣ ألف اقتراح وتوصية من مندوبي الشعب، ونفذ حتى الآن ٤٠٪، والباقي تحت الدراسة، والعمال وجميع أفراد الشعب في الاتحاد السوفيتي يكرسون جهودهم لإنفاذ خطط مشاريع الدولة، ومقررات المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي العام الذي عقد مؤخراً.

ونظراً لحديثه الصارم، وتقاخره بمبادئ الحزب الشيوعي وأفكار الإلحاد، وكأنه يتكلم في مؤتمر خاص للحزب الشيوعي، فقد لقي المترجم

وهو الحاج نور محمد إمام مسجد أوفا صعوبة في ترجمته من اللغة الروسية إلى اللغة العربية، حتى إن أكثر ما قاله الرئيس لم يترجم ... أو لم يتمكن من ترجمته.

وقد أجبت رئيس الجمهورية هذا بشكره على الترحيب بالوفد، وعلى المعلومات التي قدمها عن جمهورية باشقرستان وقلت: إن كان الشعب السوفيتي شعباً صديقاً لنا، فشعب هذه الجمهورية صديق وشقيق لأن طائفة كبيرة من الشعب هم من المسلمين، وقد دخل الإسلام إلى بلادكم منذ أكثر من ألف عام بدون إكراه؛ بل طوعية ورغبة في دين الحق.

ونحن وفد من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وهي هيئة شعبية عالمية، وليس حكومية، وإن كانت حكومة المملكة العربية السعودية وعلى رأسها جلاله الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، تقدم الدعم المالي لإنفاذ مشاريعها وأعمالها الإسلامية، وميدان عمل الرابطة هو الثقافة الإسلامية، ولا تتدخل في سياسات الدول أو نظمها الداخلية.

والرابطة التي تمثل المسلمين في العالم من خلال مجالسها التي تضم ممثلين من مختلف الشعوب والجماعات الإسلامية في العالم تعمل مع الجميع في توثيق الصلات الثقافية الإسلامية، لذلك كان سرور الرابطة كبيراً عندما تلقت دعوة من الإدارات الدينية في الاتحاد السوفيتي لزيارة المسلمين، والاطلاع على أحوالهم، والتشاور معهم فيما يخدم الإسلام والمسلمين، وهي ترجو أن تكون علاقتها لصالح المسلمين. ومع أن رابطة العالم الإسلامي تقدم مساعدات إلى الجمعيات الإسلامية في العالم، فالإدارات الدينية في الاتحاد السوفيتي قالت لا نريد منكم دعماً مالياً، ولكن نريد التعاون معكم في ميدان الثقافة الإسلامية والصدقة والإخاء، ونحن نعتقد أن الثقافة الإسلامية تجمع بين الشعوب الإسلامية، وشعب هذه البلاد هي جسر الصدقة والود، ومن مسؤولية الرابطة ومسؤوليات الإدارات الدينية المحافظة عليها والعمل على

ازدهارها.

والجمعيات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم تتعاون مع الرابطة، ونعتقد أن التعاون مع الجمعيات والإدارات الإسلامية هي علاقة صداقة وتعاون ثقافي. وأن تقوية العلاقة الثقافية بين الإدارات الدينية والرابطة هي تقوية العلاقات بين الشعب المسلم والشعوب غير المسلمة، فالإسلام دين المحبة والسلام، وهو يبحث على التعاون بين المسلم وغير المسلم لما فيه صالح الوطن والإنسان.

والمسلمون في الخارج يتبعون أخبار إخوانهم المسلمين في الاتحاد السوفييتي، ويعتبرون أن المعاملة الكريمة للMuslimين هي معاملة طيبة لهم، وأما إذا كان العكس فإن ذلك يؤثر على المسلمين في أنحاء العالم.

وبيّنت له أن الإسلام لا ينافي التقدم في الحياة، أو يمنع من تعلم العلوم؛ بل هو سبب من أساليبه، فالعرب عندما أخذوا بالدين نجحوا وأسهموا في الحضارة الإنسانية بما لا ينكره منكر، وضررت له مثلاً حاضراً بالملائكة العربية السعودية التي تأخذ بالإسلام، وقد قطعت أشواطاً حثيثة في الرقي والحضارة اعترف بها الجميع.

ولم أذكر له ما أشار إليه من أن الدين - ويريد بذلك الإسلام - يمنع الموسيقى، ويلزم المرأة بأن تغطي وجهها، فإن عقله الشيوعي لا يتحمل ذلك، وإنما لقللت له: إن الدين الإسلامي ليس كذلك، فهناك قول قوي في الإسلام في أن وجه المرأة وكفيها هما من الزينة الظاهرة التي لا يأس عليها في إبرازها.

وإذا كان لا يؤمن بهذه الأشياء ذكرت له أممًا كثيرة، ومنها أمم إسلامية لا تحرم الموسيقى، ولا تلزم المرأة بأن تخفي وجهها، ومع ذلك لم يكفل لها ذلك الرقي ولا التقدم، فلم تكن تغطية الوجه ولا عدم الاستماع للموسيقى هي التي ترقى الأمم أو تؤخرها.

وقد تبين أنه يهرف بما لا يعرف حينما ذكر أن هذه البلاد التي شعبها جزء من التتار كما يسمون الآن، وإن كان بعضهم يسمىهم الباشقراذ، ولهم علاقة بهم، والتتار في هذه البلاد رفعهم الله بالإسلام حتى إنهم استولوا على معظم بلاد الروس، وكانت الغلبة لهم على مدى قرون، وقد نسي ذلك أو تتساه حين نسب كل شيء يمت إلى التعلم والتمدن والتقدم بصلة إلى الحكم الشيوعي في هذه البلاد.

وإذا كان في بعض ما ذكره وجاهة من الناحية المدنية في الأزمة المتأخرة، فإن هذا ليس راجعاً إلى الدين الإسلامي، وإنما هو راجع إلى الأخذ بالأسباب أو عدم الأخذ بها.

ولكن هذا وأمثاله وهو يتحدث إلى ضيوف ظنهم لا يعرفون تاريخ هذه البلاد، ولا يدركون أسباب التقدم والتأخر إنما هو على ما قال القائل:

ربما اعتقد حقاً أننا قدمنا من البادية، ولم يدر أن بلادنا أكثر تقدماً من بلاده في الأمور المادية التي تمس حياة أفراد الشعب وما يتمتع به من خدمات.

ولم نصادف شيوعيَاً سواء أكان روسيَاً أم كان من أبناء المسلمين من هو أشد تحمساً لإظهار ما زعم من محاسن الشيوعية مثل هذا الرجل، وقد فاق بذلك أهل الشيوعية الأصلاء في مدحها وهم الروس، فكان يصدق عليه قوله الشاعر:

وَكُنْتَ أَمْرَءًاً مِّنْ جَنْدِ إِبْلِيسِ فَارْتَقَى  
بِي الْحَالِ حَتَّىٰ كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ جَنْدِي

أما الصناعات الموجودة في البلاد والعلوم التجريبية التي في مدارسها وجامعاتها كما ذكر، وكذلك المسارح فيها، فإنها موجودة بل موجود أكثر منها أضعافاً مضاعفة في بلاد كثيرة حرمة في اقتصادها هي أقل إمكانات من

هذه البلاد، وأضعف في المواد اللازمة للتقدم الصناعي.

### آخر صفة:

ربما لم تمر بي في حياتي كلها صفة هي أخسر لي من صفة هذا اليوم، ولا يهون من وقع هذه الخسارة في نفسي إلا كوني لم أرض بهذه الصفة، بل لم أزامر فيها.

ذلك بأنني وقد انتهينا من الزيارة وأردنا الانصراف قدمت له هدية كان أحضرناها معنا على عادة وفدى في تقديم الهدايا والمجاملات لرجال الإدارة في هذه البلاد، علىأمل أن يكون في هذا ما يجعلهم يعاملون المسلمين، ويعاملونهم معاملة أفضل، وربما يمحو من نفوسهم بعض الدعایات الشيوعية الملحدة المفترضة عن الإسلام وأهله.

فكان منها مصحف كريم من طباعة مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم في المدينة المنورة، ونحن اعتدنا على أن نهديه لأبناء المسلمين من كبار الموظفين الذين توضع زيارتهم في برنامجنا على اعتبار أن ذلك قد يحرك في نفوسهم الحنين إلى أصلهم الإسلامي الحنيف.

فقدت المصحف الكريم إليه وقلت له: هذا هو المصحف الكريم المطبوع في المدينة المنورة، وهو بطباعة فاخرة، فنظر إليه وقال: كتاب؟ إنني سوف أهدي إليك كتاباً أيضاً، والتقط من المكتب كتيباً صغيراً في حجم مفكرة الجيب، وقال: هذا هو دستور جمهوريتنا !.

وصعبت قائلاً في نفسي: أيعادل هذا الشخص التافه بين كتاب الله تعالى وبين دستور ولاية شيوعية مبني على الإلحاد وإنكار وجود الخالق ؟ ثم قلت في نفسي: كل ينفق مما عنده.

وهون الأمر عليّ أنني لم أرض بهذه الصفة ولم أعقد بها عقداً.

ثم عدنا إلى الفندق مع شارع أكتوبر الواسع المستقيم، وبينما كنا في الشمس عند باب الفندق شعرنا بحرارة الشمس، فانتقلنا نبتغي الظل، وقال أحد الإخوة من أهل البلاد: أليس من العجيب أن يهرب الناس من الشمس وهم في شهر أبريل وي giovar سيبيريا؟

ثم قال: هذا خلاف المعاد.

وفي هذه الجولة وبعدها أبصرنا طوائف من السكان، فكان الانطباع العام عنهم أنهم ذوو أجسام متناسبة، لا يغلب عليهما الغلظ كالروس، ولا السمن كبعض الأوروبيين، كما أن ألوانهم صافية، وتقاسيم جوهرهم مستقيمة وفق مقاييس الجمال المعهودة، وتكثر الشقرة فيهم.

أما لباسهم فإنه يكاد يكون الأوروبي المحتشم على النساء، وهذا الكلام على سكان المدينة، والنساء لا يتبرجن شأنهن في ذلك شأن النساء فيسائر أنحاء الاتحاد السوفياتي التي رأيناها.

مع العلم بأن سكان مدينة أوفا ليسوا كلهم من المسلمين البشقرذن الأصلاء، بل غزتهم طوائف من الروس أو الأوكرانيين، فساكنوهم وكادوا يكترونهم على بلادهم، وتقدر نسبة المسلمين في المدينة بـ ٥٥ %، ونسبة الروس والأوكرانيين أهل أوكرانيا بـ ٤٥ %.

وأما الأرياف والقرى في هذه البلاد، فإن أغلبها لا يزال خالصاً للمسلمين.

ويذكر هنا أن المدينة البلغارية التي دخلها ابن بطوطة، وذكر أن مضيفه فيها قال له: عجل بأكل العشاء حتى نصل إلى صلاة العشاء قبل أن يطلع الفجر تبعد عن مدينة (أوفا) هذه أربعين كيلومتراً جهة الغرب حسبما قال لنا أهل البلاد، وهي التي قال بعضهم: إنها هي التي زارها ابن فضلان قبل زيارة ابن بطوطة لها بأكثر من ثلاثة قرون، ولا أدرى صحة ذلك.

## في مقر الإدارة الدينية:

كان موعد زيارة الإدارة الدينية لسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي وسيبيريا هو الساعة الثانية ظهراً.

ووجدنا في استقبال الوفد الأخ الكريم طلعت تاج الدين، ومعه عدد من الإخوة الكرام أئمة المساجد التي تتبع إدارته الدينية هذه.



## الاستقبال في مقر الإدارة الدينية في أوفا

تقع الإدارة في مكان واسع يتضمن عدة غرفات وقاعات، أهمها التي فيها مكتب الشيخ طلعت حيث جلسنا على مائدة خصصت للاجتماع.

ثم ارتجل الشيخ كلمة كان يرجع في بعضها إلى إحصاءات مكتوبة، وهي كلمة مفيدة ألقاها أمام جميع المرافقين، وفيهم المرافقون من رجال الإعلام الذين عددهم خمسة، وقد سجلوا ذلك بالتصوير المتفجر والتصوير الصحفي، ويتسجّيل الكلام كما هي عادتهم في مثل هذه الاجتماعات التي

يعقدها الوفد مع ذوي المقامات أو المناصب في هذه البلاد.

استهل الشيخ طلعت تاج الدين كلمته بسروره وسرور المسلمين في هذه البلاد لزيارة وفد من الإخوة أهل الحرمين الشريفين، وهي زيارة كانوا يتمنونها منذ القديم. وقال إن المسلمين يتحدثون في كل المساجد عن قدوم وفد الحرمين الشريفين إلى بلادنا، وكلهم يتمنى أن يروركم، وأن تحلووا ضيوفاً عليهم.

ثم تحدث عن دخول الإسلام إلى المنطقة، فقال: إن الإسلام دخل بلادنا منذ أكثر من ألف عام بقدوم التتار المسلمين إلى منطقة أورال التي عرفت في التاريخ الإسلامي بمملكة البلغار، وبعد أن استتب الإسلام في البلاد طلب ملك البلغار من الخليفة العباسي المقتدر بالله إرسال بعثة إسلامية إلى بلاده تقوم على الإرشاد والتوعية، فجاء إليهم الوفد في ١٦ محرم ٢١٠ هـ ٩٢٢ م في ذلك التاريخ وأهالي بلاد البلغار هم مسلمون.

وقال: إننا بمسجد موسكو وسائر الشؤون الإسلامية نرجع إلى إدارتنا، وكانت إدارتنا هي الإدارة المركزية لسلفي روسيا في القديم.

وقال: لسنا تتاراً، وإنما التتار احتلوا بنا وأسلموا، وقال: إن موسكو تعتبر من الناحية الإدارية في إدارتنا تابعة لأوقيانوسيا.

قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧ لم يكن للمسلمين نشاط ملموس، فالشرطية كانت تعين الإمام، وب يأتي تعين المفتى من الإمبراطور القيصري نفسه، وهذه الإدارة الدينية أول إدارة دينية إسلامية تأسست في روسيا قبل مائة عام عندما فكر القيصر الروسي في تنظيم شؤون المسلمين، وكان القيصر نفسه يعين المفتى وستة نواب له.

وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ كان عالم جان باروروبي أول مفتى لإدارة

الدينية في الاتحاد السوفيتي، ثم خلفه الشيخ ضياء الدين فخر الدين عام ١٩٢٦، وتشرف هذه الإدارة على جميع شؤون المسلمين في سيبيريا والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي، ويبلغ مساحة نشاطها من الشرق إلى الغرب ٦٠٠٠ كيلومتر طولاً، ومن الشمال إلى الجنوب ٤٠٠٠ كيلومتر عرضاً، وتتصل بها ١٢٢ جمعية إسلامية منتشرة في المدن والقرى، منها على سبيل المثال:

١٤ جمعية إسلامية في باشكيريا (باشقوردستان).

١٨ جمعية إسلامية في تatarستان.

١٥ جمعية إسلامية على نهر الفولغا.

١٠ جمعية فيما وراء نهر الفولغا.

٤ جمعيات إسلامية في غروكى قرب موسكو.

١٢ جمعية إسلامية في سيبيريا.

كما أن هناك جمعيات إسلامية في لينينغراد شمالاً، وفي استراخان جنوباً، وفي (أركوتسك) في أقصى الشرق من سيبيريا، وفي أومسك في أقصى الغرب من سيبيريا، وفي السنوات الأخيرة تم فتح ٢٦ جمعية إسلامية، ومنذ ثلاثة سنوات تأسست جمعية إسلامية في فولغا غراد (Volgograd سابقاً). ستالينغراد

ومعنى الجمعية الإسلامية القيام على شؤون مسجد موجود، أو القيام على إنشاء مسجد جديد، وأغلبها لاستعادة مساجد قديمة.

وقال بأن الحكومة في بعض المدن والقرى تعيد المساجد لل المسلمين الذين يقومون بترميمها وإصلاحها، وبعضهم يعمل بيده إذا كان لا يستطيع الإسهام بدفع النقود، وتنسابق الرجال والنساء إلى ذلك.

كما يقوم المسلمون بتحمل تفقات دراسات الطلاب المسلمين في معهد الإمام البخاري، وتتكلف دراسة الطالب من ٧٥٠٠ إلى ١١٠٠٠ روبل، وتشمل تذاكر السفر والإقامة والطعام والشراب ونفقات الدراسة، والمسلمون يتبرعون بسخاء للجمعيات الإسلامية، وهذه الجمعيات تموي الإداره الدينية حسب إمكاناتها، وقد تبرعت الإداره الدينية بمبلغ ٣٠ ألف روبل إلى صندوق السلام السوفييتي من فائض ميزانيتها في العام الماضي، كما تقوم الإداره اعتماداً على تبرعات المسلمين ببعض النشاطات الإسلامية في إيفاد بعثات الحج والوفود إلى الخارج، وطبع الكتب والمصاحف، فقد طبعت الإداره المصحف الشريف في قازان عام ١٩٨٤.



### مكتب الشيخ طلعت تاج الدين في مقر الإداره الدينية في أوفا

وعندما فرغ الشيخ طلعت تاج الدين من حديثه تكلمت شاكراً على الحفاوة وحسن الاستقبال، وعلى صحبة الشيخ طلعت تاج الدين لوفد الرابطة منذ وصوله إلى موسكو، كما شكرته على المعلومات الوافية التي قدمها

عن أعمال الإدارة الدينية لسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي للاتحاد السوفييتي، وأثبتت على غيرة المسلمين في التبرع للأعمال الإسلامية، وتمسكهم بالإسلام، وأبديت لهم استعداد الرابطة للإسهام في مشروعاتهم الإسلامية إذا تقدمت الإدارة الدينية إليها بذلك، أو عرضت عليها بعض المشروعات التي يمكن أن تتعاون معها الرابطة على تنفيذها في الوقت الحاضر.

وختمت حديثي برجاء هو في الحقيقة كلام موجه إلى المسؤولين السياسيين في الاتحاد السوفييتي، وهو أن تعاد المساجد كلها لل المسلمين حتى لا تكون هناك حاجة لأن نسأل عن مسجد يفتح أهوا مسجد جديد أم مسجد من مساجد المسلمين القديمة أعيد لهم بعد أن كان محتجزاً؟ وكانوا ممنوعين منه.

### أول تسجيل للقرآن في سيبيريا:

بعد تبادل الكلمات والاحفل الخطابي الذي حضره عدد من أئمة المساجد والمشغلين بالشؤون الإسلامية الذين منهم رؤساء جمعيات المساجد في البلدان القرية والبعيدة التي تتبع هذه الإدارة الدينية، ومعنى رئيس الجمعية الإسلامية رئيس جمعية المسجد؛ لأنه ليس من المسموح به القيام بأى نشاط إسلامي غير ما يتعلق بالقيام على أمر المسجد من جمع التبرعات لعميره، أو من أجل إرسال التبرعات من المسلمين إلى الإدارات الدينية لكي تصرفها في المصارف المتعلقة بأمور الدين.

قدم الشيخ طلعت تاج الدين هدايا للوفد، منها (هاتف) فاخر أصفر اللون من الهواتف القديمة، قال إنه مصنوع في مدينة (قازان) عاصمة جمهورية (تatarستان)، وهي العاصمة الإسلامية المشهورة في تاريخ المسلمين في هذه المنطقة.

كما قدم لي أيضاً ولبقية الإخوة أعضاء الوفد هدايا أخرى، ومنها

أوعية معدنية فيها عسل من المنتج في البلاد، وهو الذي تغذى نحله على أزهار الزيزفون، فصار له طعم ونكهة متميزة وشகرتة على ذلك، وقدمنا له الهدايا لشخصه، وهي عباءة عربية مقصبة، وقد فرح بها كثيراً لأنها تلبس في المناسبات الإسلامية، وساعة يدوية، وتمر من تمر المدينة المنورة، وسجادة صلاة، ومصحف كريم فاخر الطباعة مما طبع في المدينة المنورة، كما أهدينا للإدارة الدينية مصحفين كريمين.

إن هدية المصحف في الاتحاد السوفيتي من أغلى الهدايا حتى ولو كانت طباعته معتادة؛ لأنه لا يوجد للبيع، وحتى المصحف المطبوع في مدينة (قازان) في الاتحاد السوفيتي لا يستطيع كل شخص من الداخل أن يحصل عليه، ولو بشمن مرتفع، لأن النسخ التي طبعت منه كانت محدودة بأمر من الحكومة، ويمنع بيعها بيعاً عاماً على الناس، وإنما تقدم هدايا للضيوف الأجانب وللإدارات الدينية.

وقد حددت الحكومة عدد النسخ المخصصة من العدد المحدود المطبوع منه لتوزيعها في الخارج، والعدد المخصص للداخل.

ولا يمكن إرسال المصاحف إلى المسلمين بالبريد، أو عن طريق الشحن؛ لأنها مثل سائر الكتب تصادرها الحكومة، ولا يصل منها إلى أصحابها شيء.

ولذلك كانت الطريقة الوحيدة لإيصال المصاحف والمكتب هي حملها مع الضيوف والزوار الذين يستضيفهم الاتحاد السوفيتي كما فعلنا نحن.

فإذا كان المصحف المهدى فاخر الطباعة مما لا يوجد له مثيل في الاتحاد السوفيتي، وأضيف إلى ذلك كونه مطبوعاً في المدينة المنورة، كان ثميناً لا يقدر عندهم بشمن لنفاسته وقيمتها المعنوية عند المهدى إليه.

كما أهدينا للإدارة الدينية تسجيلاً للقرآن الكريم على أشرطة مع

جهاز التسجيل وأشياء أخرى.

وكان من الحاضرين الشيخ ذو القرنين إمام جامع أومسك في سيبيريا عندما أعطيته تسجيل القرآن الكريم مع جهاز التسجيل ومصحف كريم قال: إن هذه الأشرطة التي قد سجلتم عليها القرآن الكريم هي أول أشرطة من هذا النوع؛ بل هي أول تسجيل للقرآن الكريم يدخل إلى سيبيريا حسبما، عرفه.

وقال: إنه سيتسع من ذلك في المسجد هناك.

ثم أطلع الشيخ طلعت أعضاء الوفد على مصحف كريم مخطوط مذهب مكتوب في عام ٤٥٠، وقال: إنه هدية ثمينة مجانية قدمها صاحبها للإدارة الدينية، وكان يحتفظ بها، وهو من سكان سيبيريا، أي من سكان المملكة الإسلامية التي كانت موجودة في سيبيريا قبل استيلاء الروس على تلك المنطقة.

فوجدت أوراقه وكتابته تدل على ذلك، وهو مذهب وكبير الحجم.

ثم أرانا صفحة مكثرة مصورة من مصحف قال إنه مصحف عثمان رض، وليس لديهم منه إلا هذه الصفحة.

والله أعلم بذلك.

وفي نهاية اللقاء تجولنا معه على أقسام الإدارة الدينية، وفيها غرفتان فيهما سرر للضيوف والزوار الذين يزورون الإدارة، ولهم حق الضيافة الذي هو أدنى من إسكانهم في الفنادق، فيستضيفونهم فيها.

إلى جامع أوفا:

انتقل الموكب المؤلف من عدة سيارات كالعادة إلى جامع (أوفا)، فرأيناه تطل منارته شامخة مع قبة رazine بجانبها على مساحات شاسعة من

ضفاف نهر إيدل أبي (الفولغا) وهو (إيتل) بلغتها العربية الأصيلة التي ضمت هذه التسمية من معارف أسلافنا العرب المسلمين. فهو يقع فوق راية عالية في منظر مهيب، وتكاد الأشجار الياسقة تعانق المنارة السامقة، وقد تحاتت عنها أوراقها كما تحت الذنوب عن المصلين المخلصين.

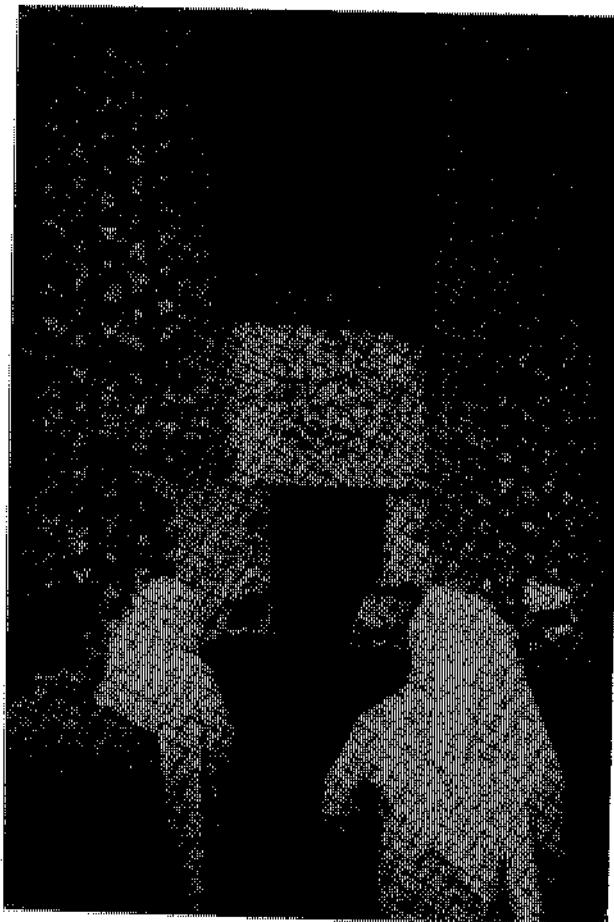


### منظر خارجي لجامع أوفا

عندما ترجلنا من السيارات داخل الفناء المكشوف للمسجد الذي تقع الحديقة في أطراقه وحول مبني المسجد نفسه، كان ترجلنا وسط حشد من الإخوة والأخوات المسلمات اللاتي كن أكثر شوقاً إلى رؤية إخوتهن في الإسلام من أشقائهن الرجال، وكاهن مسنات، وبقل أن ترى فيهن التصف، كما أن الرجال أكثرهم من الكهول، وإن كان فيهم بعض الشبان ولكنهم قليل.

وخبرونا أن بعض هؤلاء الإخوة رغم كونهم من عامة المسلمين، وليسوا من الموظفين العاملين في إمامية المسجد أو نحوها، فإنهم قد جاؤوا إلى أوفا من

مسافات بعيدة، وجاؤوا إلى هذا المسجد من أجل السلام على الوفد  
ومصافحته حتى يفوزوا بذلك، وأخبرونا أن البلاد التي مررنا بها من قبل إذا  
حضر أحد من الإخوة المسلمين الذين تمكنا من مصافحة الوفد، فإن  
إخوانهم المسلمين يقبلونهم ويصافحونهم لكونهم صافحوا جيرة رسول الله ﷺ  
وسكنته بيته الحرام.



### مدخل جامع أوفا

وكان وقت صلاة الظهر قد أدركنا، فدخلنا إلى المسجد حيث أدينا  
صلوة الظهر مع هؤلاء الإخوة جماعة في جو كله خشوع وهيبة.

وقد عجبت من هذه المشاعر الغريبة التي تتنابني عندما أرى مثل هؤلاء الإخوة الذين ينظرون إلينا، ويتمتعون برؤيتنا أكثر مما ينظرون إلى رؤية أهليهم أو أقاربهم حتى من يقدم منهم من غيبة طويلة.

وكل ذلك محبة في الدين الإسلامي، وفي أحفاد حملته إلى العالم الذين عدُونا منهم، نسأل الله تعالى أن لا يخيب ظنهم فينا.

هذا مع أن الصلة ما بينهم وبين البلدان الإسلامية منقطعة بل منعدمة منذ سنين طويلة ربما وصلت إلى القرون.

حتى العهد الحاضر عهد الطائرات النفاثة واختصار المسافات لا يستطيع أحد منهم، ولو كان يملك المال والوقت أن يحج بيت الله الحرام، لأن أنظمة الحكومة الشيوعية الملحدة التي تملك مقادير بلادهم، وتسلط على أمورها لا تسمح لهم بالحج، وإنما يؤدى الحج كل عام نفر من الاتحاد السوفياتي لا يتجاوز عددهم بحال بضعة عشر رجلاً، وكان عددهم في العام الماضي اثنى عشر رجلاً كلهم من العاملين في الإدارات الدينية، أو من أئمة المساجد، أي أنهم من الموظفين المضمونين عن قول ما يشين في حق سياسة الكرملين، وأما أفراد الشعب، فإنه لا حج لهم ولا عمرة، حتى ولا يسمح لهم بالسفر خارج البلاد سفر راحة أو سياحة، وإنما يقتصرن السياحة وطلب الراحة في داخل حدود بلادهم، وهي بلاد واسعة شاسعة، ولكن ليس فيها ما يطبه السائح من حرية في القول، أو حرية في التجول، أو حتى حرية في الاعتقاد من دون أن يخشى أحداً من العباد إذا ما أعلن شيئاً من اعتقاده.

لقد كان منظر هؤلاء الإخوة والأخوات وهم يسلمون خاشعين مجلدين ومتحترمين لإخوتهم المسلمين منظراً لا يمحى من الذاكرة، ولا يمكن تصويره بالكلام، ولا يستطيع مثلي حينما يراه إلا أن يسأله سبحانه، ويجله على عظمة هذا الدين الذي يرى أثره على المسلمين عين اليقين، وليس بخبر المخبرين.

## الخطابة :

بعد انقضاء الصلاة تقدم الشيخ الفتى (طلعت تاج الدين) إلى مكابر منصوب في المحراب بجانب المنبر، فتكلم بكلام مؤثر قدّم فيه أعضاء وفدىنا وأسمائهم واحداً واحداً، وقال: إنهم جاؤوا من رابطة العالم الإسلامي من مكة المكرمة من جوار الكعبة المشرفة من أرض الحرمين الشريفين.

وقال: إنه سبق أن حدثهم عما رأه في الحرمين الشريفين عندما أدى فريضة الحج في العام الماضي، وأنه قد بشرهم بأن وفداً من الديار المقدسة سيزورهم ويسلم عليهم.

ثم حدثهم بما عرفه من نشاط رابطة العالم الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي؛ يل في أنحاء المعمورة، وقال: إنها تستضيف كل عام وفد الحجاج السوفيت. وقد أطرب سجزاه الله خيراً - في الثناء على أعمال الرابطة والقائمين عليها.



المؤلف يتكلم في محراب جامع أوفا

ثم نهضت فنقلت إليهم تحيات إخوتهم المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأشواق المسلمين الذي يشتقون لرؤيتهم، ويتعلمون لعرفة أحوالهم، وشرح لهم هدف زيارة الوفد التي تمت تلبية لدعوة الإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي، وعن الأخوة الإسلامية، وانتشار الإسلام في العالم، ثم نصحتهم بتربيه أبنائهم على الإسلام، ودعوت لهم بالصبر، وأن يمكنهم الله تعالى من زيارة الحرمين الشريفين.

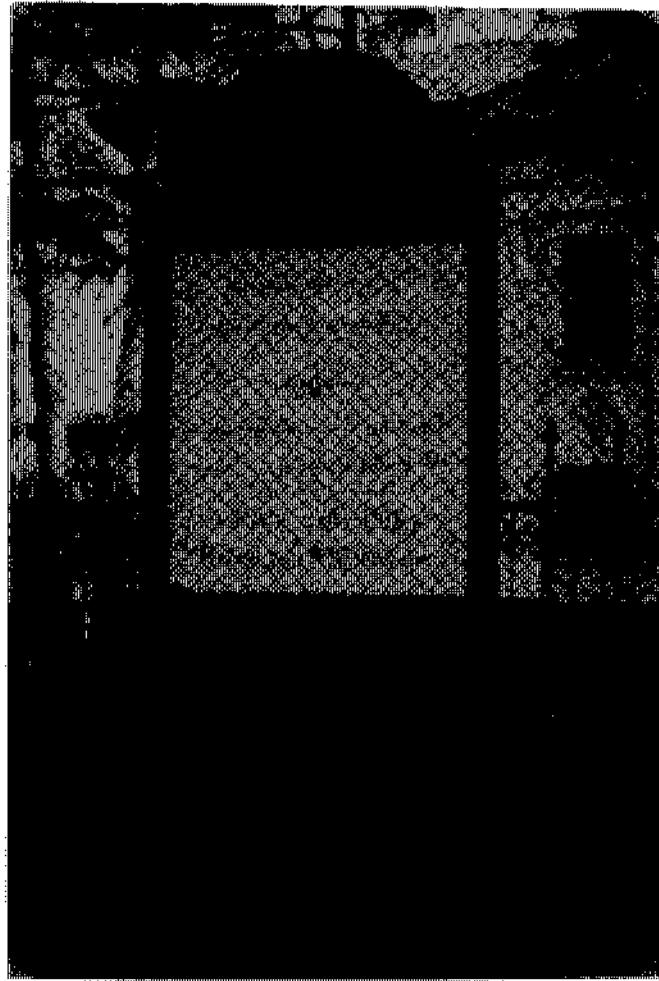
وبعد ذلك أقيمت صلاة الجمعة، فخطب الشيخ طلعت تاج الدين خطبتي الجمعة وصلى بال المسلمين، وبعد انتهاء الصلاة قام جماعة المسلمين بالسلام على أعضاء الوفد فرداً، وكان عدد المصليين أكثر من ألف شخص، منهم كثير من النساء.

هذا وقد تزاحم الإخوة على إعادة السلام على الوفد، واجتمعت النسوة خارج المصلى في الفتاء الخارجي، فأشرنا إليهن بالسلام، ودعونا لهن بالتوفيق وعندما دعوت لهم بأن يقدر الله رؤيتهم مرة ثانية في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة أجهش بعضهم بالبكاء.

وبعض النسوة أشحن بوجوههن لثلا يراهن الناس وهن ي يكن.

ولم يكن في الوقت متسع لرؤية أماكن أخرى ملحقة بالمسجد مثل مقبرة صغيرة قديمة كانت في حديقة المسجد، ولكنها منفصلة عنه، وفي غير جهة القبلة، ولا يدفن فيها الآن أحد، وفيها قبور لبعض كبار المسلمين، كتب ذلك على شواهدها.

وقد ازدادت كثافة الأشجار الباسقة التي لا تزال عارية من الأوراق بعد الشتاء الطويل، ورأيت أكواام الثلج التي لم تذوب بعد مما يدل على قرب عهدهم بالدفء كما قدمت



## شاهد في مقبرة قديمة قرب جامع أوفا

**مطعم الجواد الأبيض :**

ولكلمة الجواد هنا التي تعني السابق من الخيل معنى في نفوسنا عميق، لأننا قد شربنا من لبن الفرس في عشاء البارحة وإفطار هذا الصباح، وها نحن الآن ذاهبون إلى مطعم الجواد الأبيض.

والجواد الأبيض هو أجمل الجياد في نظر كثير من الشعراء وأرباب

الخيال المجنح، لذلك ورد ذكره في العديد من الأساطير، وتردد في طائفة من الرؤى والأحلام، وقلت في نفسي أيسكون في الغداء من مطعم الحصان الأبيض شيء من لحوم الخيل كما شربنا من أليانها في مطعم الفندق؟

وعندما رأيت المائدة الممتدة؛ بل البالغة الامتداد، وقد حضرت بمقدمات المائدة التي من أفرخها الكافيار البطارخ الثمين، والأشيرة المتوعة من مياه معدنية إلى عصير فاكهة محلية إلى أنواع أخرى، وقد مدت إلى درجة صعب على المصور أن تستطيع مصوريته استيعاب طولها بالقطعة واحدة زايلني الخيال عن الجواد الأبيض المجنح وغير المجنح، وعجبت لهؤلاء الإخوة الذين يجمعون النقود قليلاً قليلاً من إخوتهم المسلمين، ثم يمسخون بها بهذا القدر إكراماً لإخوتهم في الله، وبخاصة في هذا المطعم الذي هو أفرخ مطاعم المدينة.

وكانت المأدبة بدعوة من الجمعية المشرفة على المسجد برئاسة الأخ الكريم (زكريا مينوالى).



الغداء في مطعم الجواد الأبيض في أوفا

وقد حضرها عدد عديد من وجهاء المسلمين، ومنهم أعضاء جمعية المسجد، وأئمة المساجد الذين قدموا إلى (أوها) للسلام على الوفد، وبعضهم قدم من مسافات بعيدة.

ومن غرائب المأدبة في بلاد الغرائب جمهورية (باشقردز ستان) ماء شربناه غريب الطعم قالوا: إنه مفید جداً، ويأخذونه من شجرة تنبت عندهم يفلحون فشرها، أي يشققونه كما يشق قشرة شجرة المطاط من أجل أن يسيل المطاط السائل منه، وهنا يسيل لهم ماء لذذ يشربونه ويتهادونه، ولا يكون إلا في أشهر مخصوصة من السنة، وبخاصة في مثل هذه الأيام التي يكون ماء الرياح قد سرى في الشجرة دون أن يتحول إلى غذاء لأوراقها التي لم تتم بعد، وذكروا أنهم سيروننا هذه الشجرة بعد ذلك، وقد سبق ذكر شيء عنها عند قدمائهم.

والغريب الثاني: عصير اسموه عصير عشب الثلج، ذكروا أنه يستخرج من عشب ينمو في الثلوج يسمونه عشب الثلج، وليس له أوراق كالتي تكون في الأعشاب المعتادة، فيعصرونوه ويستخرجون منه هذا العصير في لون عصير الجزر، إلا أن طعمه تغلب عليه الحموضة، لذلك لم تستفعه كثيراً، وقد رأيتمهم يحرضون على شربه، ربما لاعتقادهم عليه، أو لاعتقادهم بنفع فيه للصحة.

وقد ألقى متولي المسجد الذي هو رئيس جمعية المسجد في نهاية المأدبة كلمة ترحيبية كريمة، قال فيها إنه أقام هذه المأدبة باليابسة عن جمعية المسجد الذين هم يرحبون بكم باليابسة عن المسلمين جميعاً في هذه البلاد.

ثم قدم باسم جمعية المسجد أيضاً هدايا للوفود ومرافقيه، وهي أوان نحاسية من أباريق ونحوها غريبة الشكل؛ لأنها مما كان يستعمل في هذه البلاد في القديم، ولكنها مصنوعة في (أوها).

## معرض المنجذات الوطنية :

وضعوا زيارة معرض الإنجازات الوطنية في برنامج الزيارة في أوفا، كما كانوا قد وضعوا زيارة مثيل له في مدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان).

ويضم مثل هذا المعرض الذي يسمونه أحياناً معرض المنجذات الوطنية، وأحياناً أخرى معرض الصناعات الوطنية بيانات وملحوظات ومعروضات عن ثروات البلاد، والمعادن الموجودة فيها، والصناعات القائمة فيها، وما تنتجه من المواد الأولية.

ورأيناهم في طشقند قد بالغوا في إظهار المكان بمظهر المكان الأول المحتفى به في الجمهورية، فبنوا له بناء فخماً واسعاً، وقدموا له مقدمات على هيئة أفنية واسعة عريضة طويلة مفروشة بالبلاط الثمين يصعد إلى أولها بدرج عريض عرض النساء كلها، ثم يصعد منه إلى النساء المكشوف الثاني بدرج عريض جداً مثله، ثم إلى الثالث كذلك حيث يتم منه الدخول إلى المعرض هذا في طشقند، وذكرته في كتاب: «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر».

وقد وضعوا ما يشبهه هنا من المقدمات، ولكن بصفة مختصرة مقتصرة على ما هو فوق الضروري لمكان محترم في نفوس رجال السلطة الذين يقدسون المادة، أو هم يعولون عليها وحدها دون غيرها من القيم الأخرى.

وعندما وصلنا إليه وصعدنا من درج عريض يرتفع عن الشارع قليلاً وجدنا في الاستقبال موظفة مسؤولة عنه كانت تستعد للقاء الوفد حسبما بلغت به من السلطات المسؤولة.

وهي من بنات المسلمين، والله أعلم بدينها وعقيدتها، وهي في حوالي الثلاثين من عمرها، تتميز برشاقة في الجسم، وجمال في الهناء دون إسراف،

بل دون مبالغة شأن أكثر السيدات المسلمات في هذه البلاد، إلا أنها تلبس  
لباساً معتاداً كاللباس الإفرنجي الذي تلبسه الروسيات.



### داخل معرض الإنجازات في أوفا

سارت الدليلة، وهي مديرية مسؤولة، أمام الوفد تشرح باللغة الروسية أحياناً، وباللتيرية التي يسمونها اللغة الوطنية في الجمهورية أحياناً أخرى، والإخوة المرافقون من أهل أوفا من أهل منطقة بخارى التي هي أذبكستان يترجمون إلى العربية.

فكان من أول الأقسام في المعرض قسم للثروات الطبيعية التي تستخرج في هذه الجمهورية، وأهمها النفط ومشتقاته، ثم الفحم الحجري وأنواع من الأحجار الكريمة ونصف الكريمة، والأحجار الغريبة، وكلها من جبال الأورال التي يقع جزء منها في هذه الجمهورية.

ثم قسم عرضوا فيه ما أسموه بـ«الميكانيكا» أي المحركات، وما

يحرّكها أو يتقدّم عنها، وهو جيد يتميّز بوجود صناعة منه راقية إذا كانت تنتج منه مقادير كبيرة.

وعرضوا فيه حاسباً آلياً (كمبيوتر)، ومن المعروف أن الاتحاد السوفياتي متخلّفاً كثيراً عن الولايات المتحدة واليابان في صناعة الحاسوبات الآلية هذه. ونوهت الدليلة أن هذا الحاسوب الآلي هو صغير من مصنوعات هذه الجمهورية من أجل الأطفال يتمرنون عليه وهم صغار.

ورأينا آلات كبيرة قالوا: إنها توفر أيدٍ عاملة إنسانية كثيرة، وممحطة للاتصالات.

ثم انتقلنا خلف المرشدة أو المديرة إلى قسم السيارات الذي عرضوا فيه محرك سيارة، وبعض آلات السيارات الأخرى.

وفي ركن للأدوات الكهربائية عرضوا ثلاجة متوسطة، ومناظير مقربة متعددة الأحجام، وهواتف ذكروا أنها صنعت في هذه الجمهورية، ومنظرها معتمد أو دون ذلك.

وفي ركن من المعرض كان هناك نموذج للبيوت التقليدية، وفي ركن آخر عرضوا كتاباً، ونماذج للمكتبات الصغيرة، وأواني فخارية وملابس للرجال وأهمها المعاطف الثقيلة.

وفي النهاية دعّتنا الموظفة مع بعض الموظفين الآخرين حتى الفناء الخارجي.

### شجرة الماء:

ليس المراد بذلك الشجر الذي يكون في الماء، فذلك شأن الشجر كله أو أكثره، وإنما المراد الشجر الذي يكون فيه الماء، وهو الماء الذي شربنا منه في الغداء.

وكان التفريج برأية هذا الشجر من برنامج مفتوح أوصلوني أنا والأخ الدكتور سعيد محمد باديب عضو الوفد إليه، وذلك أن الفقرة التالية من البرنامج الرسمي كان قد بقي عليها ثلاثة ساعات، فأخلد بعض الإخوة إلى الراحة في الفندق.

فقصدنا غاية قريبة من المدينة لأن الغابات تحيط بها، ورأينا شجر الماء أبيض اللون، وهذا هو ما يميزه عن غيره، وبياض اللون في سوقه - جمع ساق - وفي أغصانه الغليظة، وقد صار ذلك واضحًا فيه لأنه لم يورق بعد.



شجرة اللبن أو العصير في أوفا، المؤلف الدكتور سعيد باديب عضو الوفد

وكانت الغابة مكاناً جميلاً للبث فيه لو لا أن بعض أجزائها المتقاربة للأشجار لا تزال في أرضها بقية من ثلوج الشتاء رغم الدفع الظاهر؛ بل النادر في هذه البلاد، حتى إننا كنا نرتدي ملابس الربيع في الرياض، أي الملابس التي كانت علينا قبل أن نغادر الرياض، ولو لا أن الطرق بينها طينية مع قربها من المدينة، ولذلك وجدنا فيها بعض الأمهات يتمشين بأطفالهن يحملن على عربات تدفع باليد.

وأكملنا الجولة في أماكن من المدينة كما قد رأينا بعضها من قبل، وبخاصة فيما يتفرع من شارع أكتوبر الواسع الذي يبلغ طوله ١١ كيلومتراً. وكنا في أية جهة خرجنا فيها من المدينة نصادف أشجار الغابات الكثيفة بحيث يصح أن يقال في منطقة (أوفا) إنها غابات فيها مدينة، وليس مدينة فيها غابات.

ورأينا الطوائف من الناس في هذه الساعة التي أعقبت ساعات العمل وقد انتشروا في الشوارع، بل رأينا الأغرب من ذلك بعض النساء الجميلات من أهل البلاد الأصلياء، وهن ينظفن الحدائق الصغيرة الواقعة في الجزر بين الشوارع، أو في الأرصفة، وبعضهن رأيناهم على نظافة ثيابهن وأناقة مظهرهن يكتنن أرض الشارع، أو ينظفونها من المخلفات.

وكل ذلك فيما أخبرونا به يفعله متبرعات إسهاماً منهم في نظافة المدينة، لأن عمال البلدية أقل عدداً من أن يقوموا بذلك، أو من أجل معاونتهم على ذلك.

وتجلى الجمال ظاهراً في الوجه في هذا الأصيل الريعي الجميل إلا ما كان من منظر روسيات غليظات ثقيلات الأجسام، ولا ندرى عما وراء ذلك، وعدنا إلى وسط المدينة الحديث، فإذا فيه أيضاً غابة أخرى واسعة، وأكرر هنا أن هذه الغابات هي قديمة كانت موجودة قبل عمارة المدينة،

ولكنهم حافظوا على بعضها عن القطع، وإنما نسقونه تسلسلاً استفاد منه المنظر العام للمدينة.

وقد كثر منظر الأبنية الحكومية الكبيرة المتعددة الطوابق (العمارات)، وكلها شقق سكنية بديلة من البيوت الخاصة التي توجد في المدن الأخرى إذ الأراضي الصالحة لبناء المساكن عليها في المدن السوفيتية لا يجوز أصلاً أن تعطى لأي فرد، وإنما يقتصر البناء فوقها على الحكومة للمباني العامة، أو المساكن الشعبية التي تبنيها الحكومة لإسكان الناس عن طريق تأجيرها لهم بأجر رخيصة.

ولذلك لا توجد إلدارات (الفلل) الخاصة للأفراد المعروفة في بلادنا وفي بلاد الحرية الاقتصادية في ضواحي المدن، ومعظم المنازل هنا وبخاصة الكبيرة هي ذات منظر بهيج، متجدد وأكثرها بيض الألوان.

ولاحظنا هنا كثرة سيارات الركوب الصغيرة بالنسبة إلى المدن السوفيتية، وذكر لنا أن من أسباب ذلك وجود المعادن والنفط إلى جانب المواد الأولية الأخرى التي سمح لها طائفة كبيرة من الناس أن يجدوا عملاً مجزية، ونتيجة لذلك قد يستطيع الشخص أن يوفر من راتبه، أو يجمع أقرباً ما يوفرون، ويشترون سيارة خاصة لهم، لأنه يمكن من يجمع ثمن السيارة أن يشتريها من الحكومة، لأنها مثل سائر الأشياء لا توجد إلا عند الحكومة، ما عدا المنتجات الزراعية القليلة التي ينتجها الفلاحون من أراضيهم الصغيرة المحدودة الرفعة، فإن النظام الآن يجيز لهم أن يبيعوا بأنفسهم ما تنتجه أراضيهم بشرط أن لا يضموا إليه إنتاج مزرعة أخرى لشخص آخر، لأن ذلك يعتبر من التجارة التي ينشأ عنها - بزعمهم - الاستغلال، وهو أمر محظوظ في نظامهم، فلا يجيزون أن يستغل الناس أحد غير الحكومة.

وعلى ذكر السيارة نقول: إن الطراز الأكثر شيوعاً عندهم هو صغير كالفيات الإيطالي، بل هو سيارة (الفيلات) في الأصل كانوا قد اتفقوا مع

الشركة الإيطالية على تصنيعها في الاتحاد السوفيتي، ثم استقلوا بتصنيعها بعد ذلك، وتساوي السيارة جديدة من هذا النوع ثمانية آلاف روبل ويسمونه (لادا).

ونظراً إلى أن العملة في حد ذاتها لا يمكن تحديد قيمتها مجردة عن دخول الناس، وعما يصرفونه على شؤون حياتهم، فإنه لا بد من مقارنة ثمنها بما يتلقاه العامل من أجر يومي، ثم حساب قيمتها بكم تكلف من رواتب الأيام والشهر اللازم للحصول على ثمنها، فالعامل أجره فيما أخبرونا مائتا روبل في الشهر.

ويعني ذلك أن السيارة الواحدة تحتاج إلى جهد العامل الواحد أربعين شهراً أي ثلاثة سنوات وشهرين، هذا إذا فرضنا أنه استغنى عن أن ينفق من راتبه شيئاً، وهذا أمر مستحيل في الاتحاد السوفيتي لأنهم يحرمون أن يكون للإنسان مصادر للكسب غير معروفة، أو يكون له راتبان في آن واحد، إلا إذا كان استغل أعمالاً إضافية خارج وقت العمل الرسمي إضافة إلى عمله الرسمي، ولكن ذلك محدود الوقت، ومحدود الأجر.

إذا على ذلك العامل أن ينتظر - على الأقل - مثل هذه المدة لكي يشتري سيارة خاصة له إذا اقتصر على إنفاق نصف راتبه.

على أن الأجور تختلف باختلاف فئة الوظيفة وطبيعة عملها، فيعرض لها أجور أكثر من ذلك.

وبالمقارنة بالجهد الذي يجب أن يبذله العامل في بلادنا لكي يحصل على سيارة مثل هذه من طراز (فيات)، وثمنها الآن حوالي (٢٢) ألف ريال سعودي، وأجرة العامل المتوسط ثلاثة آلاف ريال في الشهر، فإن ذلك يعني أن يحصل عليها مقابل أجرة لسبعة أشهر ونصف إضافة إلى إمكانية حصول العامل على دخل إضافي من مصادر متعددة مباحة، مثل أن يستغل في البيع والشراء خارج أوقات العمل، أو أن يتوظف مساءً للعمل في أحد المتاجر أو

إحدى الشركات.

ومثلاً أن يكون لديه عقار يدر عليه أجرة يكون ورثه من والده، أو يكون اشتراه عن طريق متاجرته بالأراضي ونحوها.

وفي هذه الحالة لا يحتاج للحصول على السيارة الصغيرة المذكورة لكي يبذل جهد سبعة شهور ونصف.

وفي الشوارع العامة في المدينة لاحظنا كثرة وجود الحافلات العامة الكبيرة، ويقبل الناس على الركوب فيها لرخص أجرتها.

### في بيت الفتى :

وهو رئيس الإدارة الدينية لسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفياتي وسيبيريا الشيخ (طلعت تاج الدين)، وبنته كسائر المفاني - جمع المفتى بلغة القرون الوسطى في بلادنا العربية - دارة مستقلة لا يستطيع الأفراد من سائر الشعب أن يسكنوا فيها، فقد اعتادت الحكومة السوفياتية أن تميزهم كما تميز كبار الموظفين لديها، وإن لم يكونوا موظفين لديها على الحقيقة، يمعنى أنها لا تصرف لهم رواتبهم كما تفعل مع الموظفين الحكوميين الآخرين، بل إنها تأخذ منهم باسم تبرعات الإدارات الدينية في بعض الأحيان، وباسم الضرائب أو نحوها في أحيان أخرى ... مثل الذي تطلب منه من يسمونهم رجال الدين، لأنهم في زعمها من الذين يستهلكون ولا ينتجون.

إنهم يقولون ذلك ويتغاضون عن عشرات الآلاف من الموظفين الزائدين على الحاجة ممن يوظفهم الحزب الشيوعي في إدارات وشركات لا تحتاج إليهم، وإنما مجرد أن يلتحقوا بعمل، ولكي يقال: إن الاتحاد السوفياتي ليس فيه بطالة ولا عاطلون عن العمل، وهي تؤجر هذه المساكن المنفردة لهم ولكلبار الموظفين، ولا يستطيع من يقدر أن يدفع أجرتها من غيرهم أن يسكن فيها.

غادرنا الفندق إلى بيت الشيخ الجليل في الساعة التاسعة والنصف مساءً والشمس لا تزال حية، فهي تغرب الآن في حدود العاشرة، وسوف يتأخر غروبها عن ذلك من أول شهر يونيو.

فوجدنا بيته مزدحماً بالإخوة المسلمين العاملين في الجمعيات الإسلامية من أعضاء وأئمة من داخل مدينة أوفا ومن خارجها، بل حتى من خارج جمهورية (باشقيرستان) التي عاصمتها (أوفا).

وقد نصب المائد في الطابق الأرضي من الدارة - الفيلا - حتى غطته كله لكثرتها واتساعها.

### لحوم الخيل وألبانها:

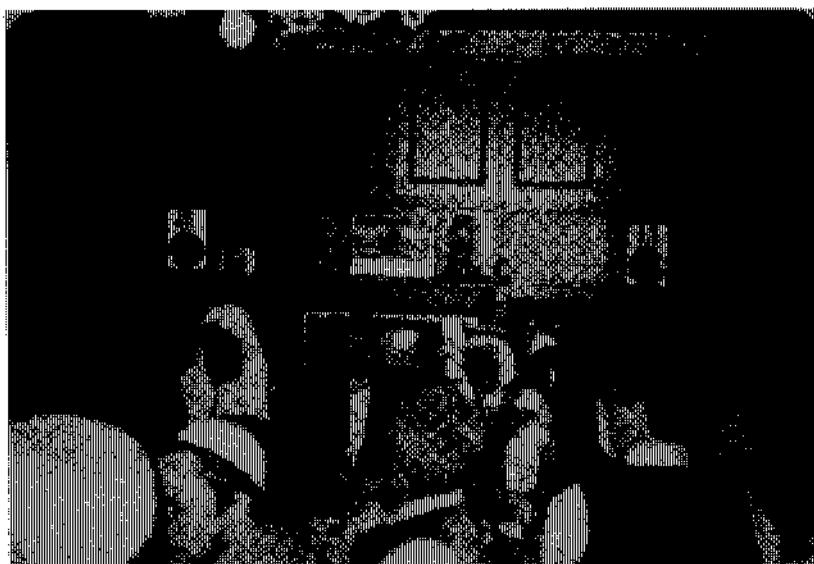
وجدنا المائد قد وضعت عليها مقدمات المائدة المعتادة، وهي تكاد تكون وحدها مائدة حافلة بالطعام كما سبق أن وصفتها في أماكن أخرى. ولكن وجدنا الشيخ هنا قد أضاف إليها أشياء من الأطعمة غير معتادة، ومنها (الحم الفرس) أو هو لحم من حصان، لا ندرى، لكن من لحم الخيل، وهو هبر ليس دسمًا ولا عظم فيه.

وقد وضعوه على المائدة بجانب لbin الفرس الذي شرينا منه البارحة وفي صباح هذا اليوم، وأسرعنا مع الرفاق نتذوقه، أما أنا فقد أكلت لحم الخيل في تركستان الشرقية الواقعة في الصين الآن ويسمونها (سينكيانغ)، وكان ذلك على ضفاف بحيرة تسمى (بحيرة السماء)، وكانت مياه البحيرة متجمدة عندما زرناها، وقد ذكرت حديث ذلك في كتاب "في مهد الترك".

وأما الإخوة فإن أكثرهم لم يذق لحوم الخيل في حياته، وانتهزا فرصة لتجربته.

وكان لحم الفرس الذي قدموه من الهر كما قدمت، وما أبعد أن يكون من لحم الفخذ أو إحدى القائمتين؛ لأنه كان قاسياً يحتاج إلى مضغ

جيد، وأخبر الإخوة هنا أنه من اللحوم النفيسة عندهم؛ بل قال الأخ الشيخ عبدالخبير جار الله وهو من قازان عاصمة (تatarستان) إن عندنا مثلاً يقول: لذات الدنيا خمس، منها أكل لحم الخيل، والبيت الواسع، والمنصب المرموق، والخرف المشوي، والزواج بأمرأة شابة. وقد جاء بها مسجونة في لفتهم.



### المأدبة في منزل الشيخ طلعت تاج الدين في أوفا

وأكل لحم الخيل كان معروفاً عنهم منذ القديم، أشار إليه الكاتب ابن فضلان في مشاهداته في بلاد البلغار التي تعتبر هذه البلاد جزءاً منها لأنها مجاورة لها، قال: وأكثراً أكلهم الجاورس ولحم الخيل على أن الحنطة والشعير كثيرة في بلادهم، والجاورس هو الدخن.

لقد كان من بين الذين حضروا المأدبة الأخ: الشيخ ذو القرنين وهو إمام مسجد (أومسك) بسيبيريا، ولك أن تتصور ما قد يثيره الخيال عندما تأكل لحوم الخيل بصحبة ذي القرنين من سibiria القارصة البارد، النائية الموقعة.

وقد حفلت المائدة بعد ذلك بتنوع من اللحوم من المشوي إلى المطبوخ إلى غير ذلك من المأكولات الأخرى، وكان يساعد في الخدمة عدد كبير من الإخوة، والطلبة يرفعون الصحنون ويضعون غيرها مليئة، وفي نهاية الأكل وقبل رفع المائدة بدأ حفل بآيات من القرآن الكريم تناوب على ترتيلها ابنان للشيخ، ثم وقف مضيفنا الشيخ الفتى (طلعت شجرة الدين) فابتدأ كلامه بالحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وعلى صحبه، ثم عبر عن سروره وسرور المسلمين في هذه البلاد بزيارة الوفد، وحمد الله تعالى على ذلك، وذكر شوق المسلمين إلى إخوتهم في الله القاطنين في بلاد الحرمين الشريفين، وقد بلغ به التأثر وهو يتحدث إلى درجة أن ينخرط في البكاء، ووقفت الكلمات في حلقه، وتأثر الجميع بتأثره، وبخاصة الإخوة المسلمين الذين حضروا لقاء الوفد، وكانوا متاثرين مثله بهذا اللقاء.

وبعد أن سكت الجميع فترة وهم في غاية التأثر لأن الشيخ لم يستطع أن يواصل كلامه، فبدأ يغالب الدموع في عينيه، والحرارة في صدره، وهو يقول: إنها لساعة مباركة طيبة كنا ننتمناها، بل كان آباءنا وأجدادنا يتمنونها، ولم يكن لهم شرف الحصول عليها.

إننا نحن شعب البلغار المسلمين بائلتار قد اختارنا الإسلام طوعية ودون إكراه، حتى إن أجدادنا عندما أسلمو قبل ألف سنة بادروا بإرسال رسول إلى الخليفة المقتدر بالله العباسى، يطلبون إليه أن يرسل إليهم من يطلع على أحوالهم ويعلمهم أمور دينهم، فأرسل إليهم بعثة لهذا الغرض كان معها ابن فضلان الذي سجل مرئياته أو انطباعاته عن هذه الرحلة في رسالة تعرف الآن برحلة ابن فضلان، وحفظت معلومات مهمة عن هذه البلاد في ذلك العهد لا توجد في غيرها، ولذلك هي معلومات قيمة، بل لا تقدر بقيمة لنفاستها، وعرفت المسلمين ببعض أحوال إخوتهم في هذه البلاد.

وها أنا الآن أرى أخي رئيس الوفد الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين

العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي يسجل ما تقع عليه عينه في هذه البلاد مما يتعلق بأحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي؛ بغية تعريف إخوتهم المسلمين في الخارج بأحوالهم، وإنني أرجو، بل إنني واثق إن شاء الله أنه سوف ينقل صورة حية عن أحوال المسلمين هنا إلى الإخوة المسلمين فيسائر أنحاء العالم.

وقال: إنني عندما رأيت الشيخ، وما عمله من أجل الكتابة عن بلادنا تذكرت ابن بطوطة أيضاً، وبخاصة عندما استضافه رجل من بلادنا وقال له: عجل لنأكل العشاء حتى نتمكن من صلاة العشاء قبل أن يطلع الفجر فينوت وقتها، وقد سجل ابن بطوطة ذلك، لأن بلادنا هي بلاد الشفق والغسق؛ إذ يلحق الغسق الذي هو أول نور الفجر بآخر الشفق الذي هو آخر نور النهار في أول الليل، وذلك في فصل الصيف.

وقال: إن إخوتكم المسلمين في هذه البلاد يبذلون كل ما يستطيعون من أجل العمل لدينهم، ويقدمون التبرعات السخية للمساجد، وحالما يعرفون أن هناك مسجداً يقام في أية منطقة من المناطق التي تشملها إدارتنا الدينية، وهي تشمل مساحات واسعة، فإنهم يسارعون إلى جمع التبرعات وإرسالها إلى الإدارة الدينية لدينا لكي نبعثها إلى القائمين على شؤون المسجد.

ومن الأمثلة على ذلك أن أخانا هذا الحاضر معنا الآن رئيس الجمعية الإسلامية في قازان، أي الجمعية التي تقوم على بناء المسجد، قد أرسل لنا في العام الماضي خمسين ألف روبل مما جمعه من الإخوة المسلمين في منطقة (قازان) عاصمة جمهورية تatarستان.

وأضاف قوله: ولذلك نبشركم أننا لا نشكوا حاجة ولا عوزاً عند الإنفاق على الأمور الدينية التي تقوم بها؛ بل إننا أحياناً يكعون لدينا فائض من المال نiture به لمجلس السلم والصدقة في الاتحاد السوفيتي إسهاماً منا نحن المسلمين في العمل للصدقة والتعاون الدوليين.

وقال: إنه إذا اجتمع عشرون شخصاً من المسلمين، وطلبووا الإذن لهم بتأليف جمعية إسلامية، فإنهم يحصلون على الإذن بتأليف الجمعية، والعمل الرسمي للجمعية الإسلامية بالدرجة الأولى هو بناء مسجد جديد، أو طلب إعادة بناء وتعهير مسجد قديم، لأن هذا يكون منهوماً من تأليف الجمعية الإسلامية.

وكان خطابه بالعربية مرتجلاً، ولم يكن معداً، ومع ذلك كانت لغته العربية فصيحة، فهو قد تعلم في الأزهر، وأنهى الدراسة الجامعية فيه.

ثم قمت وألقيت كلامه مناسبة عقبت فيها على ما قاله، فشكرت الله تعالى أولاً وقبل شيء الذي قدر هذا الاجتماع، ثم شكرت الشيخ ملاعت خاصة على حسن صحبته لنا طول الرحلة حتى الآن في الاتحاد السوفيتي وصبره على فضولي وكثرة كلامي وتعيه معنا طول الوقت، وقلت: إن صحبته كانت مفيدة لنا.

ثم شكرته أيضاً على إقامته هذه المأدبة الحافلة التي جمعت من خيرة الإخوة في الله في هذه المنطقة من لو أنفقنا ما في الأرض جمِيعاً لما تيسر لنا أن نحصل على اللقاء بهم مجتمعين، فقد حضرها عشرة من الأئمة، وطائفة من رؤساء الجمعيات الإسلامية التي تشرف على المساجد، ومن أعضائها وأكثراهم جاءوا من أماكن بعيدة عن مدينة (أوفا)، وتجشموا عناء السنن، ثم شكرته على إعداد هذه المأدبة الكبيرة السخية التي يكفي ما قدم فيها من طعام لأضعاف من حضورها.

ثم قلت: إن إخواننا من أبناء شعب بشكيريا العظيم، سايل شعب البليغار الذي اختار الإسلام ديناً طواعية ومحبة فيه، وقرب شعب التatar الذي أقام إمبراطورية إسلامية الشعار استمرت قائمة أدهاراً من الأدهار، يؤكدوناليوم أن التاريخ يعيد نفسه، وأنهم شعب مضياف محب لإخوتهم المسلمين، فقد كانوا يستضيفون المسلمين في الماضي، واليوم رأينا هذا ماثلاً في هذه المأدبة

التي لم تكن حافلة بالطعام الوافر الذي ذُفِّ فحسب، وإنما هي حافلة أيضاً بالعواطف الأخوية الجياشة التي مبعثها المحبة في الله ولله، وليس لغرض مادي أو نفع مالي.

إننا نعلم أن قرروناً طويلاً مضت على اعتناق شعب البليغار الإسلام، ومن بعده شعب التتار، وقد حافظ أفراده على الإسلام، بل تمسكوا به رغم المحن والظروف والبلايا التي ابتلاه بها الميتلون الحاذدون من الحكم المتعصبين لل المسيحية في مرحلة من المراحل، حتى حرموا على المسلمين أن يبقوا على دينهم الإسلامي، وأجبروا بعضهم على التصرّف كما فعل الأسبانيون ب المسلمين الأندلس.

ولكن ما أن تجلت الفحمة عنهم حتى تبين أنهم كانوا كلهم متسلّكين بدينهم، بل إنهم عوضوا عن ذلك بأن قاموا هم أنفسهم بالدعوة إلى الله تعالى، فدخلت على أيديهم أعداد من غير المسلمين، ومنهم بعض المسيحيين في الإسلام.

وكان هذا قبل الثورة في هذه البلاد، واليوم نراهم لا يزالون متسلّكين بدينهم الإسلامي الحنيف، محبين لأهله، مكرمين لمن يعمل به. وما ذكره أخونا صاحب الفضيلة الشيخ الجليل طلعت تاج الدين عن إخوتنا أعضاء جمعية المسجد في قازان، وجمعهم للتبرعات ما هو إلا مثلاً حيّاً على تمسك الإخوة من شعب البليغار والتتار بالإسلام، وسخائهم في البذل له.

وإننا نعدكم بأن نبلغ إخوتكم المسلمين في المملكة العربية السعودية خاصة، وفيسائر أنحاء العالم الإسلامي عامة، بما رأينا وشاهدناه في بلادكم، وما عرفنا عن شعبكم الكريم من التمسك بدينه الإسلامي.

وسوف نبلغهم بهذه العواطف الكريمة التي لقينها منكم خاصة، ومن إخوتكم المسلمين فيسائر أنحاء البلاد السوفيتية عامة.

## كلمة القادمين:

ثم طلب الكلمة الإخوة الذين قدموا من بلاد بعيدة من أجل اللقاء بالوفد، وإبلاغه سلام إخوانهم في البلاد التي لم تتع لوفد زيارتها.

فكان المتكلم رئيس الجمعية الإسلامية في قازان، فقال: إننا كنا نتضرر قدومكم إلينا بفارغ الصبر، وإن المسلمين كانوا يعتبرون اليوم الذي تقدمون فيه يوم عيد من أعيادهم، إلا أنها عرفنا أنه لم تتبادر زيارتكم بلادنا، فجئنا بالنيابة عن الإخوة المسلمين في جمهورية تatarستان لبلغكم سلامنا وتحياتنا وأشواقنا إلى أن تزورونا في المستقبل، أو على الأقل تدعونا بأن تحرصوا على ذلك.

وألقى الشيخ نور محمد نعمة الله الإمام الخطيب في جامع أوفا الكلمة التالية التي أحببت أن أوردها بنصها من أجل الاطلاع على الأسلوب اللغوي بالعربية فيها، وقد ألقاها بالعربية، باسم رئيس المتولين للجامع الأخ (مراد حاجي سميرييف) قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله الذي أعزنا بالإسلام، ونور قلوبنا بالإيمان، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ما دمنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله العزيز الحكيم.

الصلوة والسلام على عبده ورسوله محمد الذي هو قائدنا ورائدنا إلى طريق الخير والرشاد، وهدانا إلى صراط الله الذي له ما في السموات والأرض - لا إلى الله تصير الأمور.

على الله وأصحابه - خير من اعتمد بالقرآن وأخذه إماماً في حياته، وحجة في مماته، ودافعوا عن الحق والعدل والحرية، وكانوا عوناً لها، جندأ لربهم لا يخافون لومة لائم.

وعلينا وعلى عباد الله الصالحين، وعلى كل من اهتدى بهديه ودعا  
بدعوته إلى يوم الدين.

أصحاب السماحة والفضيلة.

إخوتي الأعزاء في الإسلام.

يسعدني أن أحياكم بتحية الإسلام، تحية من عند الله مباركة طيبة.  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرجو من حضرتكم أن تبلغوا منا تحية الإسلام لكل أخ مؤمن بديتنا  
الخيف في بلادكم، وبهذه الفرصة السعيدة يسرني باسم مسلمي مدينة أوفا  
وشخصياً أن أرحب فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي - نائب الأمين العام  
لرابطة العالم الإسلامي - رئيس الوفد الإسلامي. والشيوخ الكرام - أعضاء  
الوفد بأرض جمهورية باشقيرستان ذات الحكم الذاتي وعاصمتها أوفا،  
ونقول لكم من قلب مخلص: أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم الضيوف الكرام.

وصل هداية الرحمن ونور الإسلام إلى أرضنا هذا في القرن الرابع من  
هجرة الرسول على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ونحن نحتفل هذا  
اليوم - وهو ١٦ من المحرم، من قديم الزمان إلى يومنا هذا كل من يؤمن بالله  
ويستطيع إلى الحج سبيلاً يسعى إلى الأرضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

وقد شعرنا باهتمام رابطة العالم الإسلامي لحجاج بلدنا ونقول لكم:

جزاكم الله خيراً كثيراً عن الإسلام والمسلمين في كل مكان. انتظروا  
 بشوق وصول الوفد من رابطة العالم الإسلامي إلى بلدنا ، ولله الحمد والمنة قد  
 شرفتمونا بزيارتكم إلى مدينة أوفا.

وأكثروا شكري الجزيل وأدعوا الله أن يوطد العلاقات الدينية بين  
مسلمي بلادنا ورابطة العالم الإسلامي، ونرجو من الله تعالى الأمن والسلام

للهالِم بِأَجْمَعِهِ.

وأن يبارك في أعمارنا وينيلنا سعادة الدارين، وأن يجمع قلوبنا على محبته ومرضاته، وأن يهينا التوفيق والإخلاص والسداد في القول والعمل وكمال الإيمان وصدق اليقين.

وأرجو لكم الرحلة الطيبة والرجوع إلى وطنكم وعائلتكم في تمام الصحة والسلامة والعافية.

اسمحوا لي أن أقدم للضيوف الكرام هدايا التذكارية من طرف هيئة الم toliliat لجامع أوها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقاها الإمام الخطيب لجامع أوها نور محمد نعمة الله ورئيس الجامع (هيئة الم toliliat) مراد حاجي سمير ييف / ٢٤ / أبريل ١٩٨٦.

وقال: إننا نستعد الآن لتلقى قبلات إخواننا في قازان لأنهم أوصونا قائلين: قبلوا إخواننا أهل الحرمين الشرفين بنيابة عننا، وسوف نقبلكم أنتم إذا عدتم إلينا لأنكم فعلتم ذلك.

ثم قدم رئيس الجمعية الإسلامية في قازان ساعات يدوية هدايا للوفد.

وفي نهاية الحديث قدمنا هدايا للشيخ طلعت وللحضور، ومنها مصاحف لأئمة المساجد العشرة الذين حضروا المأدبة، ولرؤساء الجمعيات الإسلامية.

وقد انتهى هذا الاجتماع المفعم بالانفعالات في الساعة الحادية عشرة ليلاً، وشعرت بأننا قد تأخرنا بالفعل عن زيارة إخوتنا المسلمين في الاتحاد السوفيتي الذين لم يكن لهم يد فيما هم فيه من ضنك وتضييق في أمور دينهم، بل إنهم ضحايا للتعصب الشيوعي والطغيان الإلحادي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع ما جرى هنا من أحاديث، وما دلت عليه هذه الكلمات من تأثر وتمسك بالإسلام كان يسجل بالتلفظ والتصوير إلى جانب الصحافة، وكان يسجل كل ذلك، وبعض أعضائه يعرف العربية إلى جانب من حضرها من رجال الحكومة المحلية، أو من يتعاونون معها، وكلهم سينقل الأخبار إلى المسؤولين السوفيت، ومع ذلك لم يستعمل أحد من الإخوة المتكلمين سواء في الخطابة أو الأحاديث الخاصة التقية في التعبير عن تمسكه بإسلامه، ولا ما كان من العقبات، أو الصعوبات التي تضعها الحكومة والشيوعية أمام الدعوة الإسلامية التي من أهمها أنه يباح لمن يدعوا إلى الإلحاد أن يدعوا إليه في كل مكان إلا في داخل المسجد، ولا يباح لمن يدعوا إلى الدين أن يدعوا إليه في أي مكان إلا في داخل المسجد، وهذا فيه ظلم، وعدم إنصاف، بل عدم مساواة في الحقوق، إذ الذي يأتي إلى المسجد يكون في الغالب شخصاً متدينًا أو مهتمدًا، وإنما تمس الحاجة إلى دعوة المسلمين المنصرفين عن دينهم الذين لا يقاربون المساجد، ولا يصلون فيها، فيجب تذكيرهم، وتحريك عواطفهم للإسلام، وهذا أمر لا يسمح به القانون والنظام في هذه البلاد.

فعدا عدم العدل والإنصاف في المساحة التي يجوز للداعية للدين الإسلامي أن يدعو فيها، وهي المسجد بالمساحة التي يجوز للداعية الإلحاد فيها أن يدعو فيها إلى الإلحاد وبهاجم فيها الإسلام، وهي جميع الأرض السوفيتية خارج المسجد، فإن الحكومة بجميع مؤسساتها الثقافية ودوائرها الإعلامية هي تدعوا للإلحاد، وتهاجم التمسك بالدين.

وأبرز مثال على ذلك أنه من الممنوع على المسلم أن يؤدي الصلاة خارج المسجد في مكان عام، لأن ذلك بزعمه يؤدي مشاعر الملحدين وغير المتدينين، ولكن يسمح لمن يدعو إلى الإلحاد أو يهاجم الدين في مكان عام أن يفعل ذلك، ولو أدى ذلك إلى إثياء مشاعر المتدينين، مما يدل على عدم

الإنصاف في المعاملة؛ بل مما يدل في حد ذاته على التحيز إلى جانب الإلحاد والظلم للمتدينين.

### مع رجال الصحافة المحلية:

التقينا بعد العشاء مع رجال من العاملين في الصحافة المحلية، وكان بعضهم معنا في مأدبة الشيخ طلعت، ولكنهم كانوا قد نظموا في البرنامج لقاء خاصاً بهم في الفندق؛ برجاء أن يحصلوا منا على تصريحات قد تستغلها الحكومة السوفيتية في الأغراض الدعائية كما فهمنا ذلك، وإن لم يقله أحد لنا صراحة.

وحضرها معهم ممثلو مجلة مصورة.

وقد أدللت لهم بكلام عام إجابة عن أسئلتهم، ومنها انتباعنا عن أوقا وأهلها.

ثم طرح أحد الصحفيين سؤالاً يقول: ما هي انتباعاتكم عن العلاقات بين المسلمين في البلاد السوفيتية وبين الحكومة حسبما شاهدتموه من ذلك.

فقلت له: إننا كما تعلم من العاملين في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ولسنا موظفين في وزارة الخارجية السعودية أو من العاملين في الحقل السياسي، لذلك فإن اهتمامنا ونظرتنا تتصب بالدرجة الأولى على الناحية الثقافية الإسلامية، وقد حرصنا من هذه الزاوية، ومن كوننا نمثل مؤسسة شعبية، وهي رابطة العالم الإسلامي على تقوية العلاقات الثقافية الإسلامية ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارات الدينية في الاتحاد السوفيتي، ورابطة العالم الإسلامي تتعاون مع المؤسسات والجماعات الإسلامية في العالم من دون أن تتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد التي يعيشون فيها، وأعتقد أن الحديث وبخاصة أمام الصحافة عن العلاقة ما بين المواطنين والحكومة في بلد من البلدان يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية لذلك البلد.

لقد قلت هذا الكلام لأنني أعرف جازماً أنني لو انتهت هذه الفرصة  
وتكلمت عن الوضع الحقيقي لل المسلمين في هذه البلاد، فإن هذا الكلام لن  
ينشر منه شيء، وإنما هم يريدون من هذا السؤال وأمثاله أن يستغلوا ما يدلي  
به الزائر مما يفيدهم، ويحفوا ما قد يدلي به من انتقادات - إن فعل ذلك -  
ولم أرد تمكّنهم منه.

كما أن اللياقة وآداب الضيافة أيضاً، والحرص على مصلحة المسلمين  
الذين عرفوا أننا نرتبط بهم برابطة الأخوة الصادقة، لها اعتبارها عند الكلام  
للحصافة بمثل هذه الأمور.

ولو كان مثل هذا المؤتمر الصحفي في خارج البلاد الروسية، وضمنا أن  
كل ما نقوله فيه سينشر ولو كان فيه ما لا يرضي الحكومة، لكان له  
جواب على هذا السؤال غير هذا الجواب.

وبقية الأسئلة والأجوبة كانت معتادة، وقد حضرها معهم بعض  
المصوريين، وانتهت لقاءاتنا بهم في الثانية عشرة - منتصف الليل -

يوم السبت: ١٧/٨/١٩٨٦ - ٢٦/٤/١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

### مغادرة بلاد البشكيرين:

كما قلت بأن كلمة الباشقدار هي تسمية لقوم من الإخوة المسلمين صاروا يعرفون بالبشكيير، أو البشكيرين، ولا يزال بعضهم يسمون أنفسهم (باشكير)، ولا يزال بعض المسلمين في الاتحاد السوفيتي ومن يجاورونهم، وإن لم يكونوا في النسب منهم، يسمونهم بهذا الاسم أيضاً.

تاریخ البشکیرین هؤلاء حافل بالأحداث الجسام، وكل الذي بلغنا عنهم من المهتمين بأمورهم يقولون: إنهم مثل البلغار والترار، هم من العناصر التركية التي جاءت في الأصل من منطقة تركستان الشرقية، ولكن مجيء هذه الأقوام كان مختلفاً جداً في التاريخ، فالبلغار جاؤوا من القديم، حتى قال بعض الناس إنهم وصلوا إلى هذه البلاد في زمانبعثة المحمدية، ودخلوا في الدين الإسلامي في القرن الرابع الهجري بخلاف إخوانهم من المسلمين الداغستانيين الذين دخلوا في الإسلام منذ القرن الأول للهجرة، ومثلهم (باشقىد)، وأما الترار فإنهم جاؤوا في القرن السادس الهجري مع أنه ينبغي لنا أن نذكر بعد المسافة بين الشعبين في الموقع، وذلك من كون الطيران ما بين (غروزني) عاصمة (جمهورية الشيشان) التي تقع شمال داغستان وبين مدينة (أوفا) قد استغرق ساعتين وثلاثاً بالطائرة النفاثة، وكانت المسافة بالكميلومترات ألفاً وثمانمائة وعشرين كيلومتراً.

كان موعد مغادرتنا لهذه البلاد مبكراً، وقد أسفت لذلك كثيراً، وكان أسفني لكوننا لم تتح لنا زيارة الأماكن الريفية النقية في هذه البلاد (البشكيرية)، ولم نلتقي بأفراد الشعب الذي يسكن في القرى.

### إلغاء زيارة قازان:

ولكن الأسف الأعظم الذي لحق بي هو إلغاء زيارة مدينة قازان عاصمة

(تترستان)، وكان من المقرر أن نسافر إليها من أوفا، وأن نقيم فيها يوماً كاملاً هو هذا اليوم من فجره إلى فجر اليوم التالي الذي هو الأحد حيث نسافر إلى مدينة (لينين قراد).

ولكن منظمي البرنامج ألغوا زيارة (قازان)، وأخبرونا بذلك أمس، وعلوا علهم هذا بأنه لا يوجد طيران مناسب إلى (قازان) في هذا اليوم الذي هو يوم السبت، ولو أنهم شاورونا لفضلنا أن نبقى يوماً آخر في انتظار زيارة قازان، أو لكانوا سمحوا لنا بزيارتها بعد زيارة موسكو التي هي نهاية المطاف، ونحن لدينا تذاكر جاهزة أحضرناها معنا تصلح للسفر من موسكو إلى قازان، مع أن مضيفينا في الإدارات الدينية قد دفعوا لنا قيمة التذاكر التي ركبنا بها داخل الاتحاد السوفيتي مثل سائر تنقلاتنا وإقامتنا هناك، والتعلل بعلة عدم وجود طيران مناسب من أوفا إلى (قازان) أمر لا ينطلي علينا نحن الذين نعرف دقة المسؤولين في الإدارة في الاتحاد السوفيتي، وهم قد نظموا البرنامج ووضعوه وأخبرونا به، واستمروا على ذلك إلى يوم أمس، وذلك كله يدل على أن الطيران موجود، وأن الإلغاء تم لأمر غير ذلك، ربما يكون ذلك الأمر هو مبلغ تأثير الإخوة المسلمين في هذه البلاد بلقاء إخوتهمأعضاء الوفد، وللنصائح التي أكثر من توجيهها للإخوة المسلمين حول مسؤوليتهم عن تربية أولادهم تربية إسلامية في البيوت، وفي كل مناسبة، لأنه لا يوجد تعليم ديني خارج المنزل للأولاد.

لذلك قرروا، أو لنقل أمروا أن يكون سفرنا من (أوفا) مباشرة إلى (لينين قراد) من دون المرور بمدينة (قازان) عاصمة (جمهورية تترستان).

غادرنا فندق روسيا في (أوفا) في الثالثة والنصف قبل النصر، وعمنا الإخوة المرافقون الذي لم يتح لهم النوم الكافي، وكانت أقل منهم نوماً إذ المؤتمر الصحفي قد انتهى في الثانية عشرة ليلاً، ولم يحضر منهم إلا المترجمون.

وكان الخروج إلى المطار في ظلام الليل، كما كان التدوم منه إلى المدينة في ظلام الليل، وجدنا قاعة كبيرة الزوار مغلقة، وبعد قليل جاءت عاملة والنوم يداعب جفنيها، بل إنه كان قد أثقل جفنيها؛ لأنها كانت نائمة قبل ذلك في مكتب مجاور.

وبعد قليل أذن للفجر، وصلينا في القاعة في أول الوقت لأن موعد الدخول إلى الطائرة كان قد آزف.

ومن الطريق أن أحد الإخوة أعضاء الوفد علق على قول المؤذن (الصلاوة خير من النوم ◊ الصلاة خير من النوم) قائلاً: أتفقد بهذا هذه المرأة التي نامت عن عملها في ملاحظة القاعة وإلا فإنه ليس هناك مسلم يوجه إليه ذلك، لأن جميع المسلمين في هذه القاعة غير نائمين، بل هم مستعدون للصلاة، وجرى البحث في مسألة فقهية وهي ما إذا كان المسلمين الذين يسمعون الأذان كلهم غير نائمين فهل يشرع النداء بجملة: (الصلاحة خير من النوم) أم لا يشرع إلا إذا كان هناك نائمون من المسلمين؟.

### وداعاً يا أوفا :

تحركت الطائرة من المطار في السادسة إلا ربعاً، وكان الظلام لا يزال مخيماً ما عدا غرة وضوء من الفجر فد جلتها غلائل سود من سحب داكنة، فصارت تبدو من الأفق تحت السحاب وكأنها ثغر الغانية الجميلة قد انحرس عنه النقاب.

وأعلنت المضيفه بالروسية وهي تبدو أوكرانية، أو مسلمة من هذه البلاد الشمالية، فهي بيضاء كالروسيات، ولكنها رشيقه كالاوكرانيات، فذكرت في إعلانها أن المسافة من أوفا إلى (لينين قراد) تبلغ ألفاً وثمانمائة وعشرين كيلومتراً تقطعها الطائرة في ساعتين ونصف.

وقد تطلعت من النافذة والطائرة تتهض وكأنما هي متصلة من المطار

كما تنهض هذه المضيفة إلى عملها متناثلة متباطئة، وكأنما هي تتمطى أو ت يريد أن تتمطى من أجل الوقت المبكر، ومن أجل العمل الرتيب الذي لا ترى معه أنها بحاجة إلى أن تبتسم لأحد من الركاب، أو تبدي له مجاملة في المعاملة، ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تتجاهله، فكأنما عملها هذا هو جزء من الحياة الرتيبة في الاتحاد السوفييتي التي يزيد من وقع رتابتها على النفس أن المرأة لا يستطيع أن يعمل شيئاً لكسر تلك الرتابة والديمومة على نظام واحد، وفي بيته صغير واحد، ومن بلد واحد لا يستطيع أن يغادره، فيسكن في بلد آخر في داخل وطنه إلا بأمر من السلطات، والموافقة منها، وهي لا توافق إلا بمبررات لا يستطيع لها إيجاداً.

لقد تطلعت إلى النافذة محاولاً إلقاء نظرة وداع لهذه المدينة الجميلة (أوفا)، ولكن بصري أصطدم بحاجز من ظلمة الليل وظلمة السحاب، فاضطررت إلى أن أغمض عيني وأنظر إليها في الخيال، فأودع ما رأيته فيها من جمال، وأن أعود إلى داخل الطائرة فتجدها حافلة بالركاب، وإن لم تكن مقاعدها مليئة بهم، كما كانت عليه الحال في الرحلات الداخلية في هذه البلاد التي ركينا فيها قبل ذلك؛ إذ كانت جميع مقاعد الطائرة فيها مشغولة.

ولاحظت هنا أن الركاب يكادون يكونون كلام من الجنس الأبيض الأوروبي المألوف للنظر، حتى كأنما أنا مسافر بين باريس ولندن بصحبة أناس من أهل هاتين المدينتين، وبخاصة ما يتعلق من ذلك بشقرة الشعور، وبياض اللون.

والطائرة من طراز (توبوليف) ١٥٤ ، وكلها درجة واحدة هي السياحية، وليس فيها درجة أولى.

ورغم كون الوقت وقت إفطار والرحلة طويلة نسبياً إذ تستغرق ساعتين ونصفاً، فإن ضيافة الطائرة قد اقتصرت على الضيافة المعهودة، ألا وهي

نصف كوب صغير من عصير الفاكهة، أو شراب الكوكاكولا كالعادة في عدم تقديم الطعام إلا في الرحلات الطويلة جداً في جميع الرحلات داخل الاتحاد السوفييتي.

والعادة الحميدة التي تكررت في رحلاتهم الداخلية، ومنها هذه الطائرة هي تحريم التدخين وتناول المسكريات، داخل الطائرة في طول الرحلة.

وهذه الطائرة أكبر من التي ركينا بها من (غروزني) إلى (أوفا) تلك ركابها ٨٦ راكباً، وهذه تحمل (١٥٠) راكباً، وكلاهما نفاث، ومن صنع الاتحاد السوفييتي نفسه مثل سائر ما يحتاجونه ويستعملونه في هذه البلاد هو من صنع بلادهم، بل إن مصانع الطائرات المدنية منتشرة في عدة مدن، ومنها طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان، وهذا أمر حميد، حيث لوسارت على طريق الأخذ به الدول الإسلامية، أو لو اتفقت فيما بينها للتكامل في الأمور الحساسة، كصناعة الأسلحة، والأغذية الضرورية، حتى لا يتحكم بهم أعداؤهم في هذه الأشياء الحساسة أو الضرورية، ويتحكمون بهم فيمنعوهم عنها إذا أرادوا، وبخاصة إذا صارت مصلحة أعدائهم في منعهم منها.

وكما قلت سابقاً إن معظم رحلات الطائرات داخل الاتحاد السوفييتي تكون مزدحمة نظراً لرخص أسعارها، ولكون السياحة الداخلية هي السياحة المتاحة أمام أفراد الشعب هناك، بخلاف تغيير محل الإقامة من مدينة إلى مدينة، أو من جمهورية إلى جمهورية، فذلك لا يتم إلا بموافقة من الحكومة.

وقد تكرر عند الإقلاع ما شعرت به من قبل، وهو وجع في الأذنين لم أكنأشعر به في الطائرات العالمية، ومنها السعودية، على كثرة سفرني بالطائرات إلى أنحاء العالم، ورائحة خبيثة انبثقت من الحمامات، وظننتها في أول الأمر بسبب عدم نظافتها، واليوم عرفت أن تلك الرائحة هي رائحة مطهر للحمامات يقتل الجراثيم فيها، ولكنه ليس كالمطهر الذي يستعمل في

البلدان العربية، أو التي تسير على الاقتصاد الحر، ويضيفون إليه ما يحسن رأحته، أو على الأقل ما يبعد الرائحة المكرهة عنه.

وعندما ارتفعت الطائرة في السماء بدا المنظر جهة الشرق رائعاً مؤلماً من  
اللوان متعددة، أسفلها منظر الأرض وهو أسود حالك، فوقه منظر السحب  
أشهب كأنما هو الشيب فوق رؤوس المسلمين التي أشابتها الأيام والليالي كما  
أشابتها الأهوال.

وراء ذلك منظر الأفق نحاسياً، ما ليث السبحان الأشهب أن جاله  
يرماده، ولم تكن هناك فرصة لرؤيه أي شيء من الأرض؛ بل كان وجهه  
الأرض مظلماً، بل متوجهماً في إظلامة.

وذكرت النظر من النافذة مرة بعد أخرى رجاءً أن يجلِّي الضياء صدأَ  
الظلام، فرأى صر من وجه الأرض ما يدفع عنِّي السأم، إلا أن انتظاري لذلك  
طال، والفجر لا يزال على حاله، والظلام على الأرض لم يبدأ في أضمهلاله.

فذكرت قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخي سدوله  
فقلات له لما تمسطى بصلبه  
ألا أيها الليل الطويل، ألا انجلی

وذكرت قول القتال الكلابي وقد حبس في المدينة المنورة، وهو من أهل ضرية في أعلى القصيم:

أبداً، ولذلك بالستار قصير

ما بال صبحك لا يكاد ينير

والستار: حيل قرب ضربة في أعلى منطقة القصيم من نجد.

ثم قلت: مالي ولا مرئي القيمس، والقتال الكلابي، والكلكل، والليل في هذه البلاد الروسية القصبية المادية التي لا تعرف إلا الليل الحلويل في

الشتاء، والنهر الطويل في الصيف.

وعرفت السر في طول الغبش، وتأخر إشراق الشمس، وهو أن الطائرة كانت متوجهة جهة الغرب مع ميل إلى الشمال، لأن الشمس تغرب في جهة الشمال الغربي المعتمد في فصل الصيف في هذه البلاد، لذلك صرنا كمن يماشي الشمس.

وأردت أن أSEND رأسي عسى أن استطع النعاس للتعويض عما فاتني من النوم البارحة، ولكنني لم أجده في الطائرة شيئاً مما يوجد فيها في العادة يساعد على جلب النعاس مثل الوسائل التي يستند إليها النائم رأسه أو مرفقه، أو الأغطية التي يستدفأ بها.

وقد دخلت الطائرة في لجة من السحاب، واستمرت داخل هذه اللجة مدة طويلة حتى قرينا من (لينين قراد) حيث انجل السحاب، فانكشف لنا منظر الأرض عن حقول زراعية، وبحيرات كثيرة، ومتانع للمياه أصغر من البحيرات، وربما كان لوجود هذه المناقع علاقة بموجة الدفء التي لاقتها بها البلاد الروسية، وكان أولها في (أوفا)، وموجة الدفء في البلدان الباردة تذيب الثلوج، فتكثر المناقع، ويتسع حجم البحيرات.

وتجلئ أيضاً في الأرض تحت الطائرة منظر الغابات التي لم يكن يبعدها عن النظر إلا الحقول الزراعية التي يبدو أن الغابات قد قطعت من أجلها.

# بلاد الروس



## **نبذة عن روسيا الاتحادية :**

تقع روسيا الاتحادية فوق مساحات كبيرة في آسيا وأوروبا، حدودها ممتدة من البحر الأسود حتى المحيط الهادئ، ومن أواسط آسيا حتى المحيط المتجمد الشمالي. تبلغ مساحتها نحو 17 مليون كم<sup>٢</sup>، عدد سكانها يقارب ١٥٠ مليون نسمة، ٦٥ % منهم روس، والبقية من الأقليات المختلفة، وغالبهم تatar و المسلمين وأوكرانيون.

تضم روسيا الاتحادية ٢١ جمهورية، ونحو ٨٥ وحدة إدارية ما بين إقليم ومحافظة.

## **الإسلام والمسلمون داخل روسيا الاتحادية :**

### **المقدمة:**

يوجد في روسيا الاتحادية قرابة تسع جمهوريات إسلامية ذات حكم ذاتي يقطنها نحو (٢٠) مليون مسلم، إضافة إلى (٣٠٠) مسجد، و (١٠٠) مدرسة، وفي الحقيقة أن الحديث عن واقع المسلمين في داخل روسيا الحديث مرّ ذو شجون لما تعانيه هذه الجمهوريات من مشكلات اقتصادية وسياسية واجتماعية وإعلامية وغيرها، فيعد تفكك ما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي السابق - الذي جلب الويلات على المسلمين، وقتلهم وشتتهم أفراداً وجماعات - جاءت روسيا بعد هذا التفكك لتكون هي الوصية على تركيبة الاتحاد السوفياتي، فسياساتها - بالنسبة للمسلمين - لا تعدو كونها جزءاً من سياسة زعماء الكرملين الذين تربعوا على عرش الشيوعية سبعة عقود من الزمن، فتلك السياسة أثبتت مصادقتها في الحرب الإبادية التي شنتها روسيا على جمهورية الشيشان المسلمة، وقتلت منهم عشرات الآلاف، وشردت مئات الآلاف، لا شيء إلا لخوفهم من أن يعود ذلك "المارد الإسلامي" من جديد في قلب دولتهم ليؤرق مصالحهم ويهدد مصالحهم. ولو نظرنا نظرة واقعية لهذه

السياسة من ناحية أخرى لوجدناها سياسة ذات معايير خاصة، مفصلة على حسب القوميات والأديان، فكل قومية أو دين – إذا صع التعبير - له سياسة خاصة من قبل الحكومة الروسية الحالية، فالمسيحيون مثلاً تطبق عليهم سياسة الإسوارة الذهبية، ويحافظون بعطف زائد، ودعم مادي ومعنوي كبيرين من قبل الدولة والهيئات والمؤسسات الرسمية والخاصة. أما المسلمون فيطبق عليهم سياسة الإسوارة الحديدية مع منحهم قدرأ من الحرية الدينية – التي لا تتعارض مع مصالح الدولة - كبناء المدارس وترميمها، وإصلاح وتنظيم المدارس والمعاهد الإسلامية فقط، فالإسلام في نظر الدولة الروسية والروس أنفسهم هو مجرد تعاليم بدائية، وعقيدة متخلفة، وأفكار إرهابية ..

مع أنه يوجد في هؤلاء الروس من ينكر تفكيراً سليماً، ويحلل التعاليم الإسلامية تحليلاً دقيقاً قائماً على التجدد والنظرية الاستقلالية الموضعية، فلائد كتب مستشار الدولة في شؤون العدل الروسية نيقولاي فيودروف في صحيفة NEZAVISIMAYA GAZETA " وتعني بالعربية الجريدة المستقلة " في عدد ٥٨ تاريخ ٢٠/٣/١٩٩٣ م مقالة ذكر فيها دور الإسلام الثقافي في حياة روسيا الاتحادية فقال:

«إذا أريد لروسيا أن تكون، فيجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار النظر إلى العنصر الإسلامي باعتباره أحد أهم عناصر الحضارة وشريان الحياة للملاليين من أبناء روسيا، وشرطأ من شروط استقرارهم النفسي، ومحوراً لعالهم الداخلي، ومعياراً لأخلاقياتهم وحقوقهم، ومن البديهي لكل من يسعى إلى السلم والازدهار في روسيا الاتحادية النظر إلى ذلك الواقع التاريخي، والذي جوهره أن الإسلام ليس شيئاً فرض على روسيا من الخارج، وليس شيئاً دخيلاً عليها، بل هو جزء من واقعها. إنه الجزء الذي أوجده ويعيشه في كل دقة الملايين من أبناء روسيا وفتياتها. فمعاداة الإسلام أو الوقوف ضده في روسيا معناه الوقوف ضد شعوب البلد نفسه ». انتهى.

هذه هي نظرية بعض المفكرين المستقلين عن سياسة الدولة، والمقال نفسه غنيّ عن التعليق..

## الجمهوريات الإسلامية داخل روسيا الاتحادية

- ١- جمهورية الشيشان.
- ٢- جمهورية الأنجوش.
- ٣- جمهورية داغستان .
- ٤- جمهورية قابريدين بلقاريا.
- ٥- جمهورية قرتشاي شركس.
- ٦- جمهورية أديغى.
- ٧- جمهورية تatarستان.
- ٨- جمهورية بشيرستان.

وأكثر هذه الجمهوريات زرتها، وكتبت عنها كتاباً، بعضها مطبوع، لذلك لن نذكر هنا إلا جمهورية واحدة هي جمهورية الشيشان والأنجوش لأن لها وضعًا خاصًا في جمهورية روسيا الاتحادية، ولم أفردها بكتاب مثل غيرها.

### جمهورية الشيشان والأنجوش :

#### الموقع والمساحة:

تقع هاتان الجمهوريتان في شمال القوقاز على السفوح الشمالية لسلسة جبال القوقاز الكبرى، والوديان المحاذية لها. ويحدهما من الشمال إقليم ستافروبول الروسي، ومن الجنوب جمهورية جورجيا، أما من الجهات الأخرى فتحيط بهما أراضي قبردina بلقاريا، وأسيتيا الشمالية، وداغستان.

تبلغ مساحة جمهورية الشيشان ١٩ ألف كم<sup>٢</sup> وعدد سكانها قرابة

مليوني نسمة كلهم من المسلمين السنة، وعاصمتها مدينة غروزني، أما جمهورية الأنفوش فمساحتها نحو ٣ آلاف كلم<sup>٢</sup> ، وعدد سكانها في حدود ٣٠٠ ألف نسمة، منهم عدد من الروس والشيشان، وعاصمتها مدينة نزاران.

### لحة تاريخية:

الإسلام في بلاد الشيشان، الحكم القيصري، الحكم الشيوعي.

يمثل الشيشان والأنجوش الشعوبتين الرئيسيتين في هذه المنطقة التي يقطنها أبناء قوميات كثيرة بتوع لا نظير له في العالم. وهم متقاربان في المنشأ واللغة والثقافة والعادات، وكانوا على مدى القرون يدافعون عن نمط حياتهما في صراع متواصل ضد الأعداء الخارجيين وفي حروب داخلية. وفي القرن السادس عشر بدأ المد الإسلامي في بلاد الشيشان، وأصبح هو الدين السائد في القرن التاسع عشر، مع أن الحكم الإسلامي في منطقة القوقاز كان قد استمر مئات السنين عرفت خلاله البلاد الأمن والاستقرار والازدهار.

واعتباراً من القرن الثامن عشر اقتحمت روسيا القيصرية من شمال القوقاز مباشرة، وشققت طريقها إلى ما وراء القوقاز نحو حليفتها جورجيا وأرمينيا، وبسطت حمايتها عليهما. واستخدمت السلطات الروسية وسائل السلم وال الحرب من أجل السيطرة على المنطقة.

وفي مطلع القرن التاسع عشر تقبل الأنفوش التبعية لروسيا، لكن الشيشان أبدوا مقاومة ضارية، وقام الشعب الشيشاني وأبناء الشعوب المجاورة لهم مراراً، وبقيادة الزعماء الدينين مثل الشيخ منصور، والشيخ غاري محمد، والإمام شامل بثورات قوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأعلنوا الجهاد المقدس الذي تواصل على مدى سنوات عديدة رغم استخدام القوات العسكرية الروسية ضد الثوار. وفي عام ١٨٥٩ انتهت أكبر حركة ثورية جهادية بقيادة الإمام شامل، وضمت بلاد الشيشان نهائياً إلى الإمبراطورية الروسية، وألحقت بها كمحافظة.

وفي العشرينات من القرن الحالي، وبعد أن قامت السلطة السوفياتية في شمال القوقاز منحت السلطات البلاشفية الشيشان والأنجوش حق تكوين مقاطعة ذات حكم ذاتي ضمن أطر روسيا الاتحادية السوفيتية الاشتراكية.

وقد احتلت القوات الألمانية جزءاً من الجمهورية في سنوات الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٤٤ حين استعاد الجيش الأحمر هذه الأرضي وجه الاتهام إلى كلا الشعبين بالخيانة والتعامل مع الغزاة الفاشيين، وقام نظام ستالين بتهجيرهما من مواطنهم، وإبعادهما إلى آلاف الكيلومترات كآسيا الوسطى، ومناطق سiberia. وهكذا بقي أبناء الشعبين على مدى ١٣ عاماً في وضع المنفيين السياسيين، وحرموا في الواقع من جميع حقوقهم المدنية. وفي عام ١٩٥٧م. اعتبر الإبعاد عملاً غير قانوني، وأعيد تكوين الجمهورية ذات الحكم الذاتي لكن ليس في جميع أراضيها؛ إذ ضمت نسبة ٥٠ % تقريباً من الأرضي الأنجلوشية التابعة لجمهورية الأنجوش إلى آسيتيا الشمالية المجاورة، واستوطنهما الأهالي المحليون، وفي الوقت ذاته سلمت إلى الجمهورية ثلاثة مناطق تابعة لروسيا كانت تعيش فيها نسبة كبيرة من أهالي القوقاز. وبعدها أخذت غالبية الشيشان والأنجوش بالعودة إلى مواطنهم، ولكن قسماً منهم (بضع عشرات الآلاف) بقوا في آسيا الوسطى، وتوجد جاليات كبيرة من الشيشان والأنجوش في مختلف مدن روسيا الاتحادية.

وفي مطلع بداية التسعينيات كان الشيشان والأنجوش يشكلون نسبة ٧٤ % من مجموع سكان منطقة الشيشان والأنقوش، أما النسبة الباقي فتتألف من الروس وأبناء الشعوب الداغستان، والتatar، والأرمن، والأكرانيين وغيرهم.

### فترة البيروفيكا، العلاقة مع موسكو، المشكلات القومية:

كلمة البيروفيكا كلمة روسية تعني إعادة البناء.

لقد دفعت البيروفيكا وما تبعها من أحداث إلى إثارة الوعي القومي

لدى الشيشان والأنجوش، وفتحت المجال لظهور قوى وحركات جديدة على مسرح الأحداث، وحدث في الوقت نفسه انفجار مشاعر الإساءة والمرارة في نفوس الناس التي كانت السلطات تحمدها سابقاً، وتقوم بقمعهم بشتى الوسائل غير القانونية، ونتيجة لذلك تكيد الشعب الكثير من الضحايا، وشوهدت ثقافته ولغتها ...

لهذا فإن جميع مشكلات جمهورية الشيشان وشعبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية تركزت في بؤرة واحدة هي البؤرة القومية. وفي نهاية الثمانينيات حاولت القيادة الحزبية الإدارية للجمهورية في سعيها للاحتفاظ بالسلطة ركوب هذه النزعة ورفع شعاراتها.

وفي نوفمبر ١٩٩٠ عقد مؤتمر أصدر فيه مجلس السوفيت الأعلى لجمهورية الشيشان والأنجوش بيان استقلال جمهوريتهم. وينص البيان على أن يسع جمهوريتهم - يذكر بأن الجمهوريتين كانتا جمهورية واحدة ثم انفصلت أنفوشيا عن الشيشان في عام ١٩٩٢ - بصفتها دولة مستقلة أن تقيم علاقات تعاقدية مع الدول الأخرى أو اتحادات الدول. وقد تولى الجنرال جوهر دودايف (الشيشاني) رئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر المذكور.

والجدير بالذكر بأن جوهر دودايف ولد في عام ١٩٤٤م، وأمضى طفولته في المنفى، ومهنته طيار حربي، وفي الفترة ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي تولى قيادة وحدة الطيران الاستراتيجي.

ولقد خاض المؤتمر العام للشيشان برئاسة دودايف منذ عام ١٩٩٠م النضال من أجل إبعاد دوائر الحكم القديمة عن السلطة متهمًا إياها بالفساد، وبعرقلة الإصلاحات الجذرية التي تخدم مصالح الشعب الشيشاني.

ولقد حظي نهج الجنرال دودايف - بداية الأمر - بعطフ وتأيد كبارين من الرئيس الروسي بوريس يلتسين وحاشيته لأنهم كانوا آنذاك يناضلون ضد

احتكر الهيئات الاتحادية والحزبية الموالية للرئيس غورباتشوف.

وبنتيجة الأعمال الحاسمة التي قام بها المؤتمر، وتأسيس حرسه قدم مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان والأنجوش استقالته في خريف ١٩٩١م. وفي ٢٧ نوفمبر ١٩٩١ تم انتخاب دودايف رئيساً لجمهورية الشيشان باعتبارها دولة ذات سيادة خارج قوام الاتحاد السوفييتي وروسيا الاتحادية، لكن تآزمت العلاقات بين موسكو وغروزني بعد خطوة دودايف تلك وما أعقبها من أفعال مثل المصادقة على الجنسية الشيشانية، والنية في تشكيل جيش وحرس شيشانيين، وإصدار عملة نقدية وغير ذلك. واتخذ الرئيس دودايف موقفاً متشددأً من السلطات الروسية، واتهمها بفرض حصار اقتصادي ومالي وغيره على جمهوريته. وبعدها أخذ دودايف يلوح بالجهاد ضد روسيا إذا ما لجأت هذه الأخيرة إلى شن أعمال عسكرية ضد بلده، وتتفيداً لأمر دودايف حصل جميع مواطني الشيشان على حق اقتداء وحمل السلاح دفاعاً عن الوطن. الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقة نهائياً بين الجمهوريتين نتيجة للمواقف العديدة التي اتخذها دودايف - من خريف ١٩٩١ حتى خريف ١٩٩٤ - ضد روسيا. الشيء الذي دفع الجيش الروسي إلى شن حرب بلا هواة ضد شعب الشيشان وقاده في ديسمبر ١٩٩٤، وذلك بهدف انصياع جمهورية الشيشان وقادها لأوامر روسيا باعتبارها - أي الشيشان - جزءاً لا يتجزأ من روسيا الاتحادية. واستمرت الحرب حتى نهاية صيف ١٩٩٦ تكبد خلالها الجيش الروسي عشرات الآلاف من القتلى والجرحى بعد المقاومة العنيفة التي أبدتها أبناء الشيشان في الدفاع عن وطنهم، والتي أذلت العالم بأسره، واضطرر الروس إلى الانسحاب من الشيشان دون قيد أو شرط.

### النشيد الوطني الشيشاني:

نعتقد أنه لا بد أن نشير هنا إلى هذا النشيد والذي من خلاله ترى اعتزاز الشعب الشيشاني بدينه ووطنيته، ويطلق الشيشانيون على وحدة قواتهم

العسكرية اسم قطبيع الذئب، هذا القطبيع الذي وقف أمام الغطرسة الشيوعية عشرات السنين، وهو الذي تمكّن من دحر القوات الروسية، وحماية الوطن من الزحف الروسي في الوقت الحالي.

النشيد يقول:

في ليلة الذئب خرجنا إلى الدنيا  
وعند زفير الأسد في الصباح سمونا بأسمائنا  
وهي أعشاش النسور أرضعتنا أمهاقاتنا  
ومنذ طفولتنا علمنا آباًونا فنون الفروسية  
لا إله إلا الله محمد رسول الله  
لهذه الأمة (الإسلامية) ولهذا الوطن ولديتنا أمهاقاتنا  
وقفنا دائماً شجاعاناً نلبي نداء الأمة والوطن  
لا إله إلا الله محمد رسول الله  
جبالتنا المكسوة بحجر الصوان  
عندما يدوي في أرجائنا رصاص الحرب  
نقف بكرامة وشوق على مر السنين  
نتحدى الأعداء مهما كانت الصعاب  
وببلادنا عندما تتفجر بالبارود  
من المحال أن تدفن فيها إلا بشرف وكراهة  
لا إله إلا الله محمد رسول الله  
لن نستكين أو نخضع لأحد إلا الله

فإنها إحدى الحسنين تفوز بها

الشهادة أو النصر

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

جراحتنا تضمنها أمهاطنا وأخواتنا بذكر الله

ونظرات الفخر في عيونهن تشير فينا القوة والتحدي

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إذا حاولوا تجويينا سنأكل جذور الشجر

وإذا منع الماء عننا سنشرب ندى النبات

فتحن في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا

ونحن دائمًا سنبقى مطيعين لله ثم للوطن

ولهذه الأمة (الإسلامية)

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

الثروات الطبيعية، الثقافية، الوضع الاجتماعي:

- تتمتع الشيشان والأنجوش بصناعة وزراعة لا بأس بهما. ويشكل أساس الصناعة مجمع النفط والغاز، والذي يعتبر ثروة البلاد الرئيسية، وتتركز حقول النفط حول العاصمة غروزنى، يذكر بأن معظم أنابيب حقول النفط أو الحقول ذاتها تضررت ضرراً كبيراً أثناء الهجمة الشرسة التي شنها الروس في حربهم ضد الشيشان.

- أما من الناحية الثقافية فنستطيع القول بأن وضع - الشيشان خاصة - وضع سيئ جداً، وذلك نتيجة الحرب التي كان من نتائجها تدمير الكثير من المدارس والمعاهد والجامعات، فمثلاً يذكر أنه كان - قبل الحرب -

يرتاد المدارس أكثر من (٣٠) ألف طالب وطالبة، وأكثر من (٣٠) ألف تلميذ كانوا يدرسون في المعاهد الفنية والمتوسطة والمعاهد العالية، ولكن للأسف الشديد معظمها - ٨٠ % تقريباً - دمر تدميراً كاملاً، وحرم الآلاف من الدراسة.

- الوضع الاجتماعي: مأساوي أكثر من الوضع الثقافي، فجميع المؤسسات الاجتماعية بما فيها الخدمات الطبية تعمل بشكل مترب جداً، ولا تكاد تفي بالحاجة المطلوبة، إضافة إلى وضع المهرجين الذين فروا من ديارهم أثناء الحرب، ويعدون بالآلاف عادوا ليجدوا منازلهم مدمرة تماماً، وأراضيهم محروقة، وممتلكاتهم منهوبة، فلم يجدوا لهم سوى السماء غطاء والأرض فراشاً..

### التحديات التي تواجهها هذه الجمهوريات اليوم:

هناك تحديات عديدة تواجهها الجمهوريات الإسلامية داخل روسيا الاتحادية، منها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والإعلامية.. ومن أهم هذه التحديات:

- محاولة محو الهوية الإسلامية عن طريق الهجمة الثقافية والانتهاج الاقتصادي.

- ظهور عامل القومية بدل العامل الإسلامي.

- سعي روسيا إلى تقسيم تلك الجمهوريات إلى دولات متاحرة، وزرع أسباب التفرقة، وجعل المنطقة في نزاع مستمر حتى لا تستقر المنطقة أمنياً الشيء الذي يساعد بدوره على زعزعة استقرار تلك المناطق اجتماعياً واقتصادياً.

- تغذية النزاعات العرقية بين المسلمين.

- محاولة روسيا تهشيم البنى الاقتصادية والتعليمية لكي تبقى هذه الجمهوريات تحت تبعيتها.

- سعي روسيا إلى إنشاء بعض المراكز الكيماوية والنووية (للتصنّيع) في تلك المناطق بغرض إفسادها بيئياً.
  - النزاع على مشكلات الحدود.
  - التصub القبلي، وذلك يتجلّى من خلال الانغلاق الاجتماعي بين تلك الجمهوريات.
  - تشجيع الحملات التصويرية ودعمها مادياً ومعنوياً لتصير أهل تلك البلاد.
  - محاولة التغلغل اليهودي عن طريق الميدان الاقتصادي، وتأسيس بعض البنوك وتشجيع الاستثمار.
  - نشر الفساد الأخلاقي من خلال الحملات الإعلامية اليهودية.
- انتشار ظواهر الفقر والجوع وبعض الأمراض يسبّب تدهور الحالتين الاجتماعية والاقتصادية.

## **الحلول:**

- نحاول من خلال نظرتنا البسيطة ومعايشتنا للواقع هنا أن نضع بعض الحلول التي نراها تساعد على الوقوف أمام تلك التحديات الكبيرة:
- محاولة نشر مبادئ الإسلام الأساسية والسليمة بين أبناء تلك الجمهوريات.
  - دعم البنية الاقتصادية لتلك الجمهوريات وخاصة البنية التعليمية.
  - محاولة توعية الشعب المسلم بالأطماء الأجنبية، وخاصة إذا ما علمنا أن هذه الجمهوريات تحتوي أراضيها على ثروات طبيعية غنية جداً.
  - محاولة ربط تلك الجمهوريات على أساس إسلامية سليمة بعيدة عن القومية والقبلية.
  - الحث على إرسال بعض الشباب للدول الإسلامية من أجل التعلم والتوسيع والتثقيف لتلقي العلوم بأنواعها المختلفة لتكوين الغنر المؤهل الذي يستطيع الوقوف أمام تلك التحديات.
  - العمل على توحيد جهد المنظمات والمؤسسات الإسلامية العاملة في تلك الجمهوريات والتنسيق فيما بينها.
  - تشجيع الاستثمار الإسلامي في تلك المناطق.
  - تشجيع تأسيس جامعات ومعاهد ومدارس عربية بجميع علومها الشرعية والطبيعية.
  - القيام بالتوعية الصحية والدعم الصحي بإقامة مراكز طبية وتسهيل قواقل صحية.
  - مواجهة تغلغل المؤسسات الصليبية في تلك الجمهوريات.
  - القيام بحملة توعية شاملة للوقوف ضد ما يقوم به اليهود من نشاطات

و خاصة الاقتصادية منها.

### بلاد الروس:

نحب أن نعرض على القارئ الكريم ما نقله ياقوت الرومي في معجم البلدان عن الكاتب ابن فضلان الذي زار بلاد البلغار على نهر (الفولقا)، ورأى جماعة من الروس قبل أن يعتقروا المسيحية، وإنما كانوا وثنيين آنذاك في آخر القرن الرابع الهجري.

ولولا أن كتبنا هذا كتاب رحلة ومشاهدات نقلت لك - أيها القارئ الكريم - الكثير مما ذكره علماؤنا الأوائل عن الروس الصقالبة الذين هم (السلاف) في الوقت الحاضر.

إنما نقلت هنا هذه النبذة من باب المقارنة بين ماضي الروس وحاضرهم وقد حذفت جملة أو جملتين من كلامه لأن إثباتهما غير لائق. مع التبيه على أن المعلومات المذكورة فيه هي منقوله عن غير أهل البلاد، وفي وقت كان التعويل على التهويل لدى المؤلفين أمراً شائعاً.

قال ياقوت:

"روس: بضم أوله، وسكون ثانية، وسين مهملة، ويقال لهم: رُسَّ، بغير واو: أمة من الأمم، بلادهم متاخمة للصقالبة<sup>(١)</sup> والترك، ولهم لغة برأسها، ودين وشريعة لا يشاركون فيها أحد، قال المقدسي: هم في جزيرة وبراءة، يحيط بها بحيرة، وهي حصن لهم ممن أرادهم، وحملتهم على التقدير مائة ألف إنسان، وليس لهم زرع ولا ضرع، والصقالبة يُغيرون عليهم ويرأذنون أموالهم، وإذا ولد لأحدهم مولود ألقى إليه سيفاً وقال له: ليس لك إلا ما تكسبه بسيفك، وإذا حكم ملوكهم بين خصميين بشيء ولم يرضيا به قال لهما:

(١) الصقالبة: السلافيون

تحاكما بسيفيكما، فـأي السيفين كان أحدَ كـانت الغلبة له، وهم الذين استولوا على برذعة سنة، فـانتهـوكـوها حتى رـدـها اللهـمـوـنـهـمـوـأـبـادـهـمـ؛ وـقـرـأـتـ في رسـالـةـ أـحـمـدـ بنـ فـضـلـانـ بنـ العـيـاـسـ بنـ رـاشـدـ بنـ حـمـادـ مـوـلـىـ مـحـمـدـ بنـ سـلـيـمـانـ رسـولـ المـقـتـدـرـ إـلـىـ مـلـكـ الصـقالـةـ حـكـىـ فـيـهـ ماـ عـاـيـنـهـ مـنـذـ اـنـفـصـلـ منـ بـغـدـادـ إـلـىـ أـنـ عـادـ إـلـيـهـ، فـحـكـيـتـ مـاـ ذـكـرـهـ عـلـىـ وـجـهـهـ اـسـتـعـجـابـاـ بـهـ، قـالـ: وـرـأـيـتـ الرـوـسـيـةـ وـقـدـ وـافـواـ بـتـجـارـاتـهـ فـنـزـلـواـ عـلـىـ نـهـرـ إـتـلـ<sup>(١)</sup>ـ، فـلـمـ أـرـ أـتـمـ أـبـداـنـاـ مـنـهـ، كـأـنـهـ النـخـلـ، شـقـرـ حـمـرـ، لـاـ يـلـبـسـونـ الـقـراـطـقـ وـلـاـ الـخـفـاتـينـ، وـلـكـنـ يـلـبـسـ الرـجـلـ مـنـهـ كـسـاءـ يـشـتـملـ بـهـ عـلـىـ أـحـدـ شـقـيـهـ، وـيـخـرـجـ إـحـدـيـ يـدـيـهـ مـنـهـ، وـمـعـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ سـيـفـ وـسـكـينـ وـفـأسـ لـاـ تـقـارـقـهـ، وـسـيـوـفـهـ صـفـائـحـ مـشـطـبـةـ إـفـرـنجـيـةـ، وـمـنـ حـدـ ظـفـرـ الـوـاحـدـ مـنـهـ إـلـىـ عـنـقـهـ مـحـضـرـ شـجـرـ وـصـورـ وـغـيـرـ ذـلـكـ، وـكـلـ اـمـرـأـ مـنـهـ عـلـىـ ثـيـيـهـ حـقـةـ مـشـدـوـدـةـ إـمـاـ مـنـ حـدـيدـ وـإـمـاـ مـنـ نـحـاسـ وـإـمـاـ مـنـ فـضـةـ وـإـمـاـ مـنـ ذـهـبـ، عـلـىـ قـدـرـ مـالـ زـوـجـهـ وـمـقـدـارـهـ، فـيـ كـلـ حـقـةـ حـلـقةـ فـيـهـ سـكـينـ مـشـدـوـدـةـ عـلـىـ الثـدـيـ أـيـضاـ، وـفـيـ أـعـنـاقـهـ أـطـوـاقـ ذـهـبـ وـفـضـةـ؛ لـأـنـ الرـجـلـ إـذـاـ مـلـكـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـرـهـمـ صـاغـ لـاـمـرـأـتـهـ طـوـقاـ، وـإـنـ مـلـكـ عـشـرـينـ أـلـفـاـ صـاغـ لـهـ طـوـقـينـ، وـكـلـماـ زـادـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـرـهـمـ يـزـيدـ لـهـ طـوـقاـ آـخـرـ، فـرـيمـاـ كـانـ فـيـ عـنـقـ الـوـاحـدـةـ مـنـهـ أـطـوـاقـ كـثـيرـةـ، وـأـجـلـ الـحـلـيـ عـنـدـهـمـ الـخـرـزـ مـنـ الـخـرـفـ الـذـيـ يـكـونـ عـلـىـ السـفـنـ، يـيـالـفـونـ فـيـهـ وـيـشـتـرـوـنـ الـخـرـزـ مـنـ بـدـرـهـمـ، وـيـنـظـمـوـنـهـ عـقـدـاـ لـنـسـائـهـ.

وـهـمـ أـقـدـرـ خـلـقـ اللهـ لـاـ يـسـتـجـوـنـ مـنـ غـائـطـ وـلـاـ يـغـتـسـلـوـنـ مـنـ جـنـابـهـ كـأـنـهـمـ الـحـمـيرـ الضـالـةـ، يـجـيـئـوـنـ مـنـ بـلـدـهـمـ فـيـرـسـوـنـ سـفـنـهـمـ بـإـتـلـ، وـهـوـ نـهـرـ كـبـيرـ، وـيـبـنـوـنـ عـلـىـ شـاطـئـهـ بـيـوتـاـ كـبـارـاـ مـنـ الـخـشـبـ، وـيـجـتـمـعـ فـيـ الـبـيـتـ الـوـاحـدـ الـعـشـرـةـ وـالـعـشـرـونـ وـالـأـقـلـ وـالـأـكـثـرـ، وـلـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـ سـرـيرـ يـجـلـسـ عـلـيـهـ وـمـعـهـ جـوـارـيـهـ الـرـوـقـةـ لـلـتـجـارـةـ ... وـلـاـ بـدـ لـهـمـ فـيـ كـلـ يـوـمـ بـالـغـدـاءـ أـنـ تـأـتـيـ الـجـارـيـةـ وـمـعـهـاـ قـصـعـةـ

(١) هو: نهر الفولقا.

كبيرة فيها ماء فتقدمها إلى مولاها، فيغسل فيها وجهه ويديه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة، ثم يتمخض وييصلق فيها، ولا يدع شيئاً من القدر إلا فعله في ذلك الماء، فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت القصعة إلى الذي يليه، فيفعل مثل ما فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تدبرها على جميع من في البيت، وكل واحد منهم يتمخض ويصلق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها.

واسعة موافاة سفتهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم ولبن وبصل ونبيذ حتى يواقي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصب في الأرض، فيواقي إلى الصورة الكبيرة ويسجد ثم يقول: يا رب قد جئت من بعد ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً، ومن السمور كذا وكذا جلداً، حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارتة، ثم يقول: وقد جئت بهذه الهدية، ثم يتراكم ما معه بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودرارم، فيشتري مني كل ما أريد لا يخالفني في جميع ما أقول، ثم ينصرف، فإن تعسر عليه، وطالت أيامه، عاد بهدية أخرى ثانية وثالثة، فإن تعذر عليه ما يريد حمل إلى صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة، وقال: هؤلاء نساء ربنا وبناته، ولا يزال إلى صورة صورة، ويسألهما ويستشفع بها، ويتصبر بين يديها، فربما تسهل له البيع فباع، فيقول: قد قضى ربي حاجتي وأحتاج أن أكافئه، فيعمد إلى عدة من البقر والغنم على ذلك، ويقتلها ويتصدق ببعض اللحم، ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغرى التي حولها، ويعلق رؤوس البقر والغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض، فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت ذلك، فيقول الذي فعله: قد رضي عني ربي وأأكل هديتي.

وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم، وطروحوه فيها

وجعلوا معه شيئاً من الخبر والماء، ولا يقررونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيامه لا سيما إن كان ضعيفاً أو كان مملاً، فإن برأ وقام رجع إليهم، وإن مات أحرقوه وإن كان مملاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير.

إذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاؤوا به إلى شجرة طويلة غليظة، وشدوا في عنقه حبلأوثيقاً وعلقوه فيها، ويبقى معلقاً حتى يتقطع من الكث إما بالرياح أو بالأمطار.

وكان يقال لي: إنهم كانوا يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أفلها الحرق، فكنت أحب أن أقف على ذلك حتى بلغني موت رجل منهم جليل، فجعلوه في قبره وسقفوه عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياتتها، وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينتين صغيرتين، ويجعلونه فيها ويحرقونها، والغنى يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة أثلاث: فثلاث لأهله، وثلث يقطعون به ثياباً، وثلث يشترون به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها.

وهم مستهترون بالخمر، يشربونها ليلاً ونهاراً، وربما مات الواحد منهم والقبح في يده، وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه: من منكم يموت معه؟ فيقول بعضهم: أنا، فإذا قال ذلك فقد وجب عليه، لا يستوي له أن يرجع أبداً، ولو أراد ذلك ما ترك، وأكثر ما يفعل هذا الجواري.

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه: من يموت معه؟ فقالت إحداهن: أنا، فوكلوا بها جاريتن تحفظانها وتكونان معها حيثما سلكت، حتى إنها ربما غسلتا رجليها بأيديهما، وأخذنا في شأنه وقطع الثياب له، وإصلاح ما يحتاج إليه، والجارية في كل يوم تشرب وتغبني فارحة مستبشرة، فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية، حضرت إلى النهر الذي فيه سفينته، فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب

الخانج وغيره، وجعل حولها أيضاً مثل الأناس الكبار من الخشب، ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب، وأقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا أفهمه، وهو بعد في قبره لم يخرجوه، ثم جاؤوا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضريات الدبياج الرومي، والمساند الدبياج الرومي، ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت، ففرشت على السرير الذي ذكرناه، وهي وليت خياطته وإصلاحه، وهي تقتل الجواري، ورأيتها حواء نيرة ضخمة مكفهرة، فلما وافوا قبره نحوه التراب عن الخشب، ونحوه الخشب واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه، فرأيته قد اسود لبرد البلد.

وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيداً وفاكهه وطنبوراً، فأخرجوا جميع ذلك، وإذا هو لم يتغير منه شيء غير لونه، فالبسوه سراويل وراناً وخفاً وقرطاً وخفتان دبياج له أزرار ذهب، وجعلوا على رأسه قانسوة من دبياج سمور، وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة، وأجلسوه على المضرية، وأسندوه بالمساند، وجاؤوا بالنبيذ والفواكه والريحان، فجعلوه معه، وجاؤوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه، وجاؤوا بكلب فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة، ثم جاؤوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا، ثم قطعوهما بالسيوف وألقوا لحمهما بالسفينة، ثم جاؤوا ببقرتين فقطعوهما أيضاً وألقواهما في السفينة، ثم أحضروا ديكًّا ودجاجة فقطاوهما وطرحوهما فيها.

والجارية التي ثُقْتَلْ ذاتِه وجائِيَة تدخل قبة قبة من قباهِم . . .

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاؤوا بالجارية إلى شيء عملوه مثل ملين الباب، فوضعت رجلها على أكف الرجال وأشرفـت على ذلك الملين، وتكلمت بكلام لها، فأنزلوها ثم أصعدوها ثانية، ففعلـت ك فعلـها في المرة الأولى، ثم أنزلـوها وأصـعدـوها ثالـثـة، فـفعـلت فـعلـها في المرـتـين، ثم دـفعـوا لها دجاجـة فـقطـعت رـأسـها ورمـتـ بهـ، فـأخذـوا الدـجاجـة وأـلقـواـهاـ فيـ السـفـينـةـ

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في المرة الأولى: هو ذا أرى أبي وأمي، وقالت في المرة الثانية: هو ذا أرى جميع قرابتى الموتى قعوداً، وقالت في المرة الثالثة: هو ذا أرى مولاي قاعداً في الجنة، والجنة حسنة خضراء، ومعه الرجال والغلمان، ويدعوني فاذهبوا بي إليه.

فمروا بها نحو السفينة، فنزعـت سوارـين كانـا معـها فدفعـتهـما إـلـى الـمرـأـة العـجـوزـةـ الـتيـ تـسـمـيـ مـلـكـ الـمـوـتـ وـهـيـ الـتـيـ تـقـتـلـهـاـ، وـنـزـعـتـ خـلـخـالـينـ كـانـاـ عـلـيـهـاـ وـدـفـعـتـهـمـاـ إـلـىـ الـجـارـيـتـيـنـ الـلـتـيـنـ كـانـتـاـ تـخـدـمـانـهـاـ وـهـمـاـ اـبـنـتـاـ الـمـعـرـوـفـةـ بـمـلـكـ الـمـوـتـ، ثـمـ أـصـدـعـوـهـاـ إـلـىـ السـفـيـنـةـ وـلـمـ يـدـخـلـوـهـاـ إـلـىـ الـقـبـةـ.

وـجـاءـ الرـجـالـ وـمـعـهـمـ التـرـاسـ وـالـخـشـبـ، وـدـفـعـوـاـ إـلـيـهـاـ قـدـحـاـ مـنـ نـبـيـذـ فـغـتـتـ عـلـيـهـ وـشـرـيـتـهـ، فـقـالـ لـيـ التـرـجمـانـ: إـنـهـاـ تـوـدـعـ صـوـاحـبـاتـهـ بـذـلـكـ، ثـمـ دـفـعـ إـلـيـهـ قـدـحـ آخرـ فـأـخـذـتـهـ وـطـوـلـتـ الـفـنـاءـ، وـالـعـجـوزـ تـسـتـعـثـشـاـ عـلـىـ شـرـيـهـ وـالـدـخـولـ إـلـىـ الـقـبـةـ الـتـيـ فـيـهـاـ مـوـلـاـهـاـ، فـرـأـيـتـهـاـ وـقـدـ تـبـلـدـتـ وـأـرـادـتـ الدـخـولـ إـلـىـ الـقـبـةـ، فـأـدـخـلـتـ رـأـسـهـاـ بـيـنـ الـقـبـةـ وـالـسـفـيـنـةـ، فـأـخـذـتـ الـعـجـوزـ رـأـسـهـاـ وـأـدـخـلـتـهـاـ الـقـبـةـ، وـدـخـلـتـ مـعـهـاـ الـعـجـوزـ، وـأـخـذـ الرـجـالـ يـضـرـبـونـ بـالـخـشـبـ عـلـىـ التـرـاسـ لـتـلـاـيـسـمـعـ صـوتـ صـيـاحـهـاـ، فـيـجـزـعـ غـيرـهـاـ مـنـ الـجـوـارـيـ فـلـاـ يـطـلـبـنـ الـمـوـتـ مـعـ مـوـالـيـهـنـ، ثـمـ دـخـلـ الـقـبـةـ سـتـةـ رـجـالـ ... ثـمـ أـضـجـعـوـهـاـ إـلـىـ جـنـبـ مـوـلـاـهـاـ الـمـيـتـ، وـأـمـسـكـ اـثـنـانـ رـجـلـيـهـاـ وـاثـنـانـ يـدـيـهـاـ، وـجـعـلـتـ الـعـجـوزـ الـتـيـ تـسـمـيـ مـلـكـ الـمـوـتـ فـيـ عـنـقـهـاـ حـبـلاـ مـخـالـفاـ، وـدـفـعـتـهـ إـلـىـ اـثـنـيـنـ لـيـجـذـبـاهـ، وـأـقـبـلـتـ وـمـعـهـاـ خـنـجـرـ عـظـيمـ عـرـيـضـ النـصـلـ، فـأـقـبـلـتـ تـدـخـلـهـ بـيـنـ أـضـلـاعـهـاـ مـوـضـعـاـ وـتـخـرـجـهـ، وـالـرـجـلـانـ يـخـنـقـانـهـاـ بـالـحـبـلـ حـتـىـ مـاتـتـ.

ثـمـ وـافـىـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـىـ ذـلـكـ الـمـيـتـ، فـأـخـذـ خـشـبـةـ فـأـشـعلـهـاـ بـالـنـارـ ثـمـ مـشـىـ الـقـهـقـرـىـ نـحـوـ قـفـاهـ إـلـىـ السـفـيـنـةـ ... حـتـىـ أـحـرـقـ ذـلـكـ الـخـشـبـ الـذـيـ قـدـ عـبـوـهـ تـحـتـ السـفـيـنـةـ مـنـ بـعـدـ مـاـ وـضـعـوـاـ الـجـارـيـةـ الـتـيـ قـتـلـوـهـاـ فـيـ جـنـبـ مـوـلـاـهـاـ، ثـمـ وـافـىـ النـاسـ بـالـخـشـبـ وـالـحـطـبـ، وـمـعـ كـلـ وـاحـدـ خـشـبـةـ، وـقـدـ أـلـهـبـ رـأـسـهـاـ

فيقيها في ذلك الخشب، فتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها، ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتبد لهب النار واضطربت سعّرها.

وكان إلى جانبي رجل من الروسية، فسمعته يكلم الترجمان الذي معه، فسألته عما قال له، فقال: إنه يقول أنتم معاشر العرب حمقى، لأنكم تعمدون إلى أحب الناس إليّكم، وأكرمهم عليّكم، فتطرحوه في التراب فتأكله الهوا و الدود، ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنّة من وقته و ساعته، ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال: من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعته.

فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة وال火طب والرجل الميت والجارية رماداً رمداً، ثم بنوا على موضع السفينة، وكانوا آخر جوها من النهر، شبيها بالتل المدور، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خذنج، وكتبوا عليها اسم الرجل، واسم ملك الروس وانصرفا.

قال: ومن رسم ملوك الروس أن يكون معه في قصره أربعين إله رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده فهم يموتون بموتهم ويقتلون دونه، ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه، وتصنع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطؤها.

وهؤلاء الأربعين إله يجلسون تحت سريره، وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوادر، ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه، وربما وطئ الواحدة منهن بحضور أصحابه الذين ذكرنا، ولا ينزل عن سريره، فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت، وإذا أراد الركوب قدموا ذاته إلى السرير فركبها منه، وإذا أراد النزول قدم ذاته حتى يكون نزوله عليه، وله خليفة يسوس الجيوش، ويواضع الأعداء ويخلقه في رعيته.

هذا ما نقلته من رسالة ابن فضلان حرفاً حرفاً، وعليه عهدة ما حكاه،

والله أعلم بصحته، وأما الآن فالمشهور من دينهم دين التصرانية  
ا.هـ. كلام ياقوت رحمة الله.

## في مطار لينين قراد :

رأينا مدينة لينين أو جزءاً من ضواحيها من الطائرة، وهي تهم بالهبوط ذات أشجار هامدة من أشجار الغابات، وشوارع مستقيمة جيدة المظهر تحف بها الأشجار الضخمة التي تدل على أنها كانت نامية قبل شق تلك الطرق، والمدينة واقعة على بحر الباطق كما هو معروف.

وهيططت الطائرة في مطار أنكوفا لينين قراد في الثامنة والنصف بتوقيت (أوها) التي غادرناها، ويساوي السادسة والنصف بتوقيت (لينين قراد) فصارت المسافة ثلاثة ساعات إلا ربعاً، وفرق التوقيت الكبير يدل على ما هو معروف من أن موقع (لينين قراد) هو في الغرب المائل قليلاً جهة الشمال بالنسبة إلى مدينة أوها لذلك كان الفجر يسايرنا، وكان الصبح لا يريد أن ينجلب علينا ونحن في الطائرة.

وقد تكرر عند النزول هنا ما حدث قبل ذلك. وقال لي الأخ الشيخ (طلعت تاج الدين): إن الناس لا ينزلون حتى ينزل الضيوف، ولكن من الذي أمرهم بذلك .٥

لم يخبرني الشيخ به، وربما كانوا أعلنوا ذلك من مكبر الطائرة الذي لم يكن يعلن بغير الروسية، وكان الشيخ طلعت يترجم لنا ما يحتاج إليه من الإعلان.

وكانت مدارج المطار محاطة بحشائش كثيفة هامدة، بل إنها تبدو وكأنها قد احترقـت، وذلك من كون الثلوج قد جلتـها فترة قبل ذلك.

وباحات المطار وساحات وقوف الطائرات واسعة، وهو نفسه حافظ بطائرات كثيرة منها الكبيرة والمتوسطة، أما الطائرات الصغيرة التي تشاهد في مطارات الدول الرأسمالية، والتي يكون أكثرها طائرات خاصة فإنـها لا تـقاد تـوـجـدـ هناـ لأنـهـ لاـ تـوجـدـ طـائـراتـ يـمـلكـهاـ أـفـرادـ فيـ الـاتـحادـ السـوـفـيـتيـ.

ومظهر المبني في المطار لافت للنظر، ذلك بأن فيه خمساً من القباب، أو مما يشبه القباب، ولكن يختلف عنها في المظهر، حتى إن مظهرها يشبه منظر الأوعية الحديدية الكبيرة (البراميل)، وهي ذات زجاج سميك دائر بجهاتها من أجل أن يدخل الضوء الطبيعي إلى المطار، وربما بنوها هكذا حتى لا تركبها الثلوج.

ووجدنا في المطار طائفة من الإخوة المسلمين المستقبلين، منهم الأخ الشيخ جعفر بن نصيبي الله الخانجي إمام جامع لينين قراد وخطيبه، ومنهم الشيخ علي فخر الدين متولي الجامع بمعنى رئيس الجمعية القائمة على شؤون المسجد.

#### في مدينة لينين قراد :

ومدينة (لينين قراد) معناها: مدينة لينين، لأن (قراد) بالروسية معناها: مدينة. وكانت هذه المدينة اسمها قبل الشيوعية (بطرس بورغ)، ومعناها: مدينة بطرس، فـ (بورغ) بمعنى مدينة باللغة الألمانية غير الشيوعيون اسمها من مدينة بطرس إلى مدينة لينين، مع أن الذي أسسها هو القديس بطرس الأول في عام ١٧٠٣م، وجعلها عاصمة البلاد الروسية بعد ذلك.

ومن غرائبها أنها أبعد من موسكو إلى جهة الشمال، ومع ذلك شتاؤها أدفأ من شتاء موسكو، لأن قiar الخليج البحري الذي يمر بمحاذاة سواحل النرويج يلطف مناخها، ومع ذلك فهي أقصى مدن العالم الكبيرة إلى جهة الشمال، فهي تقع على خط عرض واحد مع ألاسكا، والطرف الجنوبي لفنلندا.

انتقلنا إليها سالكين شارعاً عريضاً ذا اتجاهين، كل اتجاه فيه ثلاثة مسارات تحف به، وترى منه أبنية سكنية ضخمة (عمارات) متعددة الطوابق، قد شغلت حيزاً كبيراً بعضها قديم نسبياً، بمعنى أنه ممضى عليه ثلاثون سنة

أو أكثر، يظهر ذلك واضحاً من مظهره.

واستمرت الشوارع الواسعة، والناس يسيرون على الأرض مسرعين.

ثم دخلنا قلب المدينة، فصار الطريق ذا اتجاه واحد مر فوق جسر على نهر من أنهار المدينة.

نزلنا في فندق (يوربيسكايا) أي فندق أوروبا، وهو كبير قديم في قلب المدينة القديم النخم.

ولم يحتاج نزولنا فيه إلى كثير من الإجراء لأن الإخوة في (لينين قراد) الذين منهم الأخ جعفر بن نصيб الله إمام الجامع قد أعدوا كل شيء.

وكان نزولي في جناح يتالف من غرفة واسعة أمامها قاعة كبيرة مزданة بلوحات فنية قديمة ذات قيمة أثرية، وفيها أثاث قديم من القرن الماضي، وأكثره حضرت عليه التماشيل، وكل ما في الغرفة يشعرك بأنك في قصر من قصور النبلاء القدماء، حتى سرير النوم - وفي الغرفة منها اثنان - هو سرير متسع، وقد أبقوه كل شيء فيها على ما هو عليه من قدمه، بل ربما زادوا على ذلك جديداً من جنس القديم لكي يجعلوه مشوقاً للنزلاء الذين هم من السياح أو الزوار الغربياء.

وقد رأيت أعداداً كبيرة من السياح النازلين في هذا الفندق مع حافلات لهم كبيرة واقفة أمامه، ومنها حافلات قادمة من فنلندا، وأخرى من أقطار شرق أوروبا.

وبعد استراحة قصيرة نادونا إلى الإفطار في قاعة صغيرة خاصة بنا في الفندق، فكان الإفطار السخي المعتمد.

### جولة سياحية:

قرر الإخوة منظمي البرنامج أن يكون هذا اليوم الذي هو في الأصل يوم

قازان التي ألغيت فيه رحلتها يوم راحة على جولة سياحية، ووافق ذلك هوى في نقوسنا، فهذه البلاد الروسية وهنا نقولها صراحة فنكون كلما (روسية) صادقة الدلالة لأننا في بلاد الروس حقاً، وإن كانوا يسمونها سوفيتية. هذه البلاد لم نزلاها من قبل، وهي بلاد لا تيسر للمرء زيارتها كلما أراد.

ثم إن البرنامج المتصل ليلاً ونهاراً يجعل المرء يفرح بفترة من الفراغ يجم فيها فكره، ويراجع فيها نفسه، وإذا كان مثلي مبتلى بالثرثرة في الكتابة، فإنه يجد مجالاً أوسع في وقت الراحة.

كنت لاحظت عند الدخول فتيات ونساء يتطلعن في وجوه الناس بعيون فاحصة، ولكنهن لا يقلن لهم شيئاً، فلم أفهم عملهن إلى أن عرفت اليوم أنهن من الدليلات السياحيات، يقفن في قاعة الاستقبال أو في مدخل الفندق يتصدبن السياح الذين ينزلون في هذا الفندق الكبير، ويحتاجون إلى إرشادهن.

وقد وقف الموكب الذي معنا فترة دون أن يتحرك، وكانوا أخبرونا أنها سندذهب لزيارة بعض قصور القياصرة التي حولوها بعد الثورة - يريدون بها الشيوعية - إلى متاحف، فلما سألهن عن السبب في عدم تحرك السيارة قالوا: إنه لإحضار دليلة تعرف الإنكليزية، وتشرح لكم بها، لأن المرافقين كلهم مثلكم يعتبرون غرباء عن (لينين قرادة) إلا ما كان من أمر الإمام جعفر بن نصيبي الله وصحبه، وهم ليسوا معنا، ومع ذلك لا يعرفون من أمور هذه المتاحف ما يعرفه الدليل الكبير.

ثم جاؤوا بالدليلة، فتاة روسية، ثقيلة الجسم، شقراء الشعر، وأركبوها في السيارة السوداء الرسمية المخصصة لركوبى مع المرافقين، وفيها مقاعد تطوى وتتشعر بين الصفين من مقاعدها الوثيرة، وذلك لاتساعها وامتدادها، ثم أحضروا دليلة ثانية لبعض الرفاق أركبوها معهم.

قالت الدليلة: اسمي (ماريا كاستري كاف)، وأنا من لينين قرادة.

وهي تعرف الإنكليزية جيداً، وقد استفدت منها في معرفة كثير من الأمور عن الأماكن السياحية في هذه البلاد وغيرها.

أول ما تكلمت عن هذا الفندق الذي نسكن فيه، وذلك قبل أن تتحرك السيارة، فذكرت أنه مبني في القرن التاسع عشر، وقالت: إنه بني في الأساس ليكون فندقاً، فكان غريباً في ذلك الوقت في كبره واتساعه، ولكن لا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن (لينين قراد) هذه كانت عاصمة الدولة القيصرية الروسية في ذلك الحين.

وذكرت أن الأبنية التي حول الفندق كلها قديمة، وأنها من القرن الثامن عشر.

وهي بالفعل تشبه القديمة في المدن الأوروبية الشهيرة مثل باريس وبودابست مما يدل على قرب الشبه في الهندسة، أو لنقل على أن المدرسة الهندسية في البناء في أوروبا ليست متبااعدة ببعضها عن بعض في ذلك التاريخ.

### مع شارع موسكو:

سلكنا شارعاً واسعاً ذكرت الدليلة أنه طويل، وأن طوله يبلغ أحد عشر كيلو متراً، وأنه يعتبر أطول شارع في لينين قراد، وعليه المتاجر التي تبدو كبيرة، ذلك أنها من الحوانين وال محلات التجارية التي كانت مبنية قبل الحكم الشيوعي، فتجد فيها الفخامة وعدم الاقتصاد في البناء.

وكل هذه المتاجر في الوقت الحاضر هي مملوكة للدولة هي والبضائع التي تباع فيها، ولاحظنا أنها متتوحة مع أن اليوم هو يوم السبت، وذلك ناشئ عن أن العطلة الأسبوعية في الاتحاد السوفيتي تقتصر على يوم الأحد، أما يوم السبت فإنه يوم عمل، إلا آخر سبت من كل شهر فإنه عطلة لبعض العمال إذا اتفقوا مع إدارة العمل التي هي حكومية أيضاً أن يعملوا عمل هذا السبت الآخر في أيام متفرقة من الشهر لكي يتمتعوا في آخر عطلة من الشهر بيومنين

متصلين من الراحة.

ودخلنا مع قوس يشبه على البعد قوس النصر في باريس، وإن لم يكن مثله في العناية والزخرفة، ذكرت الدليلة أنه بقايا سور قديم كان على المدينة القديمة في القرن التاسع عشر.

ثم مررنا بميدان فيشرى، وهو ميدان معتاد.

### ستون نهرًا في المدينة :

مررنا بمحرى مائي في المدينة كأنه النهر الصغير أو القناة المائية الكبيرة، فسألت الدليلة عما إذا كان جزءاً من نهر أو من قناة من الماء المالح؟ فأجابت: بل هو نهر، وفي مدینتنا لينين قرابة ستون نهرأ.

وعندما سألتها متعجبأ: إذا أنتم لا تشكون قلة في المياه؟ أجابت: بل نشكو من كثافتها، فالمياه وفيرة، والبحيرات بكثرة. وهذه الأنهار التي تراها أكثرها يصب في البحر، وبعضها يصب في بحيرة غير بعيدة.

ولم أتحقق من قولها: إن هذه كلها أنهار مستقلة، وإنما ظننت أن بعضها فروع لبعض.

ثم مررنا بموقع المعركة الفاصلة التي دارت أثناء الحرب العالمية الثانية بين الروس والألمان في المدينة، حيث انتصر الروس بعد حصار طويل للمدينة أنهك الروس وقتل من أهلها بسبب الحرب وبسبب الحصار مئات من الألوف.

### منزل الشاعر بوشكين :

وصلنا إلى محله كانت قرية منفصلة عن لينين قرابة أهم ما فيها منزل الشاعر الروسي الشهير بوشكين الذي مات عام ١٨٣٧م، والقوم يختفون به رغم كونه برجوازيأ كما يقولون، وذلك لشاعريته وفضاحته، ومن الأشياء

المشهورة عنه قصيده التي استوحى ما نظمه منها من القرآن الكريم حسبما اطلع عليه في ترجمة روسية، ويقال: إنه منحدر من أصل عربي، أو من أصل حبشي، وأن هذا هو السبب في ذلك

وقالت الدليلة: إن اسم هذه المدينة (بوشكين) على اسم الشاعر نفسه.

وقد جعلوا منزله متحفاً حفظوا فيه مخلفاته ومخالطاته شعره ومطبوعاته، وكل ما جمعوه مما يتعلّق ب حياته أو شعره.

سرنا مع شارع فيها ضيق يفضي إلى محطة قديمة للقطارات أنشئت في

عام ١٨٣٥م.

### قصر الصيف:

دخلنا بلدة بافلوف، وهذه البلدة هي هدف الرحلة، لأن فيها قصر الصيف الذي نقصده، وخصصته الملكة أو القيصرة الروسية كاترين الثانية لابنها باول الأول، وجعلته له بمثابة المنفى في أول الأمر، وذلك في عام ١٨٧٢. والقصر ذو مظهر قديم سواء من حيث الطراز أو من حيث المظهر في البناء، وقد اتخذ هذه الصفة التي هو عليها الآن منذ القرن التاسع عشر، والإ هو قديم البناء.

وصلنا إلى القصر مع ساحة خارجية مكشوفة واسعة ليس فيها إلا أشجار قليلة لم تورق بعد.

ثم دخلنا القصر الذي غص بالزوار من السياح، بل إن أكثر من فيه هم السياح، وإن كان بعضهم ممن قدموا من أنحاء الاتحاد السوفييتي.

فكان أول ما صنعوا أن ألبسونا فوق أحذيتنا أحذية واسعة من القماش ذكروا أنهم فعلوا ذلك من أجل وقاية الأرض الخشبية من الخدش.

وبيني أن نذكر أن الخشب في القصر مفروش على الأرض فوق السطح

المعتاد كما هي العادة في البلدان الباردة.

والغريب في هذا الأمر أن الدليلة حذرتنا من الانزلاق على هذه الأرض الخشبية المنساء، ونحن نرتدي فوق أحذية هذه الأحذية من القماش السميك، ولكنها انزلقت هي وكادت تقع على الأرض لو لا أن أمسك بها أحد المرافقين، ولو وقعت لاذها ذلك لثقل وزنها.

وكانت أولى القاعات التي زرناها فيه تسمى (القاعة الإيطالية) بمعنى أنها مبنية على الطراز الإيطالي، وجميع الأثاث الذي فيها هو على الطراز الإيطالي في ذلك الوقت، وحتى التحف واللوحات والتماثيل هي مجلوبة من إيطاليا، أو هي على مقتضى الفن الإيطالي.

إلا أنهم وضعوا فيها تماثيل رومانية قديمة حقيقية جيء بها من إيطاليا، ومنها تماثيل من القرن الثاني والثالث والرابع بعد الميلاد.

وهي ثمينة من الناحية التاريخية.

وذكرت الدليلة أن هذه القاعة قد رمت بعد الحرب العالمية الثانية لأنها مثل سائر الأبنية في (لينين قراد) قد أصابها الخراب والإهمال في زمن الحصار وال الحرب.

ومن التماثيل اللافتة للنظر تماثيل لرجال عراة، وهي منصوبة من غير خجل من أجل أن يتأملها الناس، وفيها تماثيل لنساء عاريات إلا من شيء يستر العورة المغلظة في أوساطهن.

وذكرت الدليلة أن أهالي المدينة قد أخذوا هذه التماثيل الثمينة عندهم ونقلوها أثناء الحرب من هذا المكان الذي وصله الألمان إلى أماكن أكثرأماناً داخل مدينة (لينين قراد) ثم أعيدت إلى مكانها من هذا القصر بعد انتهاء الحرب.

## قاعة المكتبة :

ثم انتقلنا خلف الدليلة لمشاهدة قاعة المكتبة في القصر، وكانت تشرح أولاً الإنكليزية، فكان بعض المرافقين لا يفهمها إضافة إلى أن بعض الزملاء أعضاء الوفد لا يفهم الإنكليزية، فرأينا أن يترجم كلامها إلى العربية، وأفصحهم في ذلك، وأحسنهم ترجمة هو أخونا (محمد صادق محمد يوسف) نائب مدير معهد الإمام البخاري في طشقند.

من الأشياء النفيسة في المكتبة صورة رسمت للقيصر الشهير بطرس الأكبر رسمت في عام ١٧١٨م، ومكتب من الخشب الناشر وهذا معتاد، غير أن غير المعتاد مكتب من البرونز المطلية بالذهب، وسجاد ثمين، ورسوم فنية. وقد تعددت مشاهدة القاعات وأقسام القصر، ومنها قاعة الحرب فاخرة الطلاء واللوحات.

ثم قسم لزوجة الملك، واسمها ماريا، من أهم ما فيه القاعة اليونانية، فيها تماثيل لرجال عراة مع أنها للزوجة، وأدوات موسيقية مما كان يعزف عليه لها في هذه القاعة، وفنديل معلق ذكروا أنه من القرن السابع عشر، وفيها تماثيل لنساء عاريات قد وضع فوق مكان العورة من التمثال ما يشبه الخرقة الصغيرة.

وفي القاعة اليونانية تحت السقف ما يشبه القبة الصغيرة، لا أدري ماذا ترمز إليه.

وهناك في قسم زوجة الملك، أو لنقل الفيцرا، لأنها زوجة القيصر، قاعة تسمى (قاعة السلام) ليقابل وجودها في قسم المرأة من القصر قاعة الحرب الموجودة في قسم القيصر من القصر.

ومكتبة القيصرة أي قاعة المكتبة في القسم الخاص بها هي باللغة الروسية رغم كون القيصرة نفسها هيألمانية، ولكنها تعرف الروسية. وفيها

تماثيل ذكرت الدليلة أنها قديمة جداً، بعضها من القرن الأول، ويتردج في القدم حتى يصل إلى القرن الرابع بعد الميلاد، أما موضوعات مكتبة القيصرة فذكرت الدليلة أنها تتعلق بالتاريخ.

### تمثال الصمت :

من الأشياء التي لفتت انتباها عند زيارة غرفة النوم للقيصر والقيصرة وهي واقعة في قسم القيصرة لأنها غرفة نومها، تمثال مثبت في أسفل السرير واضح أصبعه على فمه، ومكتوب عليه إنه يقول: اسكت، أو اصمت.

وقد تجلى البذخ العظيم والإسراف المنزط في هذه الغرفة، وكان من نتيجة ذلك هذه الثورة الشيوعية العارمة.

ومن مظاهر البذخ التي شاهدناها غرفة لباس في الصباح، أي خاصة بارتداء الملابس التي تلبس في الصباح، حيث تستقبل القيصرة يومها، لذلك لا بد أن تعتنى بلباسها، أو يعتنى بذلك خدمها ووصيفاتها.

وقاعة اللوحات الفنية والرسومات لكتاب الرسامين من الإيطاليين والألمان، وليس فيها لرسامين من الروس أهل البلاد شيء، ومنها لوحة أصلية من القرن السابع عشر.

ثم أكبر قاعة في قصر الصيف هذا، وهي على هيئة غرفة كبيرة مساحتها مائة متر مربع.

وهذه تعتبر كبيرة في ذلك الوقت نظراً لصعوبة تسقيف مثل هذه الغرفة تسقيفاً فنياً في ذلك الوقت، لأنهم يزيتون السقف برسومات ولوحات فنية.

وهذه القاعة الكبيرة مخصصة للاستقبال، وهي شبه مستديرة الشكل إلا أن استدارتها غير كاملة. وقد زينوا سقفها بنقوش فنية بدعة.

ثم قاعة أخرى أسموها قاعة تقليد الأوسمة الحربية، أي التي تعطى لمن

يظهرون بطلة في الأعمال الحربية.

وفي هذه القاعة تمثال روماني كبير، قالت الدليلة إنه من القرن الأول للميلاد، وإنه بقي مكانه أثناء الحرب، وقد أصابه أسوداد في لونه. وذكرت الدليلة بهذه المناسبة أن بعض العروضات التي بقيت في القصر أثناء الحرب فقد جزء منها، ولم يعد حتى الآن، والأغلب أن الألمان أخذواه، أو تلف أثناء الحرب.

### كنيسة النصر:

في داخل القصر كنيسة صغيرة اسمها (كنيسة النصر)، وهي مبنية على الطراز الإيطالي.

ومنها كانوا في عهد القياصرة يعلنون نصر الجيش الروسي المحارب.

وبهذه المناسبة سالت الدليلة (ماريا) التي وافق اسمها اسم القيصرة (ماري) زوجة صاحب هذا القصر مما إذا كانت متدينة، لأن الكلام كان على الكنيسة، فأجابت بأنها غير متدينة. فقلت لها: هل أفهم من ذلك أنك شيوعية، لأن الشيوعيين ملحدون؟

فأجابت قائلة بكل صراحة ورددت ذلك على مسامعي: أنا لست شيوعية.

فقلت لها: إذاً ماذا تتبعين من المذاهب؟ فقالت: أنا أتبع ما يوحى به ضميري، وهو ما ذكرته لك.

كانت تقول لي ذلك في حديث بيني وبينها بالإنكليزية لم يسمع به بتقية الرفاق، ولا أعتقد أنها تخفيه لأنه تكرر بعد ذلك تقي بعض الروس من غير المسلمين لكونهم شيوعيين.

وهم ينفون ذلك صراحة، ولكن الشيء الذي لا يستطيعون أن يعلنوه أن يقولوا إنهم يعملون ضد الشيوعية، لأن ذلك معناه العمل ضد الدولة، وهو أمر

لا يغتر ما دونه في روسيا فكيف به؟

خرجنا من قصر الصيف بعد أن تخلصنا من أحذية القماش السميكة التي كانت تتقل أرجلنا، والتقطنا صوراً تذكارية في الفناء الخارجي المكشوف من القصر في جو شامس غريب فيما قالوه لنا في مثل هذه الأيام من السنة.

وقد تابعت مشاهدة ما حواه هذا القصر المسمى بقصر الصيف بداعي حب الاستطلاع والمعرفة، ويدافع آخر، وهو أن التسمية بقصر الصيف وبقصر الشتاء الذي سنراه فيما بعد - إن شاء الله - قد ذكرتني بمكان آخر ناء من بلاد الشرق البعيد، هو مدينة بكين عاصمة بلاد الصين، حيث كنت شاهدت فيها قصر الصيف وقصر الشتاء، ووصفت ما شاهدته في قصر الشتاء هناك في كتاب: «داخل أسوار الصين».

### قصر كاترين الثانية:

تركنا (قصر الصيف) في الواحدة والنصف ظهراً في جو صيفي بالنسبة إلى هذه البلاد، وهو رباعي بالنسبة إلى بلادنا قاصدين بالسيارة (قصر كاترين الثانية)، وقد يقولون فيها: **كاترين الكبرى** ...

وهو أفحى منظراً من الخارج من قصر الصيف كما أنه أكثر اتساعاً، وأهم المناظر فيه منظر أبراج كنيسة داخله مطلية بطلاء ذهبي.

وقد بني هذا القصر على سبع مراحل حسب رغبة القياصرة الذين تعاقبوا عليه.

ومن الأشياء المميزة له وجود مرآة كبيرة أمام كل نافذة من نوافذه الكثيرة المتعددة، وذلك من أجل أن ينعكس عليها الضوء الآتي من النافذة فيضيء المكان، وبخاصة في أيام الشتاء القصيرة المkenhara.

وأمام القصر منتزه واسع جداً فيه من ضمن ما فيه بحيرة واسعة لا يكاد المرء يميز من يكونون في جانبيها المقابل لطولها وبعد نهايتها من بدايتها.

وحتى هذا المتنزه قسموه إلى قسمين: أحدهما إنكليزي قالوا: إنه أعد على الطراز الإنكليزي، والثاني فرنسي، بمعنى أنه نسق على الطراز المتبع في تنسيق المتنزهات الفرنسية، وطبعي أن هذا كله كان في زمن القياصرة، ولم يجعلوا فيه قسماً على الطراز الروسي مثلاً أن قاعاتهم الفنية ليس فيها شيء على هذا الطراز. ربما كان ذلك لكون الروس ليس لديهم طراز متميز في الذوق والفن في ذلك العصر.

وكان الوقت ضيقاً دون التجول في داخل القصر، وكان الجو شامساً دفيناً تضيقنا من دفنه، وفرح الناس به هنا لأنه أعاد إليهم الإحساس بصيف كانوا قد فارقوه في العام الماضي.

وبذلك كان السير في متنزه القصر وحدائقه الواسعة ممتعاً.

#### مسجد الحديقة :



بحيرة قصر الصيف في لينين فراد ومحاولة تصوير المسجد الصغير  
على صفايف البحيرة المقابلة

من ألطاف ما يشاهده المسلم هنا مسجد ذو قبة عربية على الطراز التركي، ومنارته تركية رشيقة، وقد بني المسجد على الجانب البعيد من البحيرة بحيث كنا نشاهده واضحاً، ولقد لفتت الدليلة إليه أنظارنا، ولكنني حاولت تصويره من الجانب الذي عليه من البحيرة عسى أن يظهر في الصورة من هذا البعد فلم يظهر جلياً.

وذكر الشيخ طلعت تاج الدين قصة هذا المسجد وأنه بني في العهد الفيصري، وأنه مكتوب عليه بالتركية أن بناءه كان بطلب من السلطان عبد الحميد سلطان تركيا لكي يصل إلى فيه السفراء المسلمين الذين يفدون إلى هذه البلاد.

### لكل شخص تسعة أمتار:

سألت مارييا الدليلة عن أمور كثيرة لا أتفق بالإفادة عنها من غيرها وأمثالها من الروس غير المسلمين، فذكرت من حالها الخاصة أنها غير متزوجة، وأنها تسكن في غرفة واحدة سعتها تسعة أمتار مربعة، وأن هذه هي المساحة المخصصة للناس في المساكن في لينين قراد، لا يمكن للشخص أن يزيد عليها، بمعنى أنه إذا كان هناك زوجان حديثاً عهد بزواج، وطلبا من الحكومة أن تؤجرهما مسكنًا فإنهما لا يستطيعان الحصول على أكثر من ١٨ متراً مربعاً من الغرف، قالت: ولا يدخل في هذه المساحة مراافق المسكن من حمام أو مطبخ أو ممر، فهذه لا تحسب في المقرر من الأمتار التسعة المربعة للشخص، فمثلاً حالتها هي تسكن في غرفة مساحتها تسعة أمتار مربعة من صنف من الحجرات خاصة النساء غير المتزوجات لا يسكن معهن في صفهم رجال، وإنما يسكن الرجال في صنف آخر، وتشترك النساء في مراافق مشتركة كالטבח والحمام.

إلا أن الأسرة التي تسكن في شقة منفردة مؤلفة من غرفتين أو أكثر،

فإنها تكون لها مراافقها الخاصة في الشقة من الحمام والمطبخ والمر المر الذي بينهما، ولا يحسب ذلك في حساب الأمتار المحددة للسكن، بل ذلك خارج عنها.

كما أن هناك شيئاً آخر يتصل بهذه المراافق والمنافع للشقة وهو أن الدولة تتلزم بإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من الحمامات والمطابخ والمرات داخل الشقة، وأما السكن داخل الغرف فإن الساكن ملزم بإصلاح ذلك بمعنى أنه ملزم بأن يدفع نفقة إصلاحه إلى من ترسلهم الدولة لإصلاحه، لأنه لا يوجد أحد غير الدولة يستطيع أن يصلح شيئاً ذا باع، أو أن يعمل أعمالاً مهمة.

سألت ماريًا سؤالاً محاجأً، ولكنني انتهت فرصة وجودها معى بالسيارة وعدم معرفة المراافقين الإنكليزية، وهي تجيدها إجاده تامة، فقلت لها: أنت تسكنين وحدك في غرفة منفردة، وأنبت عزياء، ألا تخشين من أحد من الرجال أن يعتدي عليك؟

فففت ذلك، وقالت: لم يعتدي الرجال علىَّ وهناك نساء كثيرات لهن أصدقاء، وكل رجل يريد أن يحصل على امرأة يستطيع ذلك.

ولم تقل شيئاً لاحظته عليها وهو أنها قد تخطت مرحلة الإغراء، فهي في حدود الثلاثين، وضخمة الجسم إلى درجة تبعد عنها من ينشدون الصداقة عند النساء اللاتي يتمتعن بالجاذبية.

### الليالي البيض:

الليالي البيض عندبني قومنا وبخاصة عند المسنين والمسنات منا الذين كانوا يعرفون الليالي البيض، أو البيض فقط بصيامها من كل شهر، وهي ثلاثة ليال تبدأ من الثالثة عشرة، وتنتهي بالسادسة عشرة من الشهر العربي الذي هو الشهر القمري.

سموها بذلك لأنها ليالٍ مقمرة بكون القمر فيها موجوداً في الليل كله.

أما الليالي البيضاء في هذه البلاد الروسية الشمالية فإنهم يريدون بها ما أخبرتنا به الدليلة، وهو أن نور الشمس لا يمحوه الليل، بمعنى أن النور في السماء يظل متصلةً بعد غروب الشمس إلى طلوعها، وطبعي أن ذلك ليس معناه أن يكون كنور الشمس، ولكن السماء تكون مضيئة حتى تستطيع أن تقرأ الرسالة أو تكتبها في منتصف الليل، رغم غروب الشمس وبدون أية إضاءة.

وقالت الدليلة: إن غروب الشمس يتأخر حتى يكون في الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، وهذا معنى القول المشهور: شمس نصف الليل.

وذكرت أن هذه الليالي البيضاء تكون في آخر شهر مايو وشهر يونيو، وقالت: إن الشمس يتأخر غروبها الآن كل يوم ست دقائق.

ومن الطريف قوله: إن الناس يوفرون استهلاك الكهرباء التي كانوا يحتاجون إليها في الإضاءة، وذلك لمدة أربعين يوماً. فقلت لها: ولتكنهم يعودون فيتفقون ما وفروه خلال ليالي الشتاء السود الطويلة هنا، فضحكـت وقالـت: هذا صحيح.

وعـدنا إلى الفندق في الثالثة إلا رـبعاً.

فوجـدنا الغداء الفاخر قد أـعد على المائدة وفيـه (الكافيار) أي البطـارخ الثمين، وـسمك الكافـيار الذي هو غالـ جداً، وـشرائح من سـمك السـلمون المـدخـن، وأنـواع منـ الخـضار، منها خـس ذـكرـوا أنه يـستـبيـت فيـ الـبيـوت الزـجاجـية كـما تـسمـى، وهي المـحمـية بالـلـدائـن.

### يوم العطلة:

قـلنا إنـ هـذا الـيـوم هوـ أولـ يـوم عـطلـة لـنا مـنـذ دـخـولـنا الـاتـحاد السـوـفيـيـتي،

والسبب في ذلك هو إلغاء زيارة (قازان)، ولذلك رسموا لآخره برنامجاً يبدأ بزيارة أحد شيفين رئيسين من التسلية التي تشتهر بهما روسيا، وهم حنلات البالية، و(السيرك) الروسي الشهير. وبعد ذلك يكون هناك دخول الحمام الساخن في الفندق (السونا).

فاعتذر عن الذهاب للاثنين، وقلت للإخوة أعضاء الوفد: إنني لا أرى لكم الذهاب لمشاهدة حفلة البالية التي هي حفلة راقصة رقصًا مشتركًا، ونحن وفد من رابطة العالم الإسلامي قد استقبلنا الإخوة المسلمين هنا وتوقعوا أن يروا فيما صورة المسلم التقى النقى، وأما السيرك الذي هو ألعاب بهلوانية فإنني لا أرى مانعاً من حضوره لمن شاء منكم، فذهبوا كلهم إلى السيرك.

### تمشية على الأقدام:

وبقيت وحدي في الفندق، فتمنت عيني بإغفاءة حرة، ثم خرجت أتمشى فيما حول الفندق من هذا الحي القديم الفاخر، أو الذي كان فاخراً من مدينة (لينين قراد) عندما كانت تسمى (بطرسبورغ) على عهود القياصرة. فكان أول ما لفت نظري حشود من الناس حول مكان مقابل للنوند ذكرها أنهم كانوا يتظرون خروج أحد الممثلين الكبار الموجودين لمشاهدته. ولم أستطع أن أعرف من يكون ذلك الممثل، وحتى الذين كانوا ينتظرون خروجه لم يكونوا كلهم من الروس، بل هم من الأوربيين، والروس هنا في هذه المنحلة هم من الأوربيين لا يختلفون عن غيرهم إلا في غلظ التقطيع، وضخامة الأبدان في بعض الأحيان.

وكنت وحدي، ولكنني كما قال المتibi: «غرير الوجه واليد واللسان»، وغريرة الوجه هنا ليست لافتة للنظر، فذوو السمرة الخفيفة هنا موجودون، ولباسي الذي كان هو اللباس الأوروبي لا يلفت النظر، وإنما الغريرة الشديدة هي غريرة اللسان، فالإنكليزية لا يعرفها عامة الناس هنا، وأنت

تسمعهم يتكلمون بالروسية، أو بلغات أخرى غريبة من لغات أوروبا الشمالية، وقد ميزت منها اللغة الفنلندية التي أصلها آسيوي وليس أوربياً، وذلك لأنني تذكرتها عندما كنت في زيارة لفنلندا قبل عشر سنوات.



## المؤلف في أحد شوارع لينين فراد

ولكن الحرية في الحركة التي شعرت بها بعد ظهر هذا اليوم كانت ممتعة إلى درجة لم أكن أتصورها، لأن الأيام الماضية كانت الحركة فيها محسوبة، ولم يكن يبعد عني المراقبون فيها قيد شبر، وعجبت من الشبه العظيم بين الناس هنا وبين الأوروبيين الأصلياء، بل خيل إليّ أنسني في أوروبا نفسها التي أعرفها كألمانيا مثلاً لولا شيء خفي من مظاهر الناس، وعلى الوجوه التي يظهر عليها أنها لا تتال من الأغذية التي تطري الوجه كالفاكه ما يناله الأوروبيون الغربيون، وشيء في لباس النساء الذي هو نظيف وجميل، ولكنه غير ثمين، وغير بالغ التروع، على أنه ليس موحداً كاللباس الذي على

النساء في الصين الشيوعية. ويمكن القول في الأحداث هنا كالقول في اللباس من ناحية عدم تنوّعها، وكونها في الغالب من الأحداث الرخيصة.

وحتى الأبنية التي حول الفندق هي أبنية أوروبية لا تختلف عن الأبنية العريقة في البلدان الأوروبية العريقة مثل فيينا وبرودابست، وحتى مدينة زغرب في يوغسلافيا، لأنها كلها قد بنيت قبل الشيوعية.

وقد عرفت بعد ذلك أن نسبة كبيرة من الدين أراهم هنا هم من السياح الأوروبيين من شرقيين وأوروبيين غربيين، فمدينة (لينين قراد) مدينة سياحية مفتوحة للسياحة، ويقصد الروس من ذلك أن يطلع السياح فيها على أخبار ومخلفات الحرب التي شنها الألمان على روسيا، وحاصروا فيها المدينة، فصمدت لهم مدة طويلة، إظهاراً لبطولتهم الروسية، وبسبالتهم في مقاومة الألمان.

إضافة إلى أنها مدينة عريقة كانت هي عاصمة القيصرية الروسية قبل الشيوعية، وفيها مبانٍ قديمة، وميادين واسعة، وهذا ما يعطي دعاية سياحية.

### يوم صيفي:

كنت أرتدي بدلة خفيفة معتادة، ورأيت الناس قد تخنقوا من اللباس حتى كادوا يخرجون من جلودهم - على حد تعبير بعض الأدباء - وبخاصة من ذلك السياح، فالجو كان صاحياً، والشمس مشرقة، والدفء هو السائد حتى اثنى لم أستطع الجلوس في الشمس، أما القوم فإنهم قد فرحوا بها كما يفرح من التقى بغائب عزيز عليه قدم من غيابه للتو.

وذكرت بيتاً من أبيات نظمها أحد المترجمين العرب، وأظنه الدكتور وليد عرفات شعرًا عن شعر شكسبير الإنكليزية، قال شكسبير يخاطب الحبيب:

لست أرضاك ليوم صيف شبيهاً  
أنت أبهى من يوم صيف وأجمل

وهذا عندهم بطبيعة الحال، وإن يوم الصيف عندنا هو أسوأ الأيام.

وقد أعييت من المشي فوجدت حديقة صغيرة من حدائق كثيرة موجودة في المدينة، فيها مقاعد خشبية مستطيلة، أكثرها رث، وبعضاً طلاوه ليس لاماً، بل كان سبب ذلك إهمال الجلوس عليها في الشتاء الذي لم يودعهم إلا منذ وقت قريب.

فجلست مع الجالسين على أحد هذه المقاعد، ولاحظت أن الجالسين كلهم من الأوروبيين، وفيهم سياح يتحدثون الإنكليزية بلهجة أمريكية.

وبعض النساء يجلسن من أجل أن يدخن لفافة من التبغ، ثم ينصرفن، لأن العرف لا يجيز للمرأة أن تدخن وهي ماشية في الشارع بخلاف الرجل.

وكانت جميع أشجار الحديقة هامدة قد بعد عهدها بالأخضرار، وإن كان قرب عهد العودة إليه.

ومظاهر الحب التي توجد عادة في الحدائق العامة في البلدان الأوروبية الغربية قليلة هنا، أو نادرة، وبعضاً يتمثل في الاتكاء على كتف الحبيب أو الاستلاد إليه، وربما كان من يفعل ذلك من السياح، فأنت لا تستطيع أن تميز بينهم وبين الروس تمييزاً كاملاً في هذه المدينة التي يوجد قسم من أهلها من ذوي الأصل الأوكراني، وهم قوم أغلبهم من السلافيين أبناء عمومة البولنديين واليوغسلافيين. وهم - أي الأوكرانيون - ألطاف أجساماً، وأنضر وجهها، وأكثر جمالاً من الروس.

### يتسمون في الثامنة والنصف مساءً:

والمراد بالثامنة والنصف هنا في آخر النهار، ولو كان ذلك في أوله لما كان في الأمر غرابة بالنسبة إلينا.

فقد ملت الجلوس في هذه الحديقة الصغيرة، فعدت إلى الفندق قليلاً، ثم عاودت الخروج إلى الشوارع أتمشى فيها على غير هدى إلا ما قادتني إليه قدمي وليس تفكيري.

سيارات الركوب الصغيرة موجودة، ولكن لا تمكن مقارنتها بسيارات الركوب المتوفرة في مدينة أوروبية غريبة كبيرة مثل هذه المدينة، وإشارات المرور مثل الموجودة في الغرب إلا أن المشاة على الأرصفة كثیر، بل هم أكثر من الموجودين في أوساط المدن الكبيرة بكثير.

وريما كان السبب في ذلك ضيق البيوت والملل الذي يصيب من يبقى فيها لغير النوم والراحة الضرورية، فيخرج الناس إلى الشوارع.

والأرصفة جيدة أو متوسطة، فأغلبها من الإسمنت وليس من البلاط.

ولم أر القوم هنا فضوليين ينظرون إلى الغريب فيحدون النظر فيه، ربما كان ذلك لکثرة من يرد مدinetهم، وبخاصة في هذا القسم السياحي فيها، أو ربما كان ذلك من كوني لست في حالة غير مألوفة في اللباس أو المظهر.

وسألت أكثر من واحد عن الطريق إلى الفندق، أو إلى مكان آخر، فبادروا يخبرونني ويبالغون في ذلك كما يفعل الأوروبيون الغربيون في مساعدة الغريب بهدایته إلى ما يريد، وكانت أحمل بطاقة الفندق التي فيها اسمه وعنوانه.

والتفاهم معهم كله بالإشارة - إن صح أن ذلك يسمى تفاهماً.

وعندما تعبت من المشي جلست في حديقة ذات مقاعد خشبية أيضاً، وقد سمحت سعتها الأشعة الشمس أن تتشعر فيها في هذا الأصيل المتأخر من النهار، وكانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف، فرأيت القوم جالسين في الشمس يستمتعون بأشعتها، ونحن في مثل هذه الساعة نكون في بلادنا قد صلينا صلاة العشاء، ولكن غروب الشمس يتأخر عندهم في أواخر الربيع وأول

الصيف تأخرًا عظيمًا.

ومن اللطيف في الأمر أنني رأيت عصافير من العصافير الدورية التي نعرفها في بلادنا، وقد نفشت الذكور منها ريشها استعداداً للإفراخ، وهي تفعل بذلك ما تفعله العصافير عندنا في أول شهر آذار الذي هو مارس فكأن الفرق بين موعد تفريخها هنا وهناك هو شهراً.

وفي المساء كان الحديث على العشاء هو حديث الرفاق عما رأوه في هذا السيرك الروسي العجيب الذي أتوا على أن مشاهدته مهمة لما فيه من عجائب الحركات الإنسانية البهلوانية، والحيوان الغريب المدرب.

يوم الأحد ١٨ شعبان ١٤٠٦ هـ - ٢٧ إبريل ١٩٨٦ م.

### عودة إلى الجولة السياحية :

برنامج هذا اليوم هو المقرر في الأصل في زيارتنا لمدينة (لينين قراد)، وذلك يشتمل في أوله على زيارة المقبرة التذكارية للذين ماتوا في حصار الألمان لمدينة لينين قراد، كما يشتمل في آخره على الصلاة في جامع لينين قراد، والاجتماع بالإخوة المسلمين هناك.

غير أتنا أضفنا إليه اليوم زيارة قصر الشتاء، لأننا زرنا قصر الصيف بالأمس، وإن كان قصر الشتاء الذي سنزوره اليوم ليس كقصر الصيف الذي زرناه بالأمس، لأن قصر الصيف الكبير يبعد عن لينين قراد بمسافة ٤٠ كيلو متراً، وهو كبير لأنه كان لبطرس الأكبر.

أحضروا اليوم دليلة سياحية غير دليلة الأمس، وهذه التي معنا اليوم ليس فيها من المظهر الروسي الغليظ شيء، فهي رشيقة، وتبعد كما لو كانت يوغسلافية، وقد فهمت السبب في ذلك عندما قالت: إنها مختلطة ما بين الروس والأوكرانيين. والأوكرانيون - أهل أوكرانيا - هم من الأجناس السلافية، أو هم مصنفون معهم، ويغلب عليهم الاعتدال في الأجسام والجمال في الأشكال.

ولكن مخبر هذه غير مظهرها، فهي أقل إتقاناً للإنكليزية من الأولى، وربما كانت أقل ذكاء منها، واسمها (آنا)، وهي أيضاً تقول إنها ليست شيوعية، وتوقفت في الإجابة على كونها متدينة، فلم تتف أو تثبت.

سار الموكب من فندق (أوريسكايا) فمر بنهر (ينوا) أكبر أنهار لينين قراد، ورأينا من هناك على البعد منارة المسجد الجامع شامخة، ولكننا سنؤجل زيارته إلى ما بعد.

ثم سلكنا شارع (كيروف) وقطعنا نهراً بعد نهر على جسر يليه جسر حيث أخذنا نساير نهراً آخر.

وكل في الحدائق في هذه المدينة ما قلته في الأنهر حيث رأينا حديقة ما ليشت أن أعقبتها حديقة أخرى، فحديقة ثالثة. وهذا.

وكل الحدائق هامدة الأشجار، ليست فيها ورقة خضراء لأن عهدها بالدفء قريب، بعد ليل الشتاء الثالج الطويل.

وتعددت كذلك رؤية الأبنية الحكومية الضخمة التي يسكن فيها الناس تؤجرها عليهم، تعطي الواحد ما حدد له من المساحة وهي ٩ أمتار مربعة لا تزيد، ومع ذلك خيل إلينا أن عدد هذه (العمارات) يزيد ويزيد، وذلك لكثرتها وضخامة أبياتها، إلا أن الشعب كثير إذ يبلغ عدد سكان مدينة لينين قرابة ستة ملايين نسمة لا يسمح لواحد منهم أن يبني له بيته واحداً منفرداً في المدينة أو ما قرب منها. وإنما كل الأرض الصالحة للبناء أو التي يجري استصلاحها لذلك هي ملك للحكومة، والحكومة وحدها هي التي تستطيع البناء عليها.

ورأيناهم يستعدون منذ الآن للاحتفال باليوم الأول من (مايو) - أيار - الذي يسمونه عيد العمال رغم أنه قد يجيء على حلوله أيام.

وذلك برفع الأعلام على الأبنية الهامة وفي الحدائق والميادين.

### المقبرة التذكارية:

وقد ذكرت الدليلة اسمها بأنه المقبرة الوطنية التذكارية.

وهي تشبه الأفنية المكشوفة الواسعة التي تتالف من عدة أجزاء بعضها متصل ببعض يوصل إليها أول الأمر من جهة الشارع مع فناء مكشوف في أوله معرض في قاعة وعدة حجرات مخصصة لعرض رسومات وبيانات توضح حالة

الحصار، وكيفية دخول الناس بعده.

بدأنا أولاً بزيارة هذه المقبرة التذكارية التي ليس فيها من مظاهر القبور شيء، رغم كونها قد دفن فيها عدد كبير من الناس فهي تذكارية لم تذكر فيها أسماء المقبورين من أجل أن يزورها أقارب الجميع، ولا تقتصر زيارتها على من يكون لهم أقارب مدفونون ومذكورة أسماؤهم.



### الوقد مع الدليلة في المقبرة التذكارية في لينين قراد

وكل العادة عند الروس في الأماكن ذات المكانة والاحترام في نفوسهم فإنهم يجعلون لها أفنية واسعة ذات درج عظيم يمكن في عرض النساء المكشوف، ثم يصعد منه إلى المكان المقصود.

وهنا ينزل منه إلى درج في فناء واسع أخفض قد فرشوا وسطه بالرخام، وتحيط بهأشجار حديقة واسعة ذات أشجار ملتفة مثل منطقة لينين قراد التي هي كانت في الأصل غابات ملتفة، ولا تزال الأماكن المكشوفة منها مليئة

بأشجار الغابات، وأمام الداخل لهذه المقبرة لوحة كبيرة تمثل أمّاً تضع الزهور على قبر ولدها، وتحتها أبيات شعرية بالروسية تمجد صمود أهل المدينة لشاعرة اسمها (آنا).



على درج المقبرة مع الأخوين المسلمين اللذين حضرا الحصار الألماني،  
وأعضاء الوفد المرافق لنا

### أخبار الحصار:

قاوم أهل (لينين قراد) غزو الألمان مقاومة بطولية سمعنا بها خلال الحرب العالمية الثانية، وقرأنا عنها بعد ذلك، ولكن التفصيل الذي ذكرته الدليلة، وشاهدنا ما يمثله فاق ما كنا قد سمعناه.

قالت الدليلة: لقد خسرت مدينة (لينين قراد) مليون إنسان خلال الحصار، وقد دفن في هذه المقبرة حوالي أربعين ألف شخص، ومع

ذلك تعتبر هذه المقبرة تذكارية رمزية لأنه ليس كل الهاكين خلال الحصار دفعوا، فهم كانوا أكثر من ذلك، ولم يكن باستطاعة الأحياء أن يدفوا كل الأموات.

وذكرت أن الحصار بدأ في عام ١٩٤١م، واستمر ٩٠٠ يوم، أي سنتين و٨٠ يوماً.

وذكرت أن الهجوم الألماني الأول أسفر عن قتل سبعة عشر ألف شخص من أهل المدينة.

وقالت الدليلة: لقد اجتمعت قسوة الجو في تلك السنة مع قسوة الغزارة فانخفضت درجة الحرارة إلىأربعين درجة مئوية تحت الصفر، مع عدم وجود الكهرباء، لأن محطاتها خربت، واجتمع أيضاً مع البرد الجوع حيث مات قسم كبير من الناس من الجوع والبرد، وانضاف إلى ذلك انتشار الأوئمة في أول الوقت لأن مياه الشرب كانت ملوثة.

وذكرت أن المجاعة انتشرت في المدينة حتى كان نصيب الشخص من الطعام لا يتعدى ١٢٥ قرام في اليوم ما عدا العمال فإنهم يعطون ٢٥٠ قراماً وذلك لكونهم يعملون عملاً شاقاً يحتاج إلى مزيد من الطعام.

وذكرت أن هذا الطعام القليل الذي هو قطعة من الخبز فقط ليست كالم من الدقيق، وإنما تبلغ نسبة دقيق القمح فيها ٤٠ % ، وباقيه مواد مختلطة مجتمعة.

وكان صنع الخبز مشكلة كبيرة لأنه يتطلب قطع الأخشاب وأحضارها، وليس في الناس قدرة على ذلك.

وقد مات عدد كبير من الناس بسبب البرد والمرض والجوع إضافة إلى من يقتلهن الألمان في الحرب. حتى أنه أحصيت عشرة آلاف جثة في يوم واحد، ولا يستطيع أهل الميت حمله، وإنما يلقونه فيأتي المتلذعون ورجال الإداره

ويحاولون ضمه إلى غيره من الموتى، وتكوين جثثهم تحت الثلوج إلى أن يأتي الدفء فيستطيعون الحركة وسحبها إلى المقبرة الجماعية هذه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وذكروا أن المدينة كانت محاصرة من جميع الجهات إلا جهة واحدة من بحيرة كان الألمان لا يستطيعون أن يجرؤوا آلياتهم الكبيرة عليها، وإن هذا الطريق الذي يأتي عبر البحيرة كان هو الطريق الوحيد الذي تأتي منه النجادات القليلة من الطعام والأسلحة الخفيفة من خارج لينين قراد، ولذلك أسموا هذا الممر من البحيرة بطريق الحياة، حتى الماء النقي كانوا يأخذونه من تحت الثلوج من البحيرة هذه.

وذكرت الدليلة أن السيارات التي تأتي بالطعام والأسلحة أو أي شيء آخر كان لا يصل إلا ثلثها في العادة، أما البقية فإن الألمان كانوا يدمرونها قبل أن تصل.

وذكرت الدليلة أن الناجين من الحصار أوقدوا ناراً في آخر أيام الحصار وجعلوها متقدة دائماً، هيأوها من أجل أن يشعروا النار في بقية المدينة أمام وجوه الألمان إذا ما استطاعوا دخولها ولم يمكن إنقاذهما منهم.

ولذلك جعلوا شعلة من النار تتقد في ركن من هذه الحديقة يتعهد بها الناجون من الحصار حتى الآن.

### شهدوا من المسلمين :

كان يرافقنا في الذهاب إلى هذه المقبرة وجولة اليوم عدد من المسلمين، منهم الشيخ جعفر بن نصيبي الله إمام جامع لينين قراد، وأشخاص آخرون. عندما سألت عما إذا كنت أستطيع أن أقابل أحداً من شهدوا حصار لينين قراد من أهلها سارع الإخوة المسلمين فقالوا: نعم، ومن المسلمين أيضاً.

ومعنا الآن اثنان منهم من إخواننا المسلمين، هما هذا الحاضر معنا الأخ (علي فخر الدين)، وهو رئيس جمعية مسجد لينين قراد، ونائبه في رئاسة جمعية المسجد الأخ (عثمان محمدولي)، وعندما أخبرهما الإخوة بما قلت رفع الأخ عثمان محمدولي طرف السترة التي كان يرتديها عن كتفه يربينا الأوسمة والنياشين التي حصل عليها من الحكومة الروسية لقاء شجاعته وبطولته خلال حصار (لينين قراد)، ومنها وسام الحرب الوطنية العظمى كما يسمونها هنا، ويريدون بها الحرب العالمية الثانية.



## يضعون الزهور على قبر الجندي المجهول في لينين قراد والمؤلف واقف بينهم يتأمل

وكنت لاحظت في عدة مناسبات أوسمة أو نحوها تكون معلقة على أكتاف جماعة من الإخوة المسلمين الذين يسلمون علينا، أو نجتمع بهم في المساجد، فكنت ظننتها في أول الأمر من شعارات الحزب الحاكم أو نحو ذلك، ولكنني عرفت أنها أوسمة ونياشين منحتها الحكومة السوفيتية لهم

مثل غيرهم من المواطنين الذين بذلوا جهوداً غير معتادة، وأبدوا بطولة عظيمة في الحرب ضد الألمان.

وعلى صدر الأخ (عثمان محمد ولی) أيضاً وسام آخر هو وسام الشرف، وعليه ما رأيته على الآخرين وهو (نيشان) دون ذلك، إذ هو يعطى لمن اشتراك في الحرب وأبدى بطولة فيها.

وعلى صدره إضافة إلى ذلك وسام آخر ليس من الحكومة الروسية التي تعطي الأوسمة لسائر الناس، وإنما هو من رئيس المسلمين، و ذلك لكونه اشتراك في إتمام تعمير جامع (لينين قراد) وذلك أن المسلمين وقد نقد ما جمعوه من المال لبناء المسجد أخذوا يبادرون لترميم المسجد بأنفسهم، ومن أبدى منهم حماسة ونشاطاً في العمل أعطاه المسلمون ممثلي في رئيسهم في ذلك الوقت الذي هو رئيس الجمعية الإسلامية وساماً صغيراً تقديراً لعمله، واعترافاً بجهده في إعادة تعمير المسجد.

وقد كتب تاريخ الوسام باللغة العربية وإنه في ٥ صفر عام ١٢٢٨هـ. أي منذ ثمان وسبعين سنة، وقد سالت الأخ عثمان عن سنه الآن فتلعثم ثم قال: ٨٦ سنة ست وثمانون سنة، ولا شك في أن تاريخ الوسام سابق لإعطائه لهذا الأخ الكريم إذا كانوا هياواه في ذلك التاريخ، ثم أخذ رئيس الجمعية يمنحه بعد ذلك ولعدة سنوات لم يستحقه من المسلمين.

وعلى ذكر وسام البطولة الذي حصل عليه هذا الأخ المسلم أخبرنا هو وإخواننا المسلمين المرافقون أن عدداً كبيراً من المسلمين حصلوا على أوسمة البطولة في الحرب، وحملوا لقب بطل الاتحاد السوفييتي لشجاعتهم في الدفاع عن الوطن.

وعندما سالت هذين الأخين المسلمين عما ذكرته الدليلة أجاباً بأنه صحيح، وأنهما قد عايشاه لأنهما كليهما قد شهدا الحصار.

وقد أسرع هذان الأخوان وغيرهم بوضع باقة من الزهور على هذا الرمز الذي يرمز لمائاتآلاف من القبور في هذه المقبرة التذكارية لأن لها فيها أقارب لا يعرفونهم، ولا يدركون أين مقابرهم، لأن المقبرة كانت جماعية مختلطة، وبعض الموتى تحالت جثثهم، أو تمزقت قلما تدفن فيها، ولكنهم لا تعرف أسماؤهم.

هذا وقد حنلت المقبرة بزوار كثير بعضهم من السياح، وبعضهم من أنحاء الاتحاد السوفييتي.

وبعد التقاط الصور التذكارية وبخاصة مع الأخرين المسلمين الذين تجوا من حصار (لينين قراد) هنا بل من معركة لينين قراد التي لم تقتصر على الحصار، وإنما سبقته معارك حربية منها معركة الهجوم الأول. عدنا إلى قاعة الصور والرسوم التي توضح بعض المعلومات الواردة هنا عن المعركة والحصار، ومنها صور لجثث فوق الثلج، وصورة الهجوم الألماني الأول الذي استمر تسعة ساعات وقتل فيه سبعة عشر ألفاً من أهل المدينة، ورسم للمنطقة التي يقع فيها فندقنا وقد خرب بعضها.

ومن الصور المؤثرة صورة حلقة صوروا معها مذكراتها في أوراق صغيرة كانت تدون فيها مشاعرها والواقع التي تحصل لأسرتها أثناء الحصار بطريقة بدائية مختصرة، وهي مكتوبة بالروسية، ترجمها لنا إخوتنا، وفيها مثلاً: في يوم كذا ماتت جدتي فلانة، وفي يوم كذا توفيت اختي فلانة، ولم تستطع تحريك جثتها لأنه ليس لدينا أحد يحملها، فأمي مريضة، ووالدي يدافع عن المدينة. ثم ذكرت أنه في يوم كذا عادوا بوالدي مصاباً في الحرب، وبعد ذلك بيومين قال: إنه مات والدي. ثم بعد ذلك ذكرت جميع أفراد أسرتها ماتوا، وأنها التجأت إلى جيران لها بقيت منهم في البيت بقية.

## إلى قصر الشتاء:

كنت قد زرت قصر الشتاء في مدينة بكين عاصمة الصين، وكانت زيارتنا لقصر الشتاء في آخر فصل الشتاء، بل أول فصل الربيع في هذا الشهر شهر إبريل، ولكن كان الجو بارداً ماطراً مظلماً مما جعل زيارة قصر الشتاء في ذلك الجو الشاتي تكاد تكون حقيقة.

وفي الشهر هذا نفسه سنزور قصر الشتاء في هذه المدينة، ولكن الجو شامس ديفء لا يعطي صورة عن الشتاء، وهذا التحسن في الجو كان منذ فترة قصيرة جداً كما أخبرونا به.

احتراق الموكب شوارع تجارية فاخرة المظهر إلا أنها فقيرة في الخبر، واليوم هو الأحد يوم العطلة الأسبوعية لذلك كان أغلبها مغلقاً.

وسألت الدليلة لمناسبة أبنية حكومية رأيناها عما إذا كانت تسكن وحدها، فذكرت أنها تسكن مع أخيها، وأنها غير متزوجة، وأن مشكلة المساكن في (لينين قراد) لم تحل تماماً حيث يتضرر من يطلبون المساكن فترة حتى يحين دورهم في الحصول على الشقة التي يستحقونها حسب عدد أفراد الأسرة، إلا أنها أضافت قائمة: إن المشكلة خفت حدتها كثيراً.

كنا نسرع السير لأن لدينا موعداً مع الإخوة المسلمين في مسجد (لينين قراد)، وسوف نصل إلى ملتقى معظم الظهر ونتكلّم فيهم، غير أنها وجدنا الشوارع المعتادة التي تؤدي إلى قصر الشتاء مغلقة، وعندها أعداد كبيرة من الشرطة يمنعون السيارات من سلوكيها، وذلك استعداداً منهم للاحتلال بأول مايو؛ حيث يزینون بعض الميادين، ويهیئونها للاحتفال.

وذهبنا مع شوارع أخرى وجدناها مغلقة كذلك، فنزل الإخوة وكلموا ضابطاً للشرطة يخبرونه بأننا وقد رسمي، وأن وقتنا ضيق، ويجب أن نجد طريقاً قريباً يوصل إلى القصر، فلم يجد ذلك به نفعاً.

ثم تكلموا مع ضابط آخر في شارع آخر، فلم يسمح لسياراتنا بالمرور، وإنما دلهم على طريق وحيد جانبي فيه جزء ذو اتجاه واحد لسيارة واحدة سمح لنا باستعماله بالعكس، أي عكس المرور المقرر فيه.

ومررنا بميدان صغير عليه كنيسة مشرفة ضخمة للأرثوذكسيين لم يجر عليها تغيير، ولا أدرى أهي مفتوحة للمرتادين أو لا، ويدرك أن مذهب عامة المسيحيين هنا بل في جميع أنحاء البلاد الروسية كان المذهب الأرثوذكسي، وكان قيصر روسيا يعتبر حامي الكنيسة الأرثوذكسيّة.

ولاحظنا هنا كثرة المشاة في هذا اليوم الذي هو يوم عطلة، كما رأينا خطوط العربات الكهربائية (ال ترامواي) لا تزال موجودة ومستعملة في (لينينغراد) إلى جانب أنواع النقل الأخرى مثل الحافلات الكبيرة المعتادة، والحافلات الكهربائية (التروولي باص).

وبلاحظ المرء كثرة وسائل الانتقال العامة هذه وقلة السيارات الصغيرة الخاصة، وهذا شيء شاهدناه في كل البلاد السوفيتية من توفير الضروريات، والنقص في الكماليات، وفي هذه الشوارع رأينا جنوداً يتدرّبون ذكر المراقبون انهم يتدرّبون على كيفية العمل في الأعياد في هذه المنطقة.

ويبدو على هؤلاء الجنود العناية بالظاهر والصحة العامة، وشدة التدريب، لأن النظام الصارم في الحركات والخطوات بل حتى النظارات هو السائد بينهم.

وصلنا القصر من جهة الغرب بعد عدة محاولات، وكان المقرر أن نصل إليه من جهة الشرق، لأن جهة الغرب فيها بعد الشارع الذي يقع عليه القصر مساحات شاسعة تقع على ضفة نهر إينوا ولا تدخلها السيارات.

وذكرت الدليلة أن هذا القصر مؤلف من خمسة أبنية تكاد تعتبر منفصلة بعضها عن بعض، وإنهبني في الأصل من أجل الملكة إليزابيث،

ولكنه سلم بعد ذلك للقيصرة كاترين الثانية في عام ١٧٥٢ م.

أول ما تدخله تقابلك فيه الفخامة والسعفة وشواهد البذخ في الإنفاق.

وكان المشكلة فيه هي مشكلة الازدحام، فقد كان مزدحماً بالزوار، وكانت ممراته وحتى درجاته مليئة بحيث يصعب التحرك فيها في بعض الأحيان رغم سعتها.

وأكثرهم من ذوي المظهر الأوروبي، يليهم أهل الجنس الأصفر من اليابانيين ومن يشبهونهم أو يقربون منهم وهم جمياً من السياح.

وأما الجنس العربي الأسمر، والذي يميل إلى السمرة فإنه قليل هنا وإن كان موجوداً، والأقل منه الجنس الأسود حيث لم أر في القصر كله من السياح إلا شخصين أسودين.

### قاعات القصر:

لكل قاعة في القصر اسم خاص بها يعرفونها به، ويدركون أمرها على أساسه فكانت القاعة الأولى التي دخلناها ونوهت بها الدليلة قاعة العرش رأينا فيها كرسى القيصر، ولم أره فخماً بالقدر الذي عليه القصر من الفخامة، وعلى سبيل المثال هو دون الكرسي الذي كان يجلس عليه إمبراطور الصين في قصر الشتاء في بكين بكثير.

وفوق كرسى القيصر لوحة تمثل القيصر (بطرس) مع آلهة الحكم بزعيمهم، وهي مرسومة بريشة أحد المشاهير من الفنانين.

وأما القاعة نفسها فإنها ممتازة، ثم قاعة أخرى تمثل رسوماً من محافظات القيصرية الروسية التي كان يبلغ عددها اثنتين وخمسين محافظة.

ثم قاعة خصصت لتخليد أبطال الحرب الروسية الفرنسية التي عرفت بحرب نابليون عندما هجم على البلاد الروسية، وتضم صوراً ورسوماً وأسماء

خاصة بذلك.

ومررنا مسرعين بجناح طويل لم توضح الدليلة أمره لأننا كنا في عجلة من أمرنا.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في قاعة أخرى من القصر تمثال بطرس الأكبر بشعره الوفير، وهو يصنع حذاء له ذكروا أنه صنعه بنفسه، وأنه كان يتقن أربعين حرفة رغم كونه قيصراً عظيماً بالنسبة إلى المالك في ذلك الوقت، وإن لم تكن القيصرية الروسية وصلت إلى ما وصلت إليه الآن في حكم خلفاء القياصرة من الشيوعيين من الاتساع، وحتى من القوة والصولة. وذكروا بهذه المناسبة أنه مات وعمره خمسون سنة عندما كان يتقد مناطق من بلاده غمراها الفيضان، لأنه غلط فركب على السنان فجرحه فمات من ذلك الجرح.

هكذا قالوا، والله أعلم.

ويبدو من تمثاله شاباً أو ربما كان ذلك التمثال قد صنع له قبل موته بمدة، أو ربما كان قوي البنية لا تظهر عليه الكهولة، مع أن سن الخمسين للكثير من الناس هي خاتمة مرحلة الشباب، وخاتمة الشيء جزء منه.

ودخلنا بعد ذلك قاعة تسمى (غرفة الطعام البيضاء)، وقاعة أخرى تسمى قاعة الزمرد لأنها ذات أعمدة خضراء في لون الزمرد، وليس ذلك لكونها مزينة أو محلاة بالزمرد الحقيقي.

وقال أحدهم: إن هذه الأعمدة أقيمت من الحجر الزمردي الأخضر، وهو حجر معتمد إلا أن لونه أخضر، وذكروا أن في القاعة ما وزنه ستةطنان من هذا الحجر الزمردي.

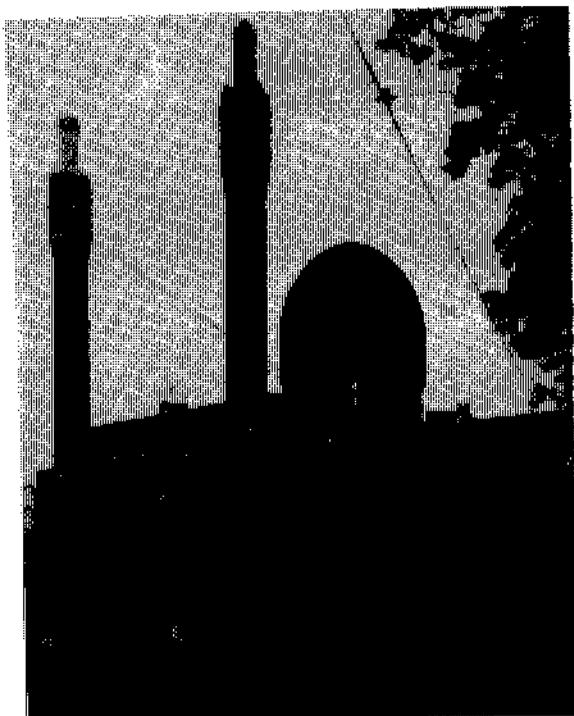
ثم قاعة الموسيقى، وكانوا يستجلبون إليها الفرق الموسيقية العالمية، وهي فاخرة إلى درجة أنها مزينة بأشياء من التماشيل والزينة من القصبة التي

يبلغ وزنها طناً ونصف الطن.

وبعد هذه الجولة القصيرة في قصر الشتاء خرجنا عند مدخله، والتقطنا صوراً تذكارية لواجهته وللأفنية المكشوفة والحدائق الواسعة التي تفصل بينه وبين نهر(نيوا) الذي يعتبر القصر واقعاً على ضفته في منظر أنيق، وجوريبيع جميل.

### إلى جامع لينين قرداد :

أبصرناه قبل الوصول إليه بمسافة طويلة، وذلك لكونه ذا منارة عالية وبه مرتفعة مهيبة، ويقع على ضفة نهر (نيوا) وليس ملاصقاً للنهر، غير أن المسافة التي تفصل بينه وبين النهر ليست فيها أبنية مرتفعة، وأكثرهاأشجار ومساحة مكشوفة.



**جامع لينين قرداد**

عندما وصلنا المسجد وجدنا جمعاً حاشداً من المسلمين قد اصطفوا

صفين بنظام، صف للرجال، وأخر للنساء، فسلم علينا كبار المسلمين، والباقيون ظلوا واقفين في أماكنهم وقد امتد صفاهم من موقف السيارات في داخل الفناء الخارجي للمسجد الذي تحيط به حدائق واسعة ليس فيها حشيش غامر، وإنما أشجار ضخمة عادية - نسبة إلى عاد الذي يدل على القدم، وليس إلى الاعتياد - وبقية الصف عند باب مدخل المسجد نفسه.

وكانوا على غاية من التأثر، وبخاصة النساء، إلا أن أكثر الحاضرين سواء أكانتوا من الرجال أم من النساء هم من المسنين، والشباب فيهم قليل جداً.

#### في مكتبة المسجد :

فإذا الأخ الشيخ (جعفر بن نصيبي الله) إمام المسجد وخطيبه إلى مكتبة المسجد، وهي غرفة من عدة غرفات، وأبنية تابعة للمسجد، وهي في الطابق الأول.

وقد أعد فيها مائدة مستطيلة حافلة بالفاكهه والمشروبات الباردة والساخنة، وجرت في هذه القاعة محادثات مفيدة جداً مع الأخ جعفر نصيبي وبعض كبار المسلمين الحاضرين ومعنا المرافقون في الرحلة كلها، وعلى رأسهم الشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية التي تشرف على هذا المسجد، لأنه واقع ضمن القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي، وحصلنا على معلومات مؤثقة عن أوضاع المسلمين في (لينين قراد).

يقدر عدد المسلمين فيها بنحو ثلاثين ألفاً، ولم يمسجده واحد.

وتحدث الشيخ جعفر بن نصيبي الله فقال: كان المسلمون في لينين قراد يقيمون صلاتهم في مسجد خشبي في إحدى ضواحي المدينة، وتقدم العقيد دولت بابا حسن والسيد عطاء الله بابن المذان شكل لجنة إسلامية من ٢٠٠ شخص بطلب إلى قيصر روسيا في عام ١٩٥٥م لإعطائهم أرضاً لبناء المسجد،

ووافق القيصر على الطلب شفويًا، وطلب منهم وضع التخطيط وال تصاميم اللازمة لبناء المسجد، ومن خلال ٤٥ تصميمًا قدم إلى لجنة بناء المسجد تم اختيار نموذج هذا البناء القائم الذي يشبه إلى حد ما مبنى ضريح الأمير تيمورلنك الموجود في سمرقند.

ثم جمعت لجنة بناء المسجد نحو مليون روبل من كافة المسلمين، ووضع الحجر الأساسي له في عام ١٩١٠م. وافتتح المسجد لصلاة المسلمين لمدة أسبوع واحد بمناسبة احتفالات الإمبراطورية الروسية بعائلة رومانوف القيصرية عام ١٩١٤م، ولم يكتمل بناء المسجد إلا في عام ١٩٢٠م. ويقول الإمام إنه منذ ذلك الوقت لم يغلق المسجد إلا في أيام الحرب العالمية الثانية عند محاصرة المانيا النازية لمدينة لينين فراد.



الشيخ جعفر نصيبي الله على يمينه المؤلف في مكتبه بجامع لينين فراد  
ثم قال الإمام إن الترميم يجري الآن لإصلاح بعض التلفيات التي حصلت  
بمرور الزمن، وإن الترميم يحتاج إلى أربعة ملايين روبل، وإن الجمعيات

الإسلامية في مختلف الإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي تساهم في تكاليف الترميم.

ثم جرت بعض المناقشات بين أعضاء الوفد وإمام المسجد الشيخ جعفر نصيب الله تضمنت الأسئلة التالية:

س/ ماذا حدث للمسجد القديم الذي كان موجوداً قبل بناء هذا المسجد ؟  
ج/ كان المسجد قائماً على أرض مستأجرة فأعيده لأصحابها بعد بناء هذا المسجد.

س/ كيف يتم تأمين تكاليف الترميم وتأمين احتياجات المسجد ؟  
ج/ يتم تأمين ذلك من تبرعات المسلمين، وفي السنة الماضية بلغ إيراد التبرعات ١٢ ألف روبل ( فصححه الشيخ طلعت تاج الدين وقال ٢٢٠ ألف روبل)، وحدث أن تبرع مسلم واحد من إحدى القرى بمبلغ ٤٥٠ روبل.

س/ كم عدد المسلمين في لينين قراد، وهل هم يتزايدون أم ينقصون ؟  
ج/ يقدر عدد المسلمين في لينين قراد بحوالي ٣٠ ألف مسلم، ولا يمكن تحديدهم بالضبط لأن التعبياد لا يتم على أساس الدين، وبلاحظ أن عدد المسلمين يتزايدون، وذلك أنه تقام ٣٥٠ صلاة جنازة في المسجد سنوياً، ويتم تسمية ٥٠٠ إلى ٦٠٠ طفل من أولاد المسلمين في السنة.

س/ كيف يحافظ المسلمون على دينهم ؟  
ج/ يتم تعليم الأبناء الدين الإسلامي في الأسرة، وفي صلوات الجمعة والأعياد نلقى عليهم الموعظ والإرشاد، وكذلك نجيب على استفساراتهم الدينية في المنازل والمساجد.

س/ هل يدخل أشخاص جدد في الإسلام ؟  
ج/ تأتي روسيات لإشهار إسلامهن بمقدار مائة في السنة، وذلك من أجل الزواج

من المسلمين العرب، وعندما نسألهم عن سبب إسلامهن يجيبن بأنهم يرغبن الزواج من الطلاب العرب الذين يدرسون في الجامعات الروسية. ويتم تعليم المرأة بعض أحكام الدين الإسلامي، ثم نقول لمن يتزوجها أن يقوم بتربيتها وتعليمها مبادئ الدين.

وحدث أن تزوجت روسية طالباً عربياً من اليمن، وأسلمت. وبعد فترة مات زوجها وهي لا تزال تحمل الجنسية السوفيتية، فعادت من اليمن، وبعد فترة جاءت إلى المسجد تستفتني هل يمكنها أن تتزوج رجلاً ألمانياً مما يدل على أنها لم ترتد عن الإسلام بعد موت زوجها وعودتها إلى الاتحاد السوفييتي.



### مَرْأَبُ جَامِعٍ لِّيَنِينٍ قَرَاد

س/ هل يحدث أن تتزوج المرأة المسلمة من غير دينها ؟  
ج/ يحدث هذا نادراً، لأن آباءنا وأمهاتنا يعملون للمحافظة على الدين

الإسلامي، ويحرض الوالدان أن يتزوج بناتهما وأبناؤهما من المسلمين.

س / كم تبلغ نسبة الإنجاب عند المسلمين؟

ج / نسبة معدلات الإنجاب عند المسلمين أكثر من سواهم، فقد يكون للأسرة الواحدة أكثر من عشرة أبناء، والدولة تشجع على زيادة النسل، ولكن معدلات الإنجاب عند الروس منخفضة لا تتجاوز الطفليين أو الثلاثة، وقد لا يكون لهما أطفال بالرغم من تشجيع الدولة وإعطاء مكافآت وجوائز للأسر التي تتجب أكثر.

والمسلمون في لينين قراد متعلمون، ولا يوجد بينهم أمي، وفي كلية اللغة العربية ومعهد الاستشراق في جامعة لينين قراد يتعلم الطلاب المسلمون اللغة العربية، ويدرسون القرآن الكريم، ويحفظون بعض سوره، كما يدرسون الحديث والتاريخ الإسلامي، وأحد أبنائي يدرس في هذه الكلية، ويستطيع أن يقوم بإماماة المسلمين، وإلقاء الخطبة في صلاة الجمعة، وأغلب الدارسين في هذه الكلية هم من المسلمين الذين يأتون إليها من مدن بعيدة داخل الاتحاد السوفييتي، والدراسة فيها أفضل من كلية اللغة العربية في جامعة موسكو.

### الصلوة في المسجد:

بعد هذا الحديث المفيد ذهبنا لصلاة الظهر والاجتماع بال المسلمين في المسجد، فنزلنا إليه من درج مكتب الشيخ جعفر نصيف الله، ثم خرجنا إلى فناء مكشوف حيث دخلنا المسجد من باب جانبي لأن الباب الرئيسي تحت الترميم والتعديل مثل سائر المسجد الذي رأيناهم يعمرونه من الأرض إلى سقفه الشامخ، ولما أبديت إعجابي بعلو سقفه، وسموق منارته، وارتفاع قبته مما لم أكن أتصور وجوده في هذه البلاد التي هي بلاد أقلية إسلامية، قال الشيخ طاعت تاج الدين: إنه أكبر مسجد في إدارتهم، يقصد في المنحلقة التي هي تحت إدارتهم من بلاد الروس.

وعند الدخول إلى المسجد كان منظره من الداخل هائلاً بارتفاع قبته، وتجهيزه الكامل، وأعمدته التي تحمل القبة، وهي ذات لون زمردي أحضر بدت في عيني أجمل من الأعمدة التي في قاعة الزمرد في قصر القيصر، والفسيفسae النادرة في جدرانه، وحتى المحمل قدكسوا به ما قرب من المحراب الذي هو واسع أكثر من المعتاد.

وقد فرش المسجد سجاداً جيداً، وفي مقدمته سجادتين أهدي إلى المسجد من الدول المختلفة، وفي مناسبات متعددة منها واحدة من إيران، وثانية من الرئيس ضياء الحق رئيس باكستان، وثالثة من العراق، ورابعة من مصر على عهد الرئيس عبد الناصر.

ومن اللطيف في هذا الصدد أننا وجدنا سجادةً فيه مكتوبًا عليه اسم وزارة الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية ذكرها أنه أهدي إليهم من إخوتهم المسلمين في فنلندا، ويدرك أن حدود فنلندا قريبة جداً من مدينة (لينين قراد) هذه، وذكر لهم الإخوة الفنلنديون أنهم حضروا من مكة وأن هذا مما زاد عن حاجتهم.

وفي المسجد ثريا ضخمة مكتوب عليها آيات قرآنية كريمة بخط عربي جميل واضح أن كاتبه تركي، أو متأثر بالخط التركي الحديث.

والثريا كبيرة بحيث سألتهم عن وزنها فأجابوا أنه ثلاثة أطنان ! وقد علقوها بالسقف الأعلى بسلسلة ضخمة من الحديد القوي.

وهذا دليل واحد على عناء المسلمين من أهل هذه المدينة بمسجدهم الذي هو المسجد الوحيد في المدينة.

وذكرنا أنهم دأبوا على إنارة هذه الثريا بجميع مصابيحها الكثيرة في رمضان خاصة، أما ما عدا ذلك فإنهم يكتفون بإنارة المصايبخ الكهربائية الأخرى الوافرة في المسجد.

وإذا نظر الناظر إلى القبة من داخل المسجد عجب من أن يستطيع المسلمين وهم أقلية عدديّة قليلة، وفي بلد غير إسلامي بناءها في ذلك الوقت إذ يبلغ ارتفاعها ثمانية وأربعين متراً، وهذا هو ارتفاع القبة، وليس ارتفاع المئارة فهي أعلى من ذلك.

ويقرب إلى الذهن في ارتفاع سقف المسجد وشموخه أن المحراب الذي هو في جزء من جهة القبلة كما هو معروف يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار. ومعلوم أن عشرة أمتار تساوي ارتفاع ثلاثة طوابق من الأبنية الاقتصادية الحديثة.

وذكروا أن المهندس الذي أشرف على بناء المسجد هو مسلم بولندي درس في لينين قرادة.

#### السلام المنظم :

بعد الصلاة وأداء السنة ركعتين قام المسلمون للسلام على أعضاء الوفد في صف طويل منظم هادئ بحيث صافحناهم كلهم بدون زحام، بل الواحد منهم يتلو الآخر.

وهذا بالنسبة للرجال، وأما النساء فإنهن صلين في شرفة خاصة بهن، ولم يتقدمن للسلام في المسجد، وإنما كن مصطفيات كما ذكرت عند الدخول.

وأكثر الذين حضروا الصلاة هم من المتقدمين في السن سواء في ذلك الرجال والنساء، بل من الرجال من يbedo عليهم الهرم أو أمراض الشيخوخة.

فقد أحصيت الذين كانوا منهم يصلون على كراسٍ لعدم استطاعتهم ثني مفاصلهم فكانوا عشرة رجال، ومنهم من يجلس على الأرض ولكن يمد رجله، لأنه لا يستطيع أن يثنّيها، ومنهم من يضع كفيه حول ذنبيه ليُساعدَه

ذلك على السمع لضعف سمعه، وذكرت بهذه المناسبة السمعاء الصغيرة التي تعطى لضعف السمع عندنا وفي البلدان ذات الاقتصاد الحر، وقلت في نفسي: لماذا لا يستعملونها؟

وبدأ بعد الصلاة حفل خطابي في المسجد حيث نهض الشيخ (جعفر نصيب الله) فقدم وفد الرابطة ذاكراً أسماءنا وأعمالنا إلى جماعة المسلمين ثم قال: لقد سبق أن حدثكم في خطبة الجمعة الماضية عن قدوم وفد من الرابطة والحرمين الشريفين إليكم.

ثم تكلم المنتمي الشيخ طلعت تاج الدين عن وصول وفد الرابطة إلى الاتحاد السوفييتي وأنه وصل في 15 إبريل 1986 م وزيارته لبعض المدن والقرى، وشرح لهم أعمال الرابطة وعن استضافتها السنوية لبعثة الحجاج السوفييتية، ثم دعا الله تعالى أن يتكرر قدوم الوفد وغيره من الوفود الإسلامية من أرض الحرمين الشريفين إلى بلادهم حتى يحصل لهم الخير والبركة.

ثم تحدث في جماعة المسجد شاكراً حسن الترحيب وكرم الضيافة، ومشيداً بتمسكهم بالدين، وجهادهم في الحفاظ عليه، وجهودهم المشكورة في ترميم المسجد وإظهاره بالملاهر المناسب.

ثم عودتهم إلى تربية أبنائهم تربية إسلامية صحيحة في بيروت، وتعويذهم على إقامة الصلاة، وتعريفهم بأنهم مسلمون متميزون عن غيرهم، وأنهم جزء من عالم إسلامي كبير كان له الفوز والغلبة في التاريخ عندما أخذ أبناءه به أخذ صحيحاً.

وطلبت منهم أن يتعاون الأب والأم على تنشئة الأطفال تنشئة إسلامية، لأن هذه هي الوسيلة المتاحة الآن.

وذكرت لهم أن الأجيال اللاحقة من المسلمين في هذه البلاد سوف تتضرر إليهم، وإلى ما يفعلونه في هذا الصدد، فحذار أن يقولوا: إن آباءكم

وأجدادكم قد غرسوا في أولادهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وأنكم لم تفعلوا ذلك في أولادكم.

إن من يفعل ذلك منكم فإنه سيتحمل المسؤولية عن ذلك أمام التاريخ، وأمام إخوتكم المسلمين فيسائر أنحاء العالم الإسلامي.

وقلت لهم: إن إخوتكم المسلمين ينظرون إليكم خاصة أنتم جيل التحول والتطور هذا، وينتظرون منكم أن يكون أولادكم خلف خير لسلف خير.

وقلت لهم: إن كل مسلم مسؤول أمام الله أيضاً عن نصيحة أخيه المسلم، فإذا لاحظ أن أخاه المسلم لا يحضر إلى المسجد فإنه يجب عليه أن ينصحه، وبين مزايا الصلاة في المسجد، والحكمة من مشروعيتها، وأن من الحكمة في مشروعية الصلاة أن يجتمع المسلمون ويتعارفوا، وأنها الاجتماع اليومي المتكرر، فقد جاء الدين الإسلامي بمجتمعات دورية بين المسلمين من أجل التعارف والتعاون، فكان اجتماع الجيران للصلوات الخمس كل يوم وليلة في مسجد واحد، ثم اجتماع أهل المحلة لصلاة الجمعة مرة في الأسبوع، ثم اجتماع أهل البلدة لصلاة العيددين مرتين في السنة، ثم الاجتماع الأكبر، وهو اجتماع المسلمين كلهم من أنحاء العالم في مكة المكرمة لأداء فريضة الحج التي يجب على المسلمين أداؤها مرة في عمره إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ثم عاودنا تفقد هذا المسجد العظيم من الداخل، وتأمل بنائه السخي الضخم، وتيقنت أنه لو كان بني في عهد الثورة الشيوعية لما استطاع المسلمين أن يبنوه بهذه الهيئة، هذا إن استطاعوا الحصول على الإذن ببنائه.

وتدخل ذلك حديث عن عدد المسلمين الذين يحضرون للمسجد، فأفادوا بأن الذين يحضرون للصلوات الخمس ليسوا بالكثير، ويحضرون لصلاة الفجر أكثر من الأوقات الأخرى لأنهم غير مشغولين، وهذا أمر سمعناه من غيرهم من أئمة المساجد في الاتحاد السوفييتي، لأن الذين يعملون لا تتاح لهم فرصة حضور الصلاة.

أما الذين يصلون الجمعة فذكروا أن عددهم يتراوح ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مصلٍ فيهم نسبة كبيرة من الأخوات المسلمات.

وأما في العيدين فإن العدد من النساء والرجال والأولاد يصل إلى خمسة عشر ألف شخص، ويمتلىء بهم المسجد وأفنيته الخارجية.

ولاحظت أن المسلمين رغم كونهم من أهل (لينين قراد) وربما كان بعضهم من أهلها القدماء فإن الغلظ في تقسيم الوجوه هو السائد، فهم بالروس أشبه منهم بالأوكرانيين، مع أن كثيراً منهم من أصل تترى، أي ليس من الجنس الذي كان أسلافنا العرب يسمونهم بالبلغار واحتلّ بهم بعض التتار مع أن أصولهم في الحقيقة تتارية، أو من البلاد التي قدم منها التتار في منطقة تركستان الشرقية، إلا أن الملاحظ أن شقرة الشعر فيهم كثيرة، وأما البياض الذي هو بياض الأوروبيين فإنه هو اللون الذي لا لون غيره فيهم.

### في بيت الإمام:

مرة أخرى تتاح لنا فرصة زيارة بيت من بيوت المواطنين المعتادة في الاتحاد السوفياتي، وذلك عندما ذهبنا إلى بيت الأخ الإمام (عصر بن نصيف الله) لتناول الغداء فيه، وقيل لنا: إن الغداء هو ضيافة جمعية المسجد التي يرأسها الأخ (علي فخر الدين)، ولكن لم يذكر لنا ذلك صراحة.

ومع ذلك فإنه من المفهوم أن يكون الأمر كذلك، لأنه من الصعب على فرد ذي دخل محدود أن يقيم مأدبة ضخمة تقدم فيها المأكل الناخرة الفالية كالكافيار والسمك الذي يبيض ذلك الكافيار، وهو لا يوجد إلا في بحر قزوين.

لذلك رأينا المأدب التي تقام للوفد تكون في بيت متولى المسجد، أو رئيس الجماعة التي تشرف على المسجد، أو تكون في بيت الإمام الذي هو المرشد للمسلمين، وهو المرجع لأهل المسجد الذي يصل لهم بالإدارة الدينية

الإسلامية التي تتبعها المنطقة.

ويقع بيت الإمام في شارع (باغاتر)، وهو شارع واسع عليه (العمارات) الضخمة جداً يعرضها وطولها الذي يحكي في بعض الأحيان الهضبات المتواضعة من الجبال الصغيرة.

فدخلنا في عمارة ضخمة ذات مصاعد صغيرة، لم تسع للمرافقين، ففضل بعضهم الصعود من الدرج.

ووجدنا بيته مؤلفاً من أربع غرف صغيرة يؤدي إليها ممر ضيق، ولم يُست فيها قاعة توزيع، وفيها مطبخ متوسط، وحمامان صغيران جداً، كلاهما دون حوض أي مغطس للاغتسال.

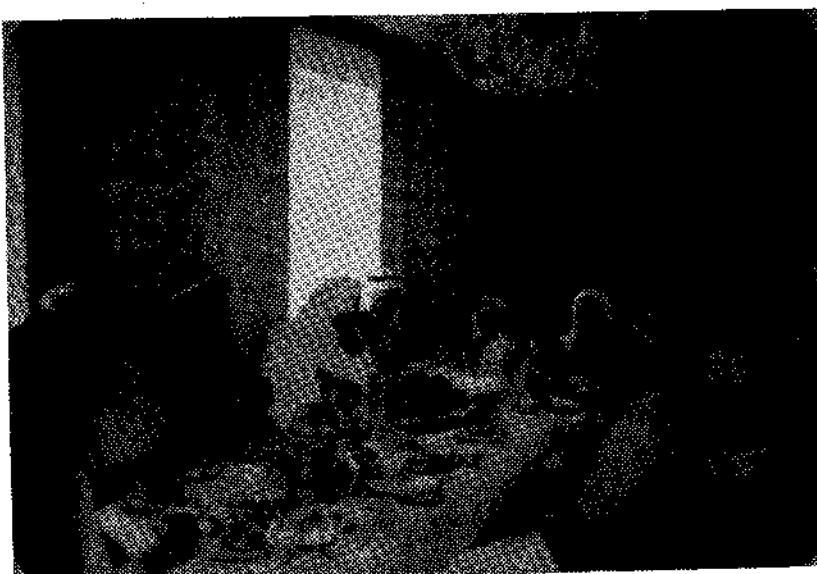
وذكر لنا الإمام جعفر أنه حصل على هذه الشقة المؤلفة من أربع غرف لأن عدد أفراد أسرته كان ستة.

وقد تزوج منهم اثنان، وهما ابنه وابنته، فإذا طلب من يتزوج من الأولاد مسكنًا خاصاً به وحصل عليه، ونقص بذلك عدد أفراد السرة، فإن الساكن الذي أصبح يسكن في منزل تألف من أمتار أكثر مما صارت أسرته تستحقه يخير في أن يخرج إلى منزل أصغر منه، أو تزداد عليه أجراً الأمتار الزائدة زيادة قليلة.

وبيت الشيخ جميل مرتب ليس فيه من عيب إلا الضيق، وهو ضيق أقل مما كنا قد سمعنا به عن ضيق البيوت في الاتحاد السوفييتي، ولا أدرى ما إذا كان الشيخ الإمام قد ميز عن غيره بالسكن في هذا البيت لأهمية وظيفته كما ميزوا كبار الموظفين، ومن يتحققون بهم، وإن لم يكونوا موظفين في الدولة مثل رؤساء الإدارات الدينية.

وعندما أبدينا إعجابنا بجمال البيت من الداخل قال الشيخ جعفر: إنه هو الذي رتبه وزينه من الداخل، فالدولة ليست مسؤولة عن داخل الغرف في

المنازل، وإنما هي مسؤولة عن إصلاح المرافق.



## في منزل الإمام جعفر نصيبي الله إمام جامع لينين قراد

في متجر روسي:

كثيرون يشتاقون لدخول المتاجر الروسية لكي يعرفوا ما تحتويه من البضائع، ويروا كيف تدار هذه المتاجر لأنها كلها حكومية مملوكة للدولة، وجميع الباعة فيها هم موظفون عند الدولة.

لذلك ذهبت مع الشيخ سالم بن عبد الله السالم عضو الوفد لمتمشية فيما حول الفندق، فدخلنا عدة متاجر كبيرة، وهي في مساحاتها الواسعة تشبه المتاجر الكبيرة في البلدان الغربية، ولكن البضائع التي فيها تقل عن البضائع الموجودة في المتاجر الكبيرة في البلدان ذات الاقتصاد الحر بكثير.

وليس الأمر مقتصرًا على مقدار البضائع، وإنما هو الاختلاف أيضًا في كيفية البضائع ونوعها، فهي هنا أكثرها من الضروري: سواء في ذلك الآلات

أو الأدوات أو الملابس.

وكان متوقعاً أن نرى عنواناً لما في أذهاننا عن التقدم التقني الهائل الموجود في الاتحاد السوفيتي؛ غير أنه تبين لنا أن ذلك موجود في إدارات خاصة، وفي مناطق محدودة، ولأغراض مهمة / وأما عامة الشعب فإنهم يعيشون كما يعيش سكان البلدان النامية في العالم الثالث، ويستعملون من الأدوات ما يستعمله أولئك، ولا تتوفر لهم من السلع ما يتوفرون للأفراد في البلدان الغربية الأوروبية فضلاً عن الأمريكية.

وهناك شيء مهم جداً وهو غلاء البضائع التي رأيناها سواء أكانت ملابس، أو أحذية، أو أدوات، أو آلات ليس بالنسبة إلى دخول الأفراد المحدودة، وإنما أيضاً حتى بالنسبة إلى الأسعار العالمية، أو الأسعار التي توجد لها مثيلات هذه السلع في البلدان الحرة الاقتصاد كبلادنا.

فمثلاً اشتري أحد الإخوة المرافقين الروس وهو الشيخ (شامل) مظلة صغيرة، وهي الشمسية بخمسة وأربعين روبيلاً، وتساوي بالصرف الرسمي حوالي ٧٠ دولاراً أمريكياً، وبالسوق السوداء التي صرف بها بعض المرافقين لنا اثنين وعشرين دولاراً أمريكياً، وهذا معناه أن ثمنها على أرخص الافتراضات يساوي سبعين ريالاً سعودياً، مع أن مثيلتها تباع في المملكة العربية السعودية بعشرة ريالات، أي أقل من ثلاثة دولارات америкية، لأن هذه المظلة الروسية ليست من المظلات الفاخرة، فإذا أضيف إلى ذلك كون دخل الفرد محدوداً لا يستطيع أن يزيد فيه صار ثمنها أغلى من ذلك بكثير بالنسبة إلى البلاد التي يزيد دخل الفرد فيها عن دخل الفرد في الاتحاد السوفيتي بكثير.

وقل مثل ذلك عن حذاء غير جيد ثمنه ٤٥ روبيلاً أيضاً، ولا يزيد ثمنه عن ٢٥ ريالاً سعودياً.

وقل مثل ذلك عن الآلات والأدوات الحديدية الصغيرة كالمفاتيح

والسلالس والمقابض، وأدوات السيارات، وكان زميلاً الشيخ سالم يعرف أسمانها في بلادنا، ويعجب من غلائها الناخش هنا.

والشيء المهم الذي يلاحظه الداخل إلى هذه المتاجر الحكومية هو الفارق في الاستقبال بين الباعة هنا والباعة في البلدان الحرة في اقتصادها، فالباعة في هذه المتاجر السوفيتية وأغلبهم من النساء، بل إنك تدخل متجرًا كثييرًا فلا ترى فيه من الباعة الذين يبلغ عددهم العشرات غير النساء أنهن لا يفرحن بدخول المشتري، فضلاً عن أن يرحبن به أو يبتسمن له، بل إن بعضهن يقف الشاري أمامها فترة من الوقت قبل أن تمن عليه برفع رأسها إليه وسؤاله عما يريد، وإذا اشتري شيئاً فإن ذلك يتم بطريقة آلية، بل ربما ظهر له أن البائع كأنما تمن عليه بذلك.

وهذا سببه مفهوم، وهو أنها ترى في الشراء من المتجر مجرد إضافة جهد جديد لها، لا سيما في آخر اليوم، وهو الوقت الذي حضرنا فيه، لأن البضائع للدولة، والمال الذي تشتري به البضائع يعود إليها، والبائع أو البائع مجرد أداة للبيع بيد الدولة.

ودخلنا متجرًا بعد آخر نبحث عن شرائط ملونة (أفلام) للمصورة، فوجدناها بعد لأي، ولم يكن البائع إذا سأله عن شيء لم يكن عنده يبادر فيخبرنا بمكانه، بل كنا نطلب منه أن يرشدنا إلى المكان الذي يوجد فيه الشريط، وأكثرهم لا يفعل ذلك ما عدا بعض النساء اللاتي كن يشنن إلى جهة المحل الذي يوجد فيه دون تحديد، فكنا نسأل ونسأل حتى وجدناه، فاشترينا منه ثلاثة بسعر الأمريكي المعتمد من صنع (كوداك)، ولكنه أسوأ منه تغليفًا وأقل عناية.

واشترينا أيضًا حاشدات صغيرة (بطاريات) للمصورة بعد جهد لأننا لم نعثر عليها في أول متجر بثمن يزيد عن ثمنها عندنا إذا حسبنا قيمة الروبل بالسعر الرسمي لها بالنسبة للدولار، والانطباع الذي خرجنا به من دخول هذه

المتاجر الروسية، وهي كثيرة ومفتوحة رغم كون اليوم هو الأحد، هو أنها فقيرة في كل ما هو من الترف وزائد عن ضروريات الحياة، أما ما كان ضرورياً، أو قريباً من الضروري فإنه موجود، ولكنه ليس رخيص الثمن، وذلك له فائدة اقتصادية وقومية مهمة، وهو الحد من استهلاك السلع المتعلقة بالخدمات التي لا يمكن الاستغناء عنها، وليس الأمر كما هو عليه في بعض البلدان الفقيرة التي تستهلك ما تملكه من مال في وسائل الترف، والبضائع الاستهلاكية التي يمكن الاستغناء عنها، أو التعويض عنها بأرخص منها.

كما لاحظت في متاجر هذه المدينة التي هي مدينة سياحية، أي مفتوحة للسياح، أنك تجد في المتجر من يحسن الكلام الإنكليزية، أو يعرف طرقاً منها، على خلاف غيرها من المدن الروسية الداخلية التي لا تكاد تجد فيها من يعرف شيئاً من الإنكليزية.

### طابور (الإسكندرية) :

ذهبت مع زميلي الشيخ سالم بن عبد الله السالم بعد جولة المتاجر في جولة في الشوارع للتفرج برؤية هذه المدينة التي سنفادرها الليلة، فشاهدنا من بين ما شاهدناه (طابوراً) أي صفاً طويلاً من المنتظرين أمام أحد محلات الصغيرة، وكانت في ذهني صورة للصفوف الطويلة التي كانت موجودة بأن أكثرها من ربات البيوت في روسيا حسبما كنا نقرأ في الصحف والمكتب، وتكون أمام المخابز ومحلات بيع الأطعمة.

وقد عرفت أن تلك الصفوف أو (الطاواير) التي تكون أمام محلات بيع الأغذية قد اختفت الآن من الاتحاد السوفييتي، وذلك لوفرة الأطعمة والسلع الضرورية فيها.

ولذلك استغربت هذا الصف الطويل المتعرج أمام محل صغير، فعرفت بعد استجلاء الأمر أنها أمام محل لبيع المثلجات التي هي خاصة هنا

باليسكريم، وذلك لكون هذه المادة غير ضرورية، وهي لا تتوفر بكثرة.

ولاحظ زميلي الشيخ سالم بن عبد الله السالم كثرة الزحام من المشاة في الشوارع حتى كانت الأرصفة تمتلئ بهم، وأكثراهم يلاحظ المرء أنهم يسيرون على أقدامهم، ويجلسون على المقاعد المخصصة للجلوس في الشوارع التي لا تطرقها السيارات، أو الحدائق من دون أن يلاحظ المرء كثرة في حركة البيع والشراء.

وفتررت هذه الظاهرة بضيق البيوت، وكون السكان في هذا اليوم الذي هو يوم العطلة الأسبوعية، ولا يكون لديهم فيه عمل أنهم يخرجون إلى الشوارع يقضون الأمسيات فيها.

وقد انضم إليهم طوائف من السياح الأجانب الأوروبيين، فكانت الشوارع مزدحمة بالمشاة، والمظهر العام للناس جميعاً سواء أكانوا من السياح أم من أهل البلاد، مع أنه يصعب التفريق بين الطرفين من لوانهم أو ملامحهم، هو الشقرة في الألوان، والزرقة في العيون.

وأما الملابس فإن فيها أناقة ونظافة، ولكن ليس فيها مغalaة ولا ترف ظاهر، ولذلك لملاحظي بينها تناوتاً واضحاً.

والملاحظ هنا كثرة النساء في الشوارع اليوم، ولا أدرى السبب، مع أنه يوم عطلة للجميع، والأداب العامة بينهم في الطريق جيدة، فلا مغارة، أو حتى نظرات حادة للغريب، وإنما هم يكادون يكونون كالأوروبيين من هذه الناحية.

### قبل مغادرة لينين قرأت:

كان العشاء في الفندق في التاسعة هذا المساء هو آخر عشاء في المدينة، وهو في غرفة خاصة بالوفد، ليس لها علاقة بالمطعم، ولا تختلط بالآخرين،

وهي مائدة عامرة يستطيع أي شخص لا يأكل إلا أنواعاً معينة من الطعام أن يجد ما يأكله فيها لتنوعها.

وأهم ما يلفت النظر هنا هو الماء المعدني الذي يقدمونه في الفندق، فطعمه طعم الحديد، وهو شبيه بمياه تخرج عننا من الآبار الارتوازية العميقية، فيه مثل هذا الطعم. وقال لي الإخوة المرافقون: إنه مكتوب على الزجاجة أن في هذا الماء نسبة كبيرة من الحديد.

وقد حضر هذه المأدبة الوداعية عدد إضافي من المسلمين، وبحثت فيها أموراً عامة من أمور المسلمين كانت تشغله بالإخوتنا هنا، منها مثلاً أن الشيخ (على فخرى) رئيس المؤلدين على المسجد، ويريدون بهم الجمعية التي تشرف عليه سأله قائلًا: لماذا لا يتحد المسلمون في وجه الأخطار التي تهددهم، ولماذا يتربكون أعداءهم ينفردون بهم فيظلمونهم قطرأً قطرأً، ولا يكونون يداً واحدة ضدتهم، فيكون هذا رادعاً لمن يريد الاعتداء عليهم؟

إن الإخوة هنا ينظرون إلى تفرق كلمة المسلمين وبخاصة العرب نظرة مستوحاة من حالة الاتحاد السوفييتي المؤلف من عدة قوميات وجنسيات ولغات، بعضها غريب عن بعض، ومتباعدة أيضاً في الواقع، وهم يعجبون من كون العرب لا يتحدون سياسياً، ولا تجتمع كلمتهم على ما فيه نفعهم، مع أنهم أمة واحدة، وبلاد متجاورة، ومصلحتهم في رد الاعتداء واحدة !.

### مقدمة لينين قرداد:

تركنا فندق أوروبا (أوريسكايا) في الحادية عشرة مساء على سيارات الموكب المعادة التي تقدمها السيارة المخصصة لرئيس الوفد، وهي سوداء طويلة رسمية، وقد أخبرونا أنها هي التي تقدم للضيوف الذين هم في رتبة وزير أو رئيس وزراء، كما أخبرنا إخوتنا المسلمين بذلك. وذلك احتفاء من مضيفينا بأول وفد ديني يأتيهم من بلاد الحرمين الشريفين كما قالوا.

وهذا بطبيعة الحال هو شعور إخوتنا المسلمين، أما المسؤولون في الإدارات السوفياتية وهم الذين يحددون مرتبة الاحتفاء بالضيوف الأجانب فإن لهم وجهة نظر أخرى، وهي أنهم يريدون أن تكون لهم علاقات قوية مميزة مع رابطة العالم الإسلامي، حتى يستفيدوا من ذلك في نفي التهمة عن نظامهم بأنه معاد للأديان، وأنه ضد الدين الإسلامي بوجه خاص، إلى جانب ما تقصده الدول العظمى من العلاقات بالدول والهيئات الأجنبية واستثمار ذلك فيما يفيد سياستها، ويحسن سمعتها عند الآخرين.

وصلنا إلى محطة القطار، وجاء الحمالون للأمتعة معهم العربات التي تدفع باليد، وقال الإخوة: إنهم موظفون للدولة لا يستفيدون شيئاً لأنفسهم زائداً عن رواتبهم. وقلت: معنى هذا أننا إذا أعطيناهم شيئاً فإنه سينفعهم ولو علمت الدولة به لم ترض به، بل ربما عاقبت الحمال الذي يقبله.

وسيكون سفرنا بالقطار، وهو الوسيلة التي لم تجربها خلال رحلتنا في الاتحاد السوفييتي، وقال الأخ الشيخ (حلفت تاج الدين): إذا أكملنا رحلتنا هذه بالقطار فإننا نكون قد قطعنا بصحبةكم نحو خمسة عشر ألف كيلومتر داخل هذه البلاد.

أما نحن فقد رحينا بالسفر في القطار لأنه يتيح لنا فرصة تجربة السفر بالقطار الذي كانت له أهمية كبيرة في الماضي في الاتحاد السوفييتي قبل السفر بالطائرات أو السيارات، وكان ذلك واضحاً في الأدب الروسي الفصحي عند كبار الأدباء الروائيين من الروس قبل الشيوعية وفي أول عهدها.

من لينين قرأت إلى موسكو:

تحرك القطار في الموعد المحدد لحركته، وهو الثانية عشرة إلا عشر

دقائق قبل منتصف الليل من دون أن يرسل نفيراً أي صوتاً قوياً كما تفعل بعض القطارات قبيل تحركها، وذلك ثقة من المسؤولين عنه بأن المسافرين يعرفون النظام المتبوع فيه، ويعرفون دقة مواعيده.

وركينا في الدرجة الأولى منه، وهذا أمر عجيب لم نكن نتصوره، وهو أن يكون في القطار درجات متفاوتة حسب ما يدفعه الراكب في الدرجة التي يختارها، لا سيما بعد أن كنا رأينا الطائرات السوفيتية ليس فيها درجة أولى، بل كلها درجة سياحية في جميع الرحلات داخل الاتحاد السوفييتي.

بل الأغرب من ذلك أنها عرفاً أن القطار هذا فيه أربع درجات، وليس ثلثاً أو اثنين كما هو المعاد في أكثر القطارات في العالم.

وهي درجات متفاوتة في الأثاث والراحة والسعة وحتى الخدمة.

والدرجة الأولى التي ركينا فيها لا تقل عن مستوى الدرجة الأولى في قطارات الدول الرأسمالية، فهي نظيفة الأثاث، مجهزة بكل ما يحتاجه الراكب، وفيها سرير مريحة للنوم كما يكون في الدرجة الأولى في القطارات العالمية.

ومع ذلك دهشنا لرخص الأجرة في بعض درجات هذا القطار، فقد أخبرونا أنها في الدرجة الثالثة لا تزيد على خمسة روبلات، وحتى الدرجة الأولى هي أرخص أجرة من السفر بالطائرة على رخص أجور السفر بالطائرات الداخلية.

وركبت في غرفة فيها سريران متقابلان، معى في أحدهما الشيخ (طلعت تاج الدين) وهي تغلق.

وجاؤوا بالشاي، وكانت أظن أنهم يأتون به داخلاً في أجرة الغرفة، وعرفت بذلك أنه بنقود، وليسوا كالصينيين في الصين الشعبية الذين ركينا معهم في الدرجة الأولى في قطاراتهم، وهي أدنى من هذا القطار الروسي

بمراحل، وذكرت قصة السفر في قطار الصين في كتاب: «داخل أسوار الصين».

ولاحظت أن الحمام في الدرجة الأولى جيد جداً، فهو نظيف، وفيه الماء الحار، وأوراق التنظيف كما يكون في مثيلاته في العالم الحر، وهو أحسن من حمامات الطائرات السوفيتية.

ورغم كون السرير في الغرفة مريحاً ومجهزاً بكل ما يحتاجه الراكب من الأغطية والأشياء الأخرى كمصابيح القراءة، ومصابيح الإضاءة المختلفة فيما إذا أراد ذلك، فقد حاولت النوم ولم أستطع إلا إغفاءات متقطعة بسبب الاهتزازات الطبيعية في سير القطار.

ولم يكن في العربية التي شغل أعضاء الوفد المرافقون أكثر غرفاتها أناس كثيرون غرباء لأرى مستوى الركاب ونوعهم فيها.

يوم الإثنين: ١٩ شعبان ١٤٠٦ هـ - ٢٨ إبريل ١٩٨٦ م.

### صباح الريف الروسي:

عندما أسفر الفجر، وقبل أن تطلع الشمس أزاحت ستارة النافذة في القطار فأسفرت عن منظرenic، وهو منظر الريف الروسي الأصيل، لأن هذه المنحلة التي يخترقها القطار هي بلاد روسية حقيقية، وليس كأكثر البلدان التي مررنا بها في هذه الرحلة تسمى (سوفيتية)، وهي من حيث التبعية والائتمار بالأمر الروسية، وإن كانت بلاد قوم آخرين ليسوا من الروس ولم تكن لهم بهم في القديم أية صلة عنصرية ولا ثقافية، فتساءلت عليهم أو على بعضهم روسيا القيصرية، ثم جاءت الثورة الشيوعية وهي بقادتها وتفكييرها ثم نظامها روسية الأصل والمنشأ، وحتى الفرع والاستمرار.

والريف الروسي الأصيل كما رأيته هنا هو بحر من الغابات المتصلة التي اخضر بعض أشجارها، وبعضها لم يحضر بعد.

ولم أر بعد فترة من النظر من نافذة القطار ما يفصل بين هذه الغابات من الأشجار إلا بحيرة ما لبست أن رأيت غيرها عشرات من البحيرات الصغيرة، إما أن تكون من ذوب الثلوج، أو تكون من بقايا الأمطار.

وقال أخي ورفيقه في الغرفة الشيخ طلعت تاج الدين: إن سيبيريا كلها غابات ملتفة مثل هذه الغابات، ولا شك بأنه يقصد بذلك سيبيريا التي يعرفها التاريخ بأنها كانت بلاداً مسلمة أصلها مملكة (سيبير) الإسلامية، التي سميت هذه المنطقة الباردة باسمها، واتسعت التسمية بعد أن احتل الروس مملكة (سيبير) المسلمة، وقضوا على استقلالها، واستمرت كذلك حتى الآن، ومنها مناطق شمالية باردة: بل جليدية اشتهرت ببرودتها وقسوة جوها، حتى جعلوها منفي للمغضوب عليهم من الأفراد والجماعات.

وأشرق الشمس وكان الجو صاحياً في هذا اليوم كما كان صاحياً

في الأيام الثلاثة التي قبله، وكان المنظر بديعاً أن يتمتع المرء منا بجو مشرق ديفه كجو بلادنا في أول الربيع، وبخاصة في منطقة القصيم، وهو في بلاد الثلج والصقيع.

ورأيت الأعشاب الخضر قد بدأت تطل برؤوسها على استحياء، أو لنقل بدأت ترفع رؤوسها المبللة بندى الدفء الأخضر بعد أن كانت وجوهها عابسة يابسة، بل جامدة هامدة.

واستمر القطار في سيره، واستمرت رؤية الغابات الكثيفة، وزادت رؤية مناقع المياه المتخلنة من ذوب الثلوج.

ورأيت بيوتاً ريفية متجمعة في الغابات، فتصورت وجودها في هذا العراء في الشتاء الشاتي عندما تهبط درجة الحرارة، أو لنقل درجة البرودة إلى الثلاثين أو ما دون الثلاثين تحت الصفر، فرثيت لحال أهلها، وحمدت الله تعالى على ما رزقنا من بلاد ديفة حانية لولا أن دقأها يزيد، ويزيد في الصيف حتى ترتفع حرارته إلى ما لا تكاد تطليقه في هذا العصر الذي انغمستنا فيه بالترف بعد أن ودعنا الشطف، فصار الجو الذي كان معتمداً لنا شاقاً علينا، ونسأل الله تعالى حسن العاقبة لنا ولخلفنا من بعدهنا.

وهذه البيوت الريفية الروسية تشبه الأكواخ الخشبية، وهي مسمنة السقوف لكي تنزلق عنها الثلوج والأمطار.

وجاءت خادمة العربية، وهي روسية أصلية ثيلة الجسم، تصف في العمر إلى الكهولة ما هي، فجاءت بالشاي في أكواب نظيفة ويلطف ظاهر على خلاف العادة، وربما كانت قد عرفت أو عُرِفت بأن في هذه العربية قوماً من الضيوف الأجانب يتغذى الاحتفاء بهم.

## على مشارف موسكو:

وصل القطار في سيره الذي يكاد يكون رتيباً حتى إنه كان قليلاً  
الوقنات إلى أبنية ضخمة متعددة الطوابق (عمارات)، تبين أنها العمارت  
السكنية الحكومية المألوفة في المدن الروسية؛ بل في مدن الاتحاد السوفيتي  
كلها، فعرفنا أننا الآن على مشارف العاصمة الروسية موسكو.

وهذا كان الدليل الوحيد، لأن منطقة الغابات كانت استمرت تساير  
القطار ولم تقطع.

وكثرت الأبنية السكنية الضخمة هذه، وأكثرها ذو طلاء أبيض بلون  
الثلج الذي يربى على هذه المنطقة لشهر طويلة.

أو هو كلون الدب الروسي الشهير.

ورأينا في الضواحي مصانع متعددة، وسيارات كبيرة من سيارات القوة،  
وأما سيارات الركوب الصغيرة المترفة فإنها هنا قليل في هذه الساعة من  
الصباح.

وكان الجو دفيناً منذ الصباح، وأخبرني الأخ الشيخ طلعت أنه كان قد  
سمع من الإذاعة البارحة أن درجة الحرارة في موسكو ستكون في هذا اليوم  
ما بين ٢٢ إلى ٢٤ درجة مئوية، وهو أمر غير معتاد في بلادهم في مثل هذا  
الفصل من السنة، إذ لا تصل الحرارة إلى هذه الدرجة إلا في فصل الصيف  
الذي يعتبرونه حاراً، وكانت درجة الحرارة في موسكو عندما وصلنا قبل  
 أسبوعين تقريباً صفراء مئوية.

وأخبرني أيضاً أنه قرأ في جريدة أمس أن درجة الحرارة التي سجلت قبل  
أمس السبت، وهو يوم وصولنا إلى (لينين قراد) كانت مرتفعة إلى درجة لم  
يعرف منذ عشرات السنين أنها وصلت إليها في الارتفاع في شهر إبريل.

ووصلنا موسكو في الثامنة والدقيقة الثانية والعشرين صباحاً أي قبل

الموعد المحدد لوصول القطار في الأصل بدقيقتين اثنتين إلى محطة القطارات  
في موسكو.

وعندما وقف القطار في المحطة تبينا طوله، وعرفنا كثرة المسافرين الذي نزلوا منه، وذلك أن اليوم الإثنين هو أول أيام العمل الأسبوعية، وبعض الناس يخرجون خارج موسكو ليقضوا يوم العطلة الأسبوعية التي هي يوم واحد هو الأحد، ولكن أجور الانتقال رخيصة سواء في داخل المدن السوفيتية، في وسائل المواصلات العامة أو في خارج المدن، والمحطة واسعة كثيرة القطارات، والركاب الذين ينزلون من القطارات أو الذين فيها عددهم كثير جداً.

ووجدنا في الاستقبال في المحطة الفتى الدكتور شمس الدين بن ضياء الدين بابا خانوف رئيس الإدارة الدينية لسلمي وسط آسيا وقازاقستان، فرحب بنا كثيراً، وكنا فارقناه عندما فارقنا مدينة سمرقند في نهاية الرحلة في بلاد بخارى وما وراء النهر، وبدأنا رحلتنا هذه التي بدأت بزيارة باكoo عاصمة جمهورية أذربيجان، وقد ذكرت الحديث عن الرحلة في سمرقند وما قبلها في كتاب: «في بلاد المسلمين المسيحيين: بخارى وما وراء النهر».

وركبنا في الموكب المعتاد من السيارات المعتادة، وحتى الفندق كان هو الفندق الذي نزلنا فيه عند قدومنا إلى موسكو وهو فندق (سوفيتا كايا).

حيث تناولنا طعام الإفطار، واسترخنا قليلاً ثم خرجنا إلى:

### مجلس شؤون الأديان:

وهو أعلى سلطة في الاتحاد السوفييتي مسؤولة عن شؤون الأديان فيه، ورئيس المجلس الذي سنقابله هو برتبة وزير.

وتتجلى أهمية هذا المجلس في كون الاتحاد السوفييتي دولة إلحادية، ولكن الشعب الكبير العدد أكثره كان من المسلمين بديانات مختلفة، فكان على الحزب الشيوعي والحكومة المنبثقة منه أن يجدوا وسيلة للتعامل مع هذه الأديان من أجل إخضاعها للحزب، أو على الأقل من أجل السيطرة عليها، وضمان عدم تأثيرها على الناس إلى درجة قد تصل إلى تحدي الحزب أو النظام.

ومن هنا نفهم مهمة مجلس شؤون الأديان والإدارات المقرعة منه في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي، وقد قدمت أنتا كننا نقابل بممثل لشئون الأديان في عواصم الجمهوريات السوفيتية التي زرناها.

ومن الغريب في بادئ الأمر أن تكون في البلدان الشيوعية الإلحادية التي لا تعترف بالإله الخالق، فضلاً عن أن تسكت عن انتشار الدين، وزارات أو دوائر شبيهة بالوزارات مثل مجلس شؤون الأديان في الاتحاد السوفييتي هذا، ولا تكون مثل هذه الوزارات والإدارات في الدول الغربية التي لا تتبنى الإلحاد مثل دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

ولا شك في أن غرابة الأمر ستزول إذا عرفنا ما ذكرته من أن المقصود من إنشاء هذا المجلس هو السيطرة على الأديان، وملحقة نشاط المسلمين وإخضاعه إذا لم يمكن القضاء عليه كما هو حادث الآن في الاتحاد السوفييتي.

بالنسبة للدين الإسلامي يتعامل مجلس شؤون الأديان مع الإدارات الدينية للمسلمين في الاتحاد السوفييتي، التي تعنى بأمور المسلمين ونشاطهم المحدود والمسموح به، ولكنها لا يقدم لها أية مساعدة مالية، بل العكس هو الصحيح، لأن الإدارات الدينية الإسلامية تقدم في كثير من الأحيان لجهات حكومية، أو هيئات سوفيتية شبه حكومية مبالغ مالية مما يتتوفر لدى الإدارات الدينية من تبرعات المسلمين التي هي عماد الحركة الإسلامية في

الاتحاد السوفييتي.

والاسم الرسمي لهذا المجلس هو: (مجلس شؤون الأديان في رئاسة مجلس الوزراء السوفييتي).

وكان موعد اللقاء برئيس المجلس هذا الصباح في ختام الجولة التي قام بها وفدنا في الاتحاد السوفييتي خارج موسكو.

وقال لنا الشيخ الدكتور شمس الدين بابا خانوف الذي هو همزة الوصل القوية بين الإدارة السوفييتية والوفد: إن المقصود من المقابلة هو معرفة انطباعات الوفد عن زيارته للمساجد والإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي، والبحث معه في الأمور المتعلقة بذلك.

وصلت إلى مقر مجلس شؤون الأديان في مبنى قديم الطراز، ولكنه في حالة جيدة، واستقبلنا عند الباب الخارجي عدد من الموظفين الكبار في المجلس الذين يعرفون العربية جيداً.

ثم تقدمنا إلى مكتب رئيس المجلس الذي هو برتبة وزير، وعمله دقيق وهام، واسمه: (قسطنطين ميخائيلوفتش خارتشوف) الذي استقبلنا عند الباب الخارجي للمكتب مهلياً مرحباً ترحيباً سياسياً ظاهرياً.

وهو مما يظهر من حاله قوي الشخصية، واسع الدهاء، واستقبلنا معه عدد من نوابه ومساعديه.

وفي غرفة الاجتماعات بدأ رئيس المجلس حديثه مرحباً بمقدم وفد الرابطة فقال: باسم قيادة مجلس شؤون الأديان أُعبر لكم عن سرورنا البالغ لزيارتكم بلادنا ومجلسنا في هذا المبني، ولكلكم الشكر العميق.

ثم تحدث عن الأعمال الأساسية في مجلس شؤون الأديان قائلاً: إن مجلس شؤون الأديان مؤسسة تابعة للدولة، تملك صلاحيات حكومية، وتعمل واسطة بين الدولة والمنظمات الدينية، وتعمل على توفير حرية العقيدة، وحرية

كافحة الممارسات الروحية لأي مؤمن، ويقوم المجلس بحماية المساجد والكنائس وكافة أماكن و المجالس العبادة. وصلاتنا عميقه مع المؤسسات والإدارات الدينية، ونرى أن من واجبنا وضمن قدراتنا تفيذ أعمالها النبيه. ويضم المجلس أكثر من ٦٠ موظفًا من القوميات المختلفة، يعملون في خدمة عشرات الملايين من المؤمنين، وحرية الاعتقاد وعدم الاعتقاد، وممارسة شعائر الدين مكفولة بحكم الدستور، ويعلم المجلس على تفيذ تلك القوانين الخاصة بالأديان.

ثم اختتم حديثه بقوله: مرة ثانية أريد أن أعبر لكم عن امتناني التام لكم لإتاحة هذه الفرصة لمقابلتكم والتكلم معكم.

وقد أجبته بالشكر على الاستقبال والترحيب، وتقديم الإيضاحات عن المجلس، ثم قلت: إن الدين الإسلامي بالنسبة لنا ليس مجرد عبادات، وإنما هو دين معاملة وعلاقة وثقافة، وأي بادرة طيبة نحو المسلمين وثقافتهم تسر المسلمين في كل مكان، كما أن الإساءة إلى المسلمين تعكس سلبياتها على المسلمين في أنحاء العالم.

إن المسلمين السوفيات تربطنا بهم علاقة ثقافية منذ ألف أو أكثر من ألف سنة، ونعتقد أن الصلات والتعاون بين الرابطة والإدارات الدينية سيعود بالنفع للMuslimين وشعوب الاتحاد السوفييتي.

وقلت: إن رابطة العالم الإسلامي ليست منظمة حكومية، بل هي منظمة شعبية عالمية، تضم في مجالسها ممثلين ومندوبين من مختلف الشعوب والجماعات الإسلامية في العالم، ومنها مسلمو الاتحاد السوفييتي الذين يمثلهم الدكتور شمس الدين بابا خان، وهو عضو في المجلس الأعلى العالمي للمساجد. والرابطة تتعاون وتعامل مع الجمعيات الإسلامية في العالم، والمسلمون يحصلون على المعلومات عن إخوانهم المسلمين منها. وكانت ترد إلى الرابطة أسئلة واستفسارات عن أحوال المسلمين في الاتحاد السوفييتي، وكنا

نحيبهم بأننا سنخبركم عنهم بعد الزيارة إلى ديارهم، ومشاهدة حياتهم الإسلامية، والآن بعد أن وفقنا الله تعالى إلى هذه الزيارة أصبح لدينا ما يمكن أن نقوله لهم عن إخوانهم المسلمين في الاتحاد السوفييتي.

ولقد سررتنا بصفة خاصة بأن المسلمين يقيمون مساجد حديثة، كما سررتنا بأن كثيراً من المسلمين يحافظون على صلاتهم وتمسكهم بدينهم.

فطلق على كلامي رئيس مجلس شؤون الأديان قوله: هذا اليوم من الأيام المشهودة لنا بأن نستقبل وفداً صديقاً، ولا شك أن الصداقات هي عامل مهم على تطوير العلاقة، وتوطيد السلام العالمي، ونحن مسرورون بهذا اللقاء والاجتماع، ونؤكد لكم بأن التعاون بين الإدارات الدينية الإسلامية السوفيتية ورابطة العالم الإسلامي سيتطور، ومن جانبنا سنبذل أقصى جهدنا في تطوير هذه العلاقة.

كان اللقاء متحفظاً ملثماً بالطابع الرسمي، ومع ذلك كان متلفزاً ومصوراً.

وكان مترجم اللقاء روسياً نحييناً على خلاف العادة واسمها (قريقوري كافالوف)، وكان ماهراً في الترجمة بحيث كان يلاحق ما يتكلم به رئيس المجلس باللغة الروسية يترجمه إلى العربية قبل أن يتم الجملة التي يزيد أن يقولها فيما يخيل لسامعه لسرعة ترجمته. وقلت: ربما كان سبب ذلك أنه يعرف فحوى كلام الرجل.

وقد عجبت من ذلك، وانتظرت ما يفعله بترجمة كلامي من العربية إلى الروسية، فكان أن فعل به مثلاً فعل بكلام رئيسه الروسي.

إذ كان يلاحق الكلمات التي أقولها ويترجمها قبل أن أتم الجملة التي أقولها حتى إذا أتممتها ترجمتها بسرعة عجيبة.

وهي نهاية اللقاء قدمت للرئيس هدايا تذكارية كالتي نقدمها لأمثاله،

ومنها عباءة عربية مقصبة، وساعة يدوية، فقدم إلينا هدية مناسبة منهم، وبخاصة في هذا المقام مقام زيارة وفد أجنبي يقدم لأول مرة إلى مدينة موسكو، وهو كتاب مصور دعائي باللغة الإنجليزية عن مدينة موسكو يظهر ما فيها من أبنية كبيرة، وميادين واسعة، وشوارع متعددة من باب الدعاية والإعلان.

### إلى الكرملين :

كلمة الكرملين معناه: القلعة طبقاً لما أخبرنا به المترجم النابغة (فريكوري كافالوف)، فقد صار مراقباً لنا في جولة في الكرملين هذا الصباح، وإن كنا سمعنا قبل ذلك أنها القصر أو الحصن، وذلك بعد الخروج من مجلس شؤون الأديان مباشرة.



### وقد الرابطة في الساحة الحمراء في موسكو

وقفت سيارة الموكب في ركن من الساحة الحمراء فقال المترجم

قريقروري موضحاً شيئاً كان خافياً على كثير من الناس وأنا منهم من كون هذه التسمية للساحة بالساحة الحمراء هي قديمة من عهد القياصرة، وليس نتاجة للثورة الشيوعية التي اتخذت اللون الأحمر شعاراً لها، وقال: إن معنى الحمراء بالروسية: الجميلة، فهذه الساحة إذاً معناها: الساحة الجميلة.

فقلت: هذا عجيب أن يسمى قوم حمر الألوان الجميل بالأحمر، لأن البيض والحرير في العادة يرون الجمال في اللون الأسمري لكونه اللون النادر عندهم.

(الساحة الحمراء) ساحة معتادة أهم ما فيها هو صدق التسمية بالحمراء إذا نظرنا إلى ما يحيط بها من أبنية قديمة أكثرها أحمر اللون.

وكانت الساحة مليئة بالسائحين الذين ليس بينهم من المواطنين السوفيت إلا عدد قليل يدل على ذلك كون الموجودين يلقط بعضهم لبعض صوراً تذكارية، ويرى بعضهم بعضاً بشوق ما يرى أنه يستحق المشاهدة في هذه الساحة.

أما نحن فإن دليانا ماهر، ويتكلم العربية بطلاقة، وذكر لي أنه تعلم العربية أولاً في الجامعة في موسكو، ثم سافر إلى سوريا ملحقاً بالسفارة السوفيتية هناك، وبقي في سوريا ثلاثة سنين.

وهو يتكلم العربية بلهجة عجيبة أشبه ما تكون بلهجة المثقفين العرب التي تبرأ من اللهجات المحلية، ولكنها لا تصل إلى الفصحي.

وذكر أنه لأول مرة في حياته يترجم لقوم من المملكة العربية السعودية، وأنه لم يجد صعوبة في ترجمة كلامي بدليل أنه كان يلاحق كلماتي فيترجمها حتى قبيل أن أسكنت عند إتمام الجملة.

وذكر أنه درس اللهجات العامية في البلدان العربية التي زارها إلا أنه يعلم أن هناك لغة مشتركة بين المتعلمين في البلدان العربية.

## الكنيسة وقباب المسجد :

بعد التقاط صور تذكارية في الساعة الحمراء للوهد كان من الصعوبة فيها عدم مرور أناس بين المصور ومن يريد أن يصوّرهم، وإلقاء نظرة عامة على هذه الساحة سرنا مع (قريقوري كافالوف) جهة كنيسة مشرفة القباب والأبراج، وهي من أهم المعالم السياحية الواقعة على هذه الساحة الحمراء.



### تذكارية في الميدان الأحمر لوفد الرابطة

### وفي أقصى الصورة كنيسة فاسيلي

وقال (قريقوري) وقد سكت المرافقون الذين كانوا كلهم معنا، وكلهم يعرف العربية، إذ الوهد الإعلامي المرافق المؤلف من خمسة أشخاص قد تركنا عندما ترکنا مجلس شؤون الأديان، قال: هذه الكنيسة مهمة هنا، وتسمى كنيسة القديس باسيلوس، أُسست في عام 1052م.

وقد لاحظت أن قباب الكنيسة وأبراجها فيها شيء عظيم بقباب

المساجد التي تبني على الطريقة المغولية، فسألت المترجم قريقوري وهو مثقف مطلع عن السبب في ذلك فذكر أنه لا يعرف سببه.

ثم عرفت السبب بعد ذلك وهو أن القيسير الروسي المعروف ببيان الرهيب عندما احتل مدينة قازان عاصمة الدولة المسلمة التي كانت تążع الروس وتقاتلهم، بل استمرت على قهرهم مئات من السنين هدم مسجدها الجامع، وبنى هذه الكنيسة في هذا المكان جاعلاً قبابها وأبراجها على هيئة قباب (جامع قازان) الذي هدمه.

وريما كان (قريقوري) يعرف هذا الأمر ولكنه لا يريد أن يذكره. وأياً كان الأمر فإنه ذكر أن الذين بنوا هذه الكنيسة للقيصر هم إيطاليون وأن طراز البناء روماني، وإن كانت القباب والأبراج مغولية المظهر. وقبابها وأبراجها مطلية بطلاء ذهبي لامع، لا شك في أنهم يتعهدون تجديده وطلاءه باستمرار ليبدو جميلاً منسجماً مع الأبنية المعتنی بها حول هذه الساحة، لأن القوم وإن كانوا شيوعيين ملحدين فإنهم يعتبرون هذه الكنيسة وأمثالها من الآثار الهمة التي تؤلف معالم سياحية ثمينة بالنسبة إليهم.

### عند قبر لينين:

عندما كنا في الأردن نستعد للسفر إلى موسكو قال لنا أحد إخواننا الكبار هناك: إنكم يجب أن تخبروا مضيفيكم المسلمين أنكم لا ترغبون في زيارة ضريح لينين، لأنهم في العادة يجعلون دخول الضريح جزءاً من البرنامج، ويصورون ذلك، ويبثونه في التلفاز، ويطلبون في العادة من الضيوف الزائرين أن يضعوا رئيسهم باقة من الزهور على ضريح لينين، وهم الذين يعدون هذه الباقات من الزهور، فإذا كنتم تشعرون أن في هذا الأمر شيئاً من الإحراج بالنسبة إليكم فيجب أن تنتبهوا له من الأول.

وطبيعي أننا لا نود ذلك، فزيارة ضريح لينين الذي هو في الحقيقة المنفذ الأول للنظام الشيوعي لأنه هو الذي طبّقه عملياً على الاتحاد السوفياتي بعد أن كان نظريات مهزوزة، ثم وضع باقة من الزهور أو إكليل من الزهور عليه يعني عند الناس احترامه وتعظيمه، وهذا ما لا نعتقده، بل إننا نحمل ضده من المشاعر، فتحن نكرره، ولو كان اللعن مشروعًا للعناء، لأنه هو الذي ثبت الشيوعية الإلحادية التي حاولت أن تقضى على الإسلام في نفوس إخوتنا المسلمين في هذه البلاد التي تسمى الآن بالاتحاد السوفياتي.



### في ميدان الكرملين في موسكو

وقد التزم الإخوة المضييفون هنا برغبتنا هذه، فلم يضعوا الدخول إلى ضريح لينين في برنامج الزيارة، ولكننا صادفنا جمعاً من الناس قد تجمّهروا بالقرب من باب مكان في هذه الساحة، فقال قريقوري: إنهم تجمعوا من أجل مشاهدة تبديل حراس المدخل الخارجي إلى قبر لينين، لأن لذلك مراسيم يحرص السياح الأجانب على مشاهدتها، ومعلوم أن لينين قد توفي في عام

١٩٢٤م، وأنهم حنطوا جثته، وأبقوها محفوظة في هذا المكان من الكرملين. ووقفنا ننتظر ذلك وسط زحام أناس كانوا قد سبقونا إلى المكان، وأخذوا موافقهم، ولا نقول مقاعدهم، لأن الجميع وقوف أمام الحاجز من القスピان التي ترتفع حوالي المتر، يفصل الممر الذي يمر فيما بينه وبين جدار الضريح ليقفوا أمام المدخل إلى القبر.

والضريح نفسه من الخارج بناء معتاد ذو مظهر حديث لا يوحى بأي شيء، ولما كان موقفنا بعيداً ذهب قريقوري إلى ضابط من ضباط يحيطون النظام فأخبره بأننا ضيوف أجانب، وكان ذلك واضحاً من ملابسنا العربية الكاملة التي كنا نرتديها لكتوتنا خرجنا من اجتماع رسمي في (مجلس شؤون الأديان):

فأخذ الضابط يبعد السياح أمامنا حتى أوقفنا على حاجز القスピان مباشرة.

وبعد قيل ببدأ تبديل الحراس بحيث أقيل أربعة منهم قد اختاروهم من الشبان المديدي القامة، الجميلي المظهر، وقد أليسواهم لباساً عسكرياً زاهياً يبدو غالى الثمن، وهم يقبلون على باب الضريح بنظام عجيب، وحركات عسكرية صارمة موزونة، فيتبخترون في مشيهم، ومشية البخترة هي مشية المتعاظم المتمايل في سيره، وهي مشية مكرورة في الإسلام إلا عندما يسير الرجل إلى قتال الأعداء.

وإذا مد أحدهم يده ببنديقته، مدها بحركة قوية عنيفة، ولكنها موزونة، حتى خطواتهم كانت محسوبة، وهم يضربون الأرض بأذنيه لهم ثقيلة، وبصوت مسموع، وفي لحظة واحدة.

والحقيقة أنني لم أر مثل هذه الحركات العسكرية من قبل، وهي تدل على قوة التدريب العسكري السوفيتي، بل قسوته، وهذا هو ما أراده الذين

نظموا تبديل الحراس أمام السياح في ساعة معينة من نهار كل يوم وهي الثانية عشرة؛ حيث يقصد الناس ذلك المكان لمشاهدة ذلك.

### عرين الشيوعية:

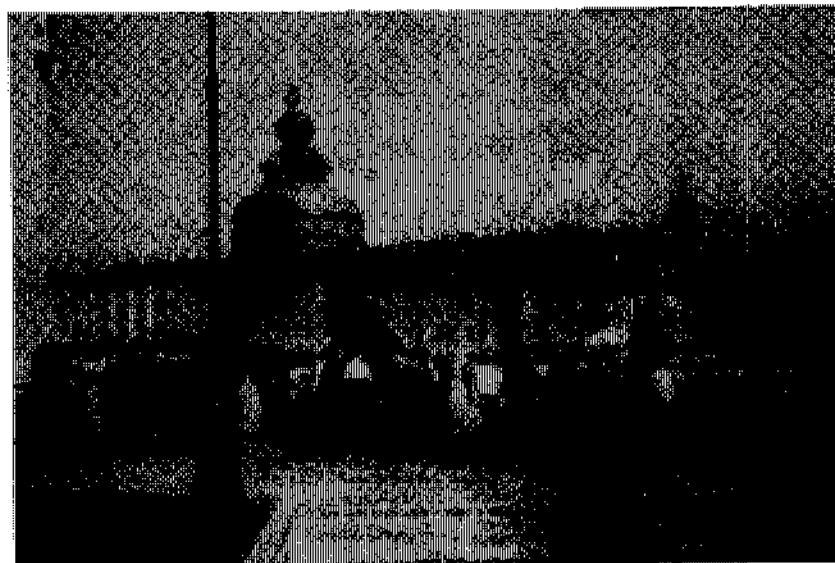
الكرملين هذا هو أحد كنفي الميزان في العالم التي تميل إحداهما، وهي الكفة الأمريكية، فتحرك الأخرى لكي تقيم ذلك الميل. وعلى بعد خطوات من موقعنا هذا تحاك خيوط السياسة السوفيتية، وهي سياسة فيها الكثير من المؤتمرات والدسائس والمحايد، وفيها الكثير من القوة والقصوة.

وللروس أن يفخروا بقوتهم التي حققوها حتى صاروا يملكون أقوى جيش مسلح في العالم إذا نظرنا إلى الأسلحة المعادة من الرجال والطائرات والدبابات والمدافع والسفن الحربية.

وفي السنوات الأخيرة لحق الاتحاد السوفيتي الذي يسيره الروس كما أسلفت بركب التطور العسكري الذي كانت الولايات المتحدة قد سبقته في مضماره، فصار لديه من الصواريخ ذات الرؤوس النووية، ومن التقنية الحربية الحديثة التي لا يعرف إلا القليل منها ما جعل كبار العسكريين الأمريكيين يطلقون صيحات الإنذار بأنه إذا استمر الحال على ما هي عليه فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون متخلفة عن الاتحاد السوفيتي في القوة العسكرية بمراحل.

ونضرب مثلاً على ذلك بما أذاعته الدول الغربية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية التي صرخ رئيسها (ريغان) بأن الاتحاد السوفيتي لديه الآن أكثر من عشرة آلاف عالم جلهم من العلماء الشبان، كلهم متفرغون لتطوير سلاح الصواريخ المضادة للصواريخ.

وهذا بالنسبة إلى فرع واحد من فروع التسلع، أو لنقل من فروع القوة العسكرية، فما بالك بالفروع الأخرى؟



## جرس الكنيسة الكبير في ساحة الكرملين

وهذا كله يتم في الوقت الذي لا يملك الاتحاد السوفييتي من التجارة العالمية ما تملكه الولايات المتحدة، وليست لديه من موارد العملات الأجنبية ما لدى بعض الدول المتوسطة في العالم الغربي فضلاً عن الدول الكبيرة، وإنما فعل ما فعله بتصميمه الذي لا يكفل على أن تكون موارد البلاد كلها مصممة لما يكسب الدولة القوة والمنعة، ولو كان في ذلك حرمان الشعب من الأمور الكمالية، وإهمال المشروعات التسهيلية مثل الطرق السريعة، والمتازل الواسعة، والملابس الجيدة، فضلاً عن تقييد الحريات في السفر خارج البلاد، والتصرف الفردي بالمال والتجارة حتى صار الاتحاد السوفييتي في هذا الحال مثل الدول الناقصة النمو التي تسمى من باب المجاملة بالدول النامية، بل إن مستوى معيشة السكان في الاتحاد السوفييتي هو أقل من بعض البلدان التي

ساعدها الاتحاد السوفييتي مساعدات اقتصادية.

والحاصل أن هذه القوة العسكرية هي على حساب معيشة الشعب  
معيشة طيبة.

### تخليد أساطين الشيوعية:

من عند قبر لينين الذي رأينا باب الدخول إليه، ورأينا كيفية تغيير الحراس حوله انتقلنا سيراً على الأقدام بصحبة المترجم فريقووري الذي أخذ يشرح لنا ما نشاهد في هذه المنطقة المهمة من قلب العاصمة الروسية، وكان يحاول أن يقتصر على ذلك، وأنا أحاول أن أجعله يشرح أشياء أخرى مما لا تراه العين، وإنما ترى مظاهره مما يتعلق بالنظام الشيوعي، وعلاقة عامة الناس من غير الشيوعيين به.

فكان من ذلك قوله في الحديث عن نفسه: إنه غير شيوعي.

وقوله بعد تمنع ومحاولة للهرب من الجواب: إن الموظف الذي يشغل وظيفة مهمة، وهو يكون عادة في الحزب الشيوعي، فإنه لا يستطيع أن يؤدي العبادة في داخل المعبد، فإذا كان مسيحيًا مثلًا لم يستطع أن يدخل الكنيسة لأداء الصلاة، وإذا كان مسلماً لم يستطع أن يؤدي الصلاة في المسجد، وإذا فعل ذلك يكون نصيبيه الفصل من وظيفته، ومن عضوية الحزب، لأنه يكون قد خالف مبدأ أساسياً من مبادئ الحزب الشيوعي وهو الإلحاد الذي ينكر الخالق، وبذلك يعتبر التدين تأخراً وتخلفاً.

فهو يفصل من وظيفته، ويطرد من عضوية الحزب بسند قانوني.

ولما أبديت له أن كثيراً من الناس في خارج الاتحاد السوفييتي يعتقدون أن معظم سكان الاتحاد السوفييتي هم من الشيوعيين استذكر ذلك وقال: كيف يكون ذلك، والحزب الشيوعي نفسه قد أعلن خلال آخر مؤتمر عقده

وهو المؤتمر السابع والعشرون أن عدد أعضاء الحزب ثمانية عشر مليوناً لأن الحزب الشيوعي نفسه يقول بهذا الإحصاء إن ما معناه أن هناك قرابة مائتين وستين مليوناً من المواطنين السوفيت ليسوا شيوعيين.

وغمي عن القول إنه لا بد أن يكون هناك طوائف من الناس غير أعضاء في الحزب الشيوعي، ولكنهم متاثرون بالمبادئ الشيوعية بسبب وقوعهم تحت تأثير دعاية شيوعية مكثفة ومستمرة.

وفي ركن من الساحة الحمراء رأينا جرساً ضخماً على هيئة الخيمة الضخمة من الحديد، وهو موضوع على الأرض ذكروا أن علوه خمسة أمتار وزنه مائتا طن.

تركنا الساحة الحمراء نتمشى في هذه المنطقة المهمة، فسرنا بجانب شارع رئيسى اسمه شارع ماركس، وكارل ماركس هو أحد أساطين الشيوعية الذين قعدوا قواعدها، وبينوا كيفية تطبيقها، وكتابه (رأس المال) يعتبر من أناجيل الشيوعية.

وهذا الشارع واسع لا يكاد المرء يفرق بينه وبين الشوارع المهمة في المدن الغربية أي ذات الاقتصاد الحر، إلا أنه ليس فاخراً، فهناك شوارع تمثله، وربما تفوقه اتساعاً وتتنظيماً، ومن ناحية الأبنية الجميلة الشائقة التي تقع عليها في دول معتبرة من دول العالم الثالث كالارجنتين والبرازيل في أمريكا الجنوبية، وكوريا الجنوبية من الدول الآسيوية.

ورأينا شارعاً مهماً آخر اعترض شارع ماركس وهو شارع جوركى، وتقع عليه بلدية مدينة موسكو، وهي ذات طلاء أحمر يتناسب مع ما هو معروف من تفضيل الثورة الشيوعية اللون الأحمر وإن لم يكن كل ما في الشارع من الأبنية أحمر اللون.

## **قبر الجندي المجهول:**

ملنا عائدين إلى جهة الكرملين، فرأينا عند أسواره رمزاً لقبر الجندي المجهول، وقد احتفوا به احتفاء زائداً، وكتبوا عليه العبارة التالية: "اسمه المجهول، ولكن مأثرتك خالدة".

والجندي المجهول في بلاد خاirst الحرب العالمية ضد ألمانيا، وقتل من أبنائها في تلك الحرب عدد كبير، أمر له مغزاه، فقد فقد كثير من الرجال المحاربين، ولم تعرف أماكن وفياتهم ولا تواريختها، بل لا يدرى عنهم شيء إلا كونهم قد ماتوا في الحرب.

ثم رأيناهم أوقدوا ناراً بالقرب منه دائمة الاتقاد رمزاً على دوام الاحتفاء به، وعرفنا أنها توقد من خزان مجاور لها خفي من الغاز، وليس من الحطب مثلأً.

## **والمدن البطلة:**

من عادة الاتحاد السوفييتي في ظل الشيوعية أن يعطى من يقومون بعمل جليل أوسمة ونياشين مختلفة بدلاً مما يفعل غيره من الأقطار في إعطاء الأشياء المادية.

ويسمى من يقوم بعمل جليل بطلاً، أو بطل الاتحاد السوفييتي على تفاوت في مقدار ذلك العمل ونوعه، فمثلاً الأم التي تلد عشرة من الأولاد تحصل على لقب بطلة الاتحاد السوفييتي، وقد استفاد المسلمون أكثر من غيرهم من هذه المزية، فرأيناهم في طشقند قد نوهوا بأن في جمهورية أوزبكستان، وهي من مواطن المسلمين، مائة ألف بطلة، أي مائة ألف امرأة ولدت كل واحدة منهن عشرة أولاد، على حين كون الكفار لا يخلفون إلا قليلاً من الولد.

ومن البطولة التي سجلوها هنا أنهم أقاموا في هذه المنحلقة التي هي حديقة تحف بسور الكرملين نصباً يشبه التابوت من الرخام الأحمر نقشوا عليه أسماء المدن البطلة، أي إلى التي حازت على لقب البطولة في الاتحاد السوفييتي.

وتجولنا بعد ذلك في حديقة الكرملين، وقد أخذتأشجارها بالاخضرار، وصارت أوراقها تطل برؤوسها الدقيقة تلمس الدفء في شمس الربيع.

ويجانب حديقة الكرملين تقع جامعة موسكو القديمة.

وقد علق قريقوري على ذلك بقوله: إنني تعلمت في هذه الجامعة اللغة العربية، قال: وعدد طلابها ستة وثلاثون ألف طالب، وفيها أقسام جديدة تقع خارج هذه المنحلقة التاريخية التي ضاقت بها.

ثم دخلنا الكرملين مع بوابة تدخل منها السيارات، ولا يمنع من دخولها أحد، لأنها توصل إلى الساحة الخارجية للكرملين.

أما الأبنية الداخلية فإن أكثرها لا يدخل إليه إلا بإذن لأهميته، ومن ذلك مجلس السوفيت الأعلى الذي هو أعلى سلطة في الاتحاد السوفييتي، ومقر مجلس الوزراء وقصر المؤتمرات، وأكثر هذه الأبنية قديمة، بل تاريخية مثل مجمع الكنائس، وفي الكرملين أكثر من كنيسة، ومنها كنيسة لمن يسمونه (إيمانويل) الملائكة، وفيها مقبرة القياصرة قبل أن ينقلوا عاصمتهم من موسكو إلى لينينград.

ثم قسم تاريخي يسمى قسم الحرير في القصر القيصري، ويرج إيفان الكبير، ومعناه يوحنا الكبير، وهو يحيى بلغتنا، ينطقونه بلغتهم (إيفان)، ويسمون به كثيراً، ومن أشهر من سموا به (إيفان الرهيب).

ووقفنا حلويلاً عند جرس ضخم ذكروا أنه استمر صنعه لسنوات لكي

يرفع إلى مكانه في إحدى كنائس الكرملين، غير أنه لم يرفع لصعوبة ذلك في ذلك العهد. ثم جاءت الشيوعية وأبقيته في مكانه من ساحة الكرملين، لأنها رفعت بديلاً عنه وأمثاله شعار المطرقة والمنجل.

وعند مدخل من المداخل إلى أحد القصور في داخل ساحة الكرملين رأينا مدفناً ضخماً قديماً، بل هائل الضخامة، وقد أخبرونا أن وزنه يبلغ أربعين طناً، وكفت طننته عندما رأيته يزن أكثر من ذلك.

### شهد نصر الإسلام:

بعد هذه الجولة في هذه البقعة التاريخية المهمة التي اكتسبت أهميتها من قدمها، ثم من أهميتها وتأثيرها في شؤون العالم في الأزمنة الحديثة، بل صارت في عهد الشيوعية الروسية مقر إحدى القوتين العظيمتين في العالم يجدر بنا أن نقول: إن منطقة الكرملين هذه كانت قد شهدت مجد الإسلام، بل أمجاده لقرون، فكان لا يعقد فيها لواء الإمارة على موسكو وما حولها، بل وعلى غيرها من أنحاء روسيا التي كانت تتبع موسكو في وقت من الأوقات، إلا بإذن من أمير المسلمين في قازان، وهو الذي كان يسمى الخان بمعنى الملك أحياناً، وأحياناً كان يسمى بالسلطان. ولا بد من قراءة مرسوم من سلطان المسلمين بتعيين الحاكم من أولئك الحاكمين على روسيا في ذلك الحين، وكان لا بد لذلك من حضور مندوب وممثلين للسلطان من التatar والبلغاريين المسلمين لتتويج أولئك الأمراء من الروس، لأن الروس لم يكونوا يملكون من أمر بلادهم إلا ما كان السلطان يأذن به، وليس من أموالهم إلا ما فضل من الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى سلاطين المسلمين في قازان، أو غيرها من عواصم المنطقة في البلاد المسماة المجاورة: بلاد البلغار والتatar.

وهذا أمر معروف مشهور في التواريخ، وليس كتابنا هذا كتاب تاريخ حتى نسطر فيه الشواهد التاريخية الصادقة على ذلك، وإنما نكتفي بإيراد

نص من كتاب لأحد المؤرخين القازانيين في أخبار البلغار والتنار، قال وقد سمي الكرملين (الكريملة):

«وكان خان أوردو الكبير أحمد في تلك الأشأء يعد خاناً كبيراً، وكانت الروسية أيضاً معترفة بذلك، وكانت تؤديه الخراج كما في السابق، ومنى جاء أحد من طرف الخان إلى موسكو كان الكيناز الأعظم يستقبله من خارج موسكو، وكانوا يفرضون لمن يقرأ فرمان الخان، والكيناز الأعظم وأمراؤه يسمعونه جاثين على ركبهم، وكان في وسط دار إمارة الروس المسمة عندهم (بكريملة) دائرة مخصوصة لـأموري الخان، ويقيم فيها سنير الخان والباشقاق يعني عامله، وكثير من المأمورين، وكانوا بهذا السبب واقفين على أسرار الروسية وحركاتهم وسكناتهم، وكانت تلك الحالة لا تلائم طبع صوفية زوجة الكيناز إيوان لكونها من سلالة قيصر الروم، فقالت يوماً لزوجها إيوان: إلى متى أستمر أنا جارية للتنار، لا أحب أن تخدم التنار بعد ذلك، وأن تحترمهم هذا الاحترام، وكانت تريد دائماً أن تخلص الروسية من رقبة التنار، وكانت ذات حيلة وخدعة، فمن حيلتها أنها كتبت إلى زوجة أحمد خان كتاباً تقول فيه: إنني أمرت في رؤيائي أن أبني معبداً في الدائرة المختصة بـأموري الخان في كريملة، فأرجو من مرحمتكم أن ينقل حضرة الخان هذه الدائرة إلى محل آخر، ويسأدن لي في بناء معبد في محلها من كريملة، وأرسلته مع واحد من أخصائهما بهدايا عظيمة، فصار رجاؤها هذا مقبولاً لدى الخان، وأرسل منشوراً مشتملاً على الإذن بذلك، فأخذروا مأموري الخان من كريملة إلى محل آخر، وبنوا في دائرتهم من كريملة كنيسة، وسموها بـكنيسة إسباس، فكانوا بعد ذلك لا يتذرون مأموري الخان يدخلون دار الإمارة، فصارت التنار بهذا السبب لا يقرون على أسرار الروسية، وعينوا لاستقبال من يجيء من طرف الخان مأمورين مخصوصين، وعينوا لنزولهم وقراءة فرمان الخان محلًا مخصوصاً خارج دار الإمارة، وكان

ذلك من نقصان تدبير الخان المذكور، وكانت الروسية تتدرج هكذا في التخلص من سلاسل رقية التتار قديماً فقدمأً، وكانت التتار أيضاً مواطنين على إرسال تلك السلاسل وإدخالها.

قلت: كيف لا يرسلونه بعد أن انضمت إلى الدب المسلسل جم غفير من جنسهم، وصاروا يهجمون عليهم معه من كل جانب، نعم، «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مُرْدَلَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالْ». ويقال لهذا انعكاس الأمر وانقلابه، فإن الروسية كانت قبيل هذا بمدة يسيرة على ما كانت عليه التتار الآن من تفرق الكلمة، وتشتت الآراء والمقاصد والشقاق والنفاق، وكان المؤرخ الروسي كارامزين يتأسف على ذلك ويقول: إن هذا من صنيع التتار وخدعتهم، وإنهم يجهدون في تسليط الروس على الروس كما مر عنده، نعم كانوا يفعلون ذلك حين كان باب الإقبال مفتوحاً لهم، ولما أغلق باب الإقبال دونهم، وفتح للروسية انعكاس الأمر، فسيحان من أقام العباد على ما أراد، وهو الفعال لما يريد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، «وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا فَعَلَهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ» إلا ترى ما قاله المؤرخ المذكور بعد ذلك، قال: وعلى كل حال كان اطمئنان قلب الكيناز إيوان من جهة التتار في ازدياد دائمًا لعلمه ويفينه أن خوانين التتار سينقرضون عن قريب انقراضًا كلياً بسبب محاربة بعضهم ببعضًا، ولذا أمسك يده عن محاربتهم، وصار يداريهم بتأدية الخراج لهم، وإرسال الهدايا إليهم لتخليم أموره، وتحسين أحواله بالراحة والاطمئنان، وكان في سنة ١٥٧٥ م مصادفة سنة ١٨٧٩ هـ يقرأ فرمان الخان في موسكو، وكان سفير الخان مرزا قراجق أيضًا فيها مع ستمائة نفر من عسكر التتار، وكان سفير الكيناز أيضًا عند الخان، وفي السنة المذكورة كان ٣٢٠٠ من تجار التتار مشغولين في الروسية بالتجارة، وكانوا جاؤوها بأربعين ألفاً من خيل آسيا، وفي سنة ١٥٧٩ رجع سفير الكيناز إيوان لازاريق من الأردو الكبير، وأخبره يأن احمد خان أرسل تريويزان سفير ونيستان إلى إيطاليا بحراً، ولم يزد أن يحارب عثماني، ا.هـ.

قلت: يفهم من هذا أن مجيء هذا السفير من طرف قرال إيطاليا إنما هو لدعوة أحمد خان إلى محاربة عثماني، وإنه لم يجده إلى ذلك، وقد ناسب هنا أن ننتخب ما أطرب فيه السيد محمد رضا أفندي في السبع السيارات في بيان ماجريات أحمد خان مع مكلي كراي خان لكونه ملتقياً ما ذكره كaramzien في بعض النقط، ومفارقاً إياه في بعض آخر منها ليكون المطالع على البصيرة<sup>٣</sup>. انتهى كلامه.

ومما يجدر ذكره أن مدينة موسكو التي تكرر لفظها (مسكوا) بآلف بعد الميم هي قديمة العمارة، يرجع تاريخها لأكثر قليلاً من ثمانية قرون. ثم عدنا إلى فندقنا الكبير (سوفيتكايا)، وهو فندق ضخم قديم، وكان في زمن ستالين طاغية الشيوعية في روسيا من أهم الفنادق، فكان ينزل فيه ضيوفه الأثرياء لديهم، مع أنه في أثاثه وريشه ومرافقه لا يصل إلى هذه الدرجة بمقاييس الأبنية الفخمة الموجودة الآن في أنحاء العالم.

وتكرر هنا ما رأيناه في المرة الأولى التي نزلنا فيها هذا الفندق عند قدومنا إلى موسكو وكانا قضينا فيه ليلة واحدة، وهو أن الموظفة الموجودة في مكتب في الطابق الذي تقع فيه غرفتي لا تحسن الإنكليزية، فكانت لديها خارطة لغرف كلها التي في الطابق مكتوبًا عليها أرقامها، فإذا أردت منتاج غرفتك أبرزت لك الموظفة الخارطة عليها أسماء الغرف، فتشير إلى رقم غرفتك، فتعطيك الموظفة مفتاحها بدون أن تحتاج إلى أن تتكلم معها.

وعلى ذكر الأرقام أقول إنهم يستعملون الأرقام التي يسميها الأوروبيون بالأرقام العربية، ويسميها عوام المتعلمين من بني قومنا العرب بالأرقام الإفرنجية. وكذلك رأيت الناس في الصين واليابان وكوريا وتايلند وكلها ذات لغات تختلف حروفها عن الحروف اللاتينية، ولكنهم لا يستعملون للأرقام غير هذه الأرقام العربية.

## إلى جامع موسكو:

لم تلبث طويلاً في الفندق، وإنما كان ذلك يقدر ما توضأنا، وكانت الساعة تقارب الثانية ظهراً، فخرج الموكب قاصداً (جامع موسكو).  
وعندما وصلت إليه سررت بمظهره الجميل على البعد، فهو ذو قيمة بهيجة المنظر، ويقع وسط حديقة واسعة من الأشجار، لذلك يرى منها على بعد.



## ينصتون إلى كلمة المؤلف في جامع موسكو

وعجبت من إبرازه بهذه الصفة، وبخاصة كون المنطقة التي تليه خالية من البناء، وليس فيها إلا هذه الأشجار التي هي بهيجة المنظر، وقد بدأت مواضع الأوراق منها بالابتسام للربيع، فعرفت السبب بعد ذلك، وهو أن المسجد واقع بجانب قسم من منشآت رياضية، قد أعدها القوم للألعاب الأولمبية العالمية التي أقيمت في موسكو، وقاطعتها فرق رياضية كبيرة بسبب

تدخل الروس في أفغانستان، وإرسال جيوشهم لاحتلاله.

وكان المسجد قبل ذلك محاطاً بثكنات عسكرية تشوّه من منظر المنطقة المحيطة به، فازالوا تلك الثكنات، وأبقو الأشجار التي كانت نامية بينها، وجددوا طلاءه ليتناسب مع المظهر الجميل للمنشآت الرياضية الحديثة، ومن أهمها ظهوراً مسبح عاليٌ كبير.

وقد صدوا من ذلك أيضاً أمراً دعائياً، وذلك أن هناك فرقاً رياضية كبيرة من أبناء المسلمين، ويصرّهم أن يروا المسجد الجامع بقبته ومنارته ظاهراً واضحاً ذا مظهر جميل، وحتى بالنسبة إلى غير المسلمين فإن ظهور (جامع موسكو) بهذه الصفة يعطي الانطباع بأن الروس لا يغطّون الأقليات العددية حقوقها، ومنهم المسلمين.

استقبلنا عند الباب الخارجي للمسجد إماماً المسجد، وهما اثنان: الشيخ أحمد جان مصطفى، وعمره ٨٢ سنة، ونائبه، وهو إمام يصلّي أحياناً حتى في حضوره الشيخ رضا الدين بصيري، وعمره ٦٩ سنة، ومعهما جماعة من المسلمين المسؤولين عن المسجد وغيرهم.

وكان وقت الصلاة قد حان إذ ذكروا أنه يحين في الثانية والربع بالتوقيت الصيفي لمدينة موسكو، وهو توقيتها الحالي، ويقدم ساعة عن توقيت المملكة، أما توقيت موسكو المعتمد فإنه مساوٍ لتوقيت المملكة العربية السعودية.

فدخلنا إلى المسجد حيث وجدنا جمعاً حاشداً من المسلمين أقدر عددهم بستمائة شخص معظمهم إن لم يكونوا كلهم من المتقدمين في السن، ولم آر بينهم من الشبان، أو حتى من هم من الرجال، أو في أعمارهم أحداً كالذين رأيناهم في داغستان مثلاً.

ومع ذلك بدأ حفل خطابي بعد أداء ركعتي التحية للمسجد، فتقدم

الشيخ (أحمد جان مصطفى) وقدمني لإخوة المسلمين، وقال: إن الوفد الذي يرأسه الشيخ قد زار عدداً من المدن السوفيتية، والتقي بإخوة المسلمين هناك قبل وصوله إليكم.

ثم ألقى الكلمة المكتوبة التالية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الضيوف الكرام من رابطة العالم الإسلامي، أحبيكم أجمل تحية، وأتمنى لكم طيب الإقامة في العاصمة السوفيتية موسكو، وأرحب بكم نيابة عن مسلمي العاصمة، وأصالة عن نفسي.

يا رسول الأرض المقدسة، ويا أحفاد الرسول الأعظم، إننا نبتهج دوماً بلقاءاتنا مع إخوتنا بالدين من الأرض المباركة، من الأصقاع التي أنجبت خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ.

قديماً قال شاعر عربي:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا  
نحن الضيوف وأنت رب المنزل  
وها أنتم بين أهلكم وإخوانكم، يا من نورتم ديارنا بقدومكم.

أيها الإخوة الأعزاء، لقد أوصانا الله تعالى بالبر والتقوى وعمر قلوبنا بالرحمة والمودة، وأننا على دربه سائرون، وأننا بحبه مستمسكون، وأننا بدينه واثقون إن المسلمين بأشد الحاجة الآن إلى توحيد صفوفهم، ولم شملهم، وتوطيد مواقعهم لكي يتمكنوا من الوقوف بوجه أعداء الإسلام والمسلمين من إمبراليين وصهيونيين وعنصريين، هؤلاء الذين دنسوا مدينة القدس والمسجد الأقصى، وشردوا الشعب الفلسطيني من دياره ووطنه، ويحاولون قتله

في المنفى، وكما اعتدوا على لبنان ومزقوه، فإنهم يعتدون الآن على ليبيا الشقيقة، فقد قتلوا الأطفال والشيوخ والنساء في قصفهم الوحشي على ليبيا. وقد بلغت بهم الوقاحة باتهام الشعوب العربية التي لا ترکع لهم بالإرهاب، وهم من أكبر الإرهابيين في العالم. لعنة الله على الصهيونيين والإمبراليين والعنزيين أعداء السلام والإسلام، أعداء البشرية.

أيها الإخوان الأعزاء، إن المسلمين السوفيت مثل كل أبناء الشعب السوفييتي، يناضلون من أجل إقامة سلام عادل بين الشعوب، وتحويل المنجزات العلمية لخدمة الإنسان الذي خلقه الباري وَجَعَلَ لِكُوْنَ سَعِيدًا مَرْفَهًا حَرًّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلِيَنْعَمْ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ.

لكن أعداء الإسلام والسلام يعبثون في العالم، ويعتدون على الشعوب الضعيفة، ويسلبون خيراتها، ويحوّلون أهلها إلى عبيد، وهذا ضد إرادة الله وَرَسُولِهِ.

أيها الأئمة الكرام، لقد زرتم بلادنا، ورأيتم كيف يعيش وكيف يعمل المسلمون السوفيت/ وهذا هو واقع حياة المسلمين، وإننا نقرن العبادة بالعمل المثمر لأجل ازدهار بلادنا الواسعة، ورفاهية شعبنا المتعدد القوميات، وإعلاء شأنه في العالم من أجل توطيد السلام في العالم، وإشاعة روح العدالة الاجتماعية، والصداقة بين الشعوب.

إننا نخرج من أعماق قلوبنا عندما نلتقي بإخواننا من بلدان العالم الإسلامي، وبخاصة من البلدان العربية، لأن هذه اللقاءات تجعل قلوبنا أقرب، وأهدافنا أوضح، وأمالنا أكبر، وسعادتنا أعظم.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرُو وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ﴾ إن هذه الآية الكريمة هي التي ترسم علاقتنا بالأشقاء، وإننا ندعوا الباري وَجَعَلَ أن يوفقنا لما فيه خير الإسلام والمسلمين. إنه على كل شيء قادر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام: أتمنى لكم يا إخواننا الأجلاء دوام الصحة والعافية، وأن تكرر زيارتكم لديارنا، كما أرجو منكم يا إخواننا الكرام أن تبلغوا إخواننا المسلمين تحيات المسلمين في مدينة موسكو أطيب التمنيات والرفاهية والتقدير.

ثم تكلم الفتى الشيخ تاج الدين مقدماً ومعرفاً بوفد الرابطة وأسماء أعضاء الوفد كلهم وموضحاً أعمال الرابطة ونشاطها لمساعدة المسلمين في أنحاء العالم.

ثم تحدثت بعد ذلك شاكراً لحفاوتهم، ومبيناً المسلمين تحيات المسلمين في الحرمين الشريفين والمسلمين في أنحاء العالم، وأثنية على تمسكهم بيديهم، كما أوصيتهم بتعليم ابنائهم أحكام الدين الحنيف وتربيتهم على الإسلام.

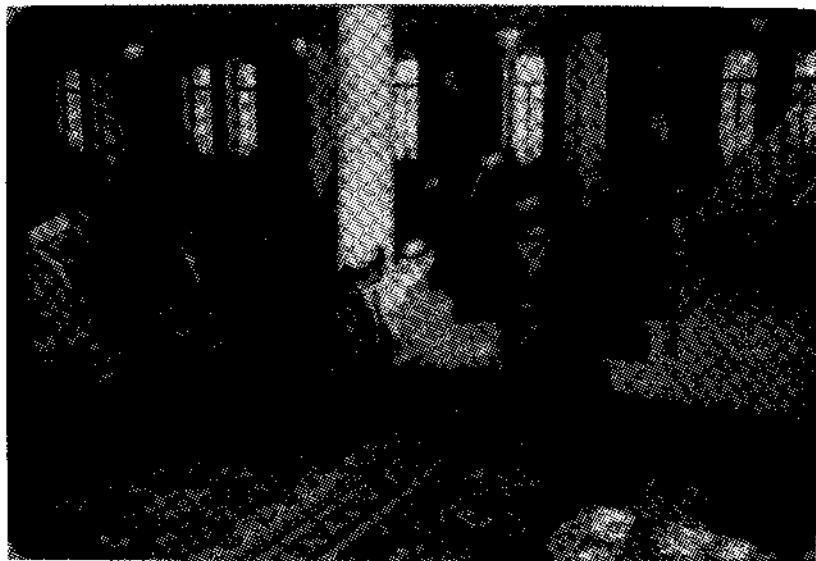
ومن الغريب أن الحديث كله كان باللغة التترية التي ينفهمها من في المسجد إلا رجلين عربيين كانوا حضرا للصلوة.

وبعد أداء صلاة الظهر تقدم المسلمون للسلام على أعضاء الوفد فرداً فرداً.

وكان يظهر على وجوههم التأثر البالغ والفرحة التامة برؤية ومصافحة القادمين إلى بلادهم من الأراضي المقدسة.

ثم كان حديث عن إنشاء جامع موسكو منه قول الإمام: إن تاريخ بناء هذا المسجد يرجع إلى ما قبل ٨٠ سنة عندما اشترى المسلمون أرضه وبنوه عليها، وإن الذي قام على بنائه هو الشيخ صالح الشاشي.

وقد صار الآن صغيراً يضيق بالمصلين رغم كونه من طابقين، صلى علينا الرجال في المسجد الرئيسي، ووصلت النساء في شرفة كبيرة ملحقة به.



## المؤلف يتكلم في جامع موسكو

وأثاث الجامع من الفراش جيد، ورأينا فيه سجادة طويلة من السجاجيد التي صنعتها وزارة الحج والأوقاف لمساجد المملكة، وتهدي منها للمساجد الأخرى في الخارج، ويقولون إن هذه السجادة والتي كانت في جامع لينين قراد جاءتهم من الجمعيات الإسلامية في فنلندا، وقد حصل عليها الإخوة الفنلنديون من المملكة العربية السعودية، وأعطوا النائض منها عن حاجتهم لجامعي لينين قراد وموسكو، ومنها هذه السجادة الطويلة.

ومن عادتهم بعد الصلاة التسبيح والتحميد والتكبير، ثم بعده يدعون دعاء طويلاً يتكون من آيات كريمة من القرآن، وبعد القرآن يتلون: سيحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، ثم دعاء آخر.

وذكرنا أنه يصلى معهم صلاة الجمعة الفنان من المصلين في المتوسط، وتصلي النساء في الطابق الأسفل، والرجال في هذا المصلى الرئيسي وفي الشرفات فوقه.

وذكرنا لنا بأسف شديد أن بعض سفراء الدول الإسلامية لا يشهدون صلاة الجمعة معهم.

ثم انتقل الوفد إلى منزل مجاور يقال إنه لمؤذن الجامع الحاج شامل قانصوار، فتناول طعام الفداء عنده مع بعض المسلمين، منهم: إماماً جامعاً موسكوا، وألقى الإمام الشيخ رضا الدين بصيري كلمة باللغة التatarية مرحباً بوفد الرابطة القادم من الأراضي المقدسة إلى بلادهم لأول مرة في التاريخ، وقال: إننا نحترم هذا الوفد، ونجله لأسباب ثلاثة، وهي أنه ضيف زائر لنا، وثانياً لأنه قادم من أرض الحرميين الشريفين مهبط الوحي ومنبع الإسلام، وثالثاً لأنه عربي. وقد قال الرسول ﷺ: أحبوا العرب لثلاث: لأنني عربي، ولغة القرآن عربي، ولغة أهل الجنة عربي (أو كما قال ﷺ).

ثم تكلم الحاج عثمان ولی عن الاختلافات العربية والإسلامية، وحرب العراق وإيران، وظلم اليهود في فلسطين المحتلة ولبنان، وأخيراً الهجوم الأمريكي على الشعب الليبي بدون ذنب أو جريمة. ودعا إلى أن تقوم رابطة العالم الإسلامي ببذل الجهود لتوحيد صفوف المسلمين، وجمع كلمتهم لصد مكاييد الأعداء، ثم ختم حديثه بأهمية السلام العالمي، ونزع السلاح في توطيد الأمن والرخاء في العالم.

وقد ردت على هذه الكلمة بالشكر والتقدير على مشاعرهما الطيبة، وموضحاً مسامعي الرابطة في خدمة القضايا الإسلامية.

وكان الهجوم الأمريكي على ليبيا الذي استتركته حكومة الاتحاد السوفييتي تذاع أخباره في أجهزة الراديو والتلفاز، وكان المسلمون الذين يتبعون الأخبار متاثرين جداً، ومتأسفين لأوضاع العرب التي مرتقتها الخلافات

الجانبية، كما كانت فرصة لهم لمح سياسة الاتحاد السوفييتي، وذم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو العرب.

وكانت المأدبة كبيرة ممتدة، ذكر لنا أن التي أقامتها هي جمعية المسجد، ولقد عجبت حينما شعرنا بشيء من الحر في موسكو مع أننا في أواخر شهر إبريل، وكنا قبل أسبوعين قد مسنا ببردنا بزمهريره، لأن الحرارة فيها كانت صفراءً مئويةً.

وفي نهاية الحفلة قدموا هدايا تذكارية للوفد، منها أباريق لصنع الشاي مما هو تقليدي عندهم.

ورددت عليهم بإهدائهم هدايا قيمة، منها ما هو لأشخاصهم ساعات يدوية، وتمر من تمر المدينة المنورة، ومصاحف قرآنية كريمة فاخرة الطباعة والتجليد مذهبة الأغلفة، ومنها ما هو للمسجد الجامع من المصاحف وتسجيل القرآن الكريم مع آلة التسجيل.

ثم ودعونا بعد التقاط صور تذكارية عند الفناء الخارجي للمسجد بحفاوة بالغة.

عدنا إلى الفندق مع أحد الشوارع الواسعة من شوارع العاصمة السوفييتية التي تميز بالسعة بالنسبة إلى المدن السوفييتية الأخرى مثلها في ذلك مثل (لينين قراد) التي ناوتها في فترة من الفترات في كونها عاصمة لقيصرية الروسية.

وتغص شوارعها بالسيارات الرسمية التي يبين ذلك من ألوانها، وتكون تابعة للمؤسسات والإدارات الحكومية، وسيارات الركوب الخاصة التي يملكونها الأفراد، وأكثرها من الحجم الصغير الذي هو سيارة (فيات) الإيطالية الصغيرة تصنع في روسيا، أما السيارات الصغيرة المملوكة لمؤسسات الدولة والمؤسسات العامة فإن فيها قدرأً من السيارات التي هي أكبر من ذلك،

وأكثرها من طراز (فولغا).

### المؤتمر الصحفي الكبير:

كان الشيخ الدكتور شمس الدين بابا خانوف رئيس مجلس العلاقات الخارجية للإدارات الدينية يعرف أنني لا أحب المؤتمرات الصحفية في رحلتي هذه، وذلك لثلا أضطر لقول ما لا أريد قوله مجاملة لمضيفينا الذين أظهروا لنا الإكرام والاحترام، أو أضطر إلى قول ما يجرح مشاعرهم. ويتناهى مع ما تفضي به اللياقة من كون الضيف المكرم يرد ذلك الإكرام لمضيفه إهانة، أو ما قد يعتبرونه إهانة، لأن الحقيقة المجردة إذا ما قيلت عن أوضاع المسلمين في الاتحاد السوفييتي فإنها ستغضبهم من دون شك، ونحن لا نخاف من غضبهم، وإنما نخاف من أن نوصم بسوء التقدير للأمور، والعجز عن سلوك الطريق الصحيح الذي لا يقر الروس على ما فعلوا بال المسلمين، وفي الوقت ذاته لا يجرح مشاعر المسلمين، وينافي حقيقة الأوضاع.



في المؤتمر الصحفي الكبير في موسكو

لذلك قال لي الدكتور شمس الدين: إن هناك اجتماعاً سيطرّ على المسؤولين عن الصحافة المحلية، وموعده الساعة السادسة من مساء هذا اليوم.

كان يقول لي ذلك قبل الموعد بنصف ساعة، فلم يكن بد من الاستجابة، لا سيما مع معرفتي بأن الرجل هو إلى جانب كونه رئيس الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان فإن بعض الناس يعتبره أيضاً رجل دولة، وقد أمرت الدولة بانعقاد هذا المؤتمر وحضره مصورو التلفزة، وعدد من كبار رجال الصحافة المحلية والعالمية، ومنهم مراسلون لصحف تصدر في البلدان العربية مثل (الوطن) التي تصدر في الكويت، و(الأنباء) التي تصدر في لبنان وغيرها، ويمثلها مراسلون من البلدان العربية.

إلى جانب مصوريين محليين، ورجال الإدارات الدينية بحيث كان المكتب الذي جرى عليه الحديث طويلاً لا تستوعبه عدسه المصور، وكان الحديث فيه من مكابر للصوت موضوع أمامي على هذا المكتب الطويل.

وقد استمر المؤتمر حتى الساعة الثامنة، وطافت فيه موضوعات عديدة منها ما يتصل مباشرة بجولتنا في الاتحاد السوفييتي، ومنها ما يتناول أموراً من أمور المسلمين، أو الأمور المتعلقة بالدين بصفة عامة، وهذه جاءت من مراسلي الصحف العربية في موسكو، ومنهم مراسل وكالة الأنباء الكويتية.

وكان حديثي بالعربية إذ كان المترجم البارع (قرقيوري) يترجم السؤال إلى العربية، ثم يترجم الجواب أيضاً.

وإذا كان السؤال من الصحفيين العرب وهم يلقونه علي بالعربية فإنه يترجمه إلى الروسية ليفهمه الصحفيون والإعلاميون من الروس، ثم يترجم جوابه إلى الروسية أيضاً.

وهذه بعض الأسئلة والأجوبة مما دار في هذا المؤتمر الصحفي الكبير:

قلت: إن الوفد يقوم بزيارة لمسلمي الاتحاد السوفييتي تلبية لدعوة من الإدارات الدينية لمسلمي الاتحاد السوفييتي، وقد بدأت الزيارة في 15 إبريل ١٩٨٦م، وخلال الأسبوعين الماضيين تجولنا في عدة جمهوريات سوفييتية، وبخاصة في الجمهوريات التي تقطنها أغلبية مسلمة، وإن تخصيص الوفد بزيارة تلك المناطق الإسلامية ناشئ على أساس قدومنا من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية غير حكومية، تهتم بالعلاقات بين المسلمين في أنحاء العالم. ولذلك عندما تلقينا دعوة من الإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي سررنا بها، وليبيناها شاكرين، ونحن نرجو أن تكون هذه الزيارة فاتحة خير في التعاون بين الرابطة والإدارات الدينية، وهو تعاون ثقافي في ميدان الثقافة والدين.

س / كيفرأيتمأحوال المسلمين في تلك الجمهوريات التي زرتهموها؟

ج / لقد أتيح لنا الصلاة مع الإخوة مثل صلاة الجمعة، أو صلاة الظهر في غير أيام الجمعة، وقد استقبلنا المسلمين وغيرهم من المسؤولين بالحفاوة، وكان لاستقبالهم الطيب الأثر الحسن في النفوس، وقد يكون مشجعاً لتكرار الزيارة، وركزنا في زيارتنا على المساجد فوجدنا المساجد التي زرناها جيدة، وعدها محدود، وأرجو أن يكون عدد المساجد التي نزورها في المستقبل أكبر.

مراسل وكالة الأنباء الكويتية في موسكو يسأل:

ما هي مجالات التعاون التي ترونها ممكنة بين مسلمي الاتحاد السوفييتي والمسلمين في العالم؟

ج / كما قلت: إن رابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية، ومجالات التعاون متعددة مع الجمعيات الإسلامية في العالم، منها إرسال الكتب الدينية،

وكذلك تبادل الزيارات، واستضافة الوفود العلمية، كما أن الرابطة قد درجت على إعطاء منح دراسية لدراسة العلوم العربية والإسلامية. وكذلك الدعوة إلى المؤتمرات والدورات التدريبية للأئمة والخطباء في مناطق الأقليات، كما أن الرابطة تقدم المساعدة المالية على إصلاح وترميم المساجد، وبناء المساجد الجديدة، إضافة إلى الاتصالات المتعددة مع المسلمين في العالم.



## بعد المؤتمر الصحفي الكبير في موسكو

مراسل جريدة الوطن الكويتية:

س/ هل يمكن أن تعمل الرابطة مع المسلمين في الاتحاد السوفييتي على استرجاع القدس؟.

ج/ أرى أن على كل مسلم على وجه الأرض أن يعمل على المساعدة في استرجاع القدس.

س / هل زيارتكم خطوة في إعادة العلاقة بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية .<sup>٥</sup>

ج / نحن - كما قلت - من رابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية غير حكومية، والحكومة السعودية تقدم مساعدة مالية لها، كما تساعد الجمعيات الإسلامية الأخرى، ولذلك ليس من صلاحياتنا بحث هذا الموضوع، لأنه خارج عن نطاق زيارتنا.

س / هل وجدتم تجاوباً مع الجهات الإسلامية في تحقيق الأهداف التي تتوخونها .<sup>٦</sup>

ج / زيارتنا كانت في الدرجة الأولى هو للتعاون مع الإدارات الدينية، وقد وجدنا من المسؤولين والإدارات الدينية الترحيب والاستعداد لأن تكون هذه الزيارة فاتحة خير بين الرابطة والإدارات الدينية، والاتصال كان موجوداً من السابق، فالدكتور شمس الدين بابا خان رئيس الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان هو عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

وقد تولد عندي وزملائي بأن هذه الزيارة ستكون فاتحة تعاون وثيق بين الرابطة والإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي.

مراسل إذاعة موسكو:

س / من المستمعين من يوجهون الأسئلة حول أوضاع المسلمين في الاتحاد السوفييتي، ويستفسرون عن صحة ما تنشره الصحف الغربية حول اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفييتي، فما رأيكم في ذلك .<sup>٧</sup>

ج / أتفق مع الأخ الكريم بأن هناك أسئلة كثيرة توجه إلى الرابطة حول المسلمين في الاتحاد السوفييتي، ربما يرجع ذلك لعدم وجود اتصالات كافية مع المسلمين، وسيكون لزيارتانا هذه دور كبير في الإجابة

على كثير من الأسئلة، ونحن نعتقد أن رابطة العالم الإسلامي تكون همة وصل بين المسلمين سواء في الاتحاد السوفييتي أو في غيره.

س / **كيف يتم التعاون في الشؤون الثقافية والعقائدية بين الرابطة والإدارات الدينية؟**

ج / تعلمون بأن هناك ثقافة مشتركة، بل هو تراث ثقافي يرقى إلى أكثر من ألف عام بين المسلمين في الاتحاد السوفييتي والمسلمين في الأقطار الأخرى، ورعاية هذا التراث الثقافي هو مسؤولية الجميع، وفي هذه المرحلة التي تم فيها أول زيارة لوفد من الرابطة، فقد ناقشنا كيف يتم التعاون والعلاقة في المستقبل، ونفعل ذلك من وجود هذا التراث الثقافي الإسلامي ورعايته تفيد الإدارات الدينية السوفيietية والمسلمين في العالم، وهدفنا هو هدف ثقافي خالص.

**وكالة نوفوستي للأنباء:**

س / ما هو موقفكم تجاه المقتراحات السلمية لتخفيض حدة التوتر في العالم؟

ج / كما قلت: إن الرابطة منظمة ثقافية، لا تكون السياسة من أهدافها، ولكن تركز اهتمامها من أجل التعاون مع الجمعيات والمنظمات الإسلامية في ميدان الثقافة والدين.

**إذاعة موسكو:**

س / بصفتكم منظمة إسلامية، ما هو موقفكم من الاعتداء الأمريكي على ليبيا؟

ج / موقفنا هو موقف كل مسلم، وهو استنكار الاعتداء على ليبيا.

س / هل لاحظتم أن ثمة تعاطفاً بين مسلمي الاتحاد السوفييتي مع القضايا الإسلامية، مثل قضية القدس؟

جـ / لقد تحققنا من تعاطفهم، بل فوجئنا باهتمام المسلمين بالقضايا الإسلامية التي تهم المسلمين في العالم، فإن العواطف الإسلامية التي لمسناها قوية، ولكن هذه القضايا لم تطرح للبحث والدراسة.

سـ / قبل توجهكم للاتحاد السوفييتي، كان لديكم انتطاب خاص عن الاتحاد السوفييتي، وبدون شك فإن ذلك الانطباع قد تغير بعد زيارتكم مما كان قبل الزيارة؟

جـ / يقول المثل العربي: "وما رأء كمن سمع" فرأينا أشياء لم نكن نتصورها، ومن ذلك رغبة المسلمين في التعاون في المجال الثقافي، لأنكم تعلمون أن الإسلام يدعو إلى التعاون على الخير، والرابطة يسعدها التعاون مع المسلمين في ميدان الثقافة الإسلامية بدون أن تتدخل في الأمور الداخلية لأي حكومة، وليس لها أغراض سياسية أو نحو ذلك.

سـ / تعرفون أن الآثار الإسلامية، أقصد أماكن العبادة وغيرها في مدينة القدس، أصبحت على شفا هاوية بسبب التهديد الصهيوني، ومحاولات اليهود لهدم المسجد، وثاني لإحراقه، وثالث لادعاء ملكيته، واستفزازات كثيرة لا أول لها ولا آخر، هل بحثتم هذا في الرابطة؟ فإن كان الجواب بالإيجاب فما هي المقررات؟

جـ / أوفق الأخ الكريم على كلامه بأن السلطات اليهودية تعمل بجد لإزالة الأماكن الإسلامية في القدس، ورابطة العالم الإسلامي تتبع ذلك، وتعمل في ميدان صلاحيتها. وفي العام الماضي استقبلت الرابطة السيد ياسر عرفات، وقد تكلم أمام مجلس الرابطة فشرح أحوال المدينة المقدسة، والمسجد الأقصى بصفة خاصة، وقد اتخذت الرابطة الإجراءات اللازمة أولاً بأن يكون هناك صندوق المسجد الأقصى اعتمد له بعض المبالغ، وطلبت له التبرعات، والرابطة تتبع الموضوع من خلال مكتبيها في عمان بالأردن، كما أن الرابطة على اتصال بآلاف

الجمعيات الإسلامية في توعية المسلمين، وإيضاح الأخطار التي تهدد المسجد، كما أنها على اتصال دائم مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة في هذا الموضوع.

س / **كيف يمكنكم التعليق على الخبر الذي يقول: إن المرتزقة الأفغان يقتلون إخوانهم الأفغانيين باسم الجهاد؟**

ج / لا تعليق على هذا الخبر.

س / لقد زرت كثيراً من الدول الإسلامية، وبعض الدول التي فيها أقلية إسلامية، فما رأيكم عن انتشار الإسلام في العالم؟

ج / زرت أكثر البلدان التي فيها أقليات إسلامية، وأخر زيارة قمت بها قبل الاتحاد السوفييتي كانت في جنوب شرق آسيا، شملت الزيارة الجزيرة الجنوبية لنيوزيلندا، وذلك لافتتاح أول مسجد في هذه الجزيرة، لأنه يوجد في الجزيرة الشمالية خمسة مساجد، وأهل هذا المسجد الذي تم افتتاحه يقولون: نحن أقرب من يقول لا إله إلا الله للقطب الجنوبي، لأنها تقع في جنوب تسمانيا في أستراليا. كما زرت بعد نيوزيلندا مملكة تونغا، وهذه المملكة دخلها الإسلام في شهر سبتمبر ١٩٨٣م، وقبل هذا التاريخ لم يكن أحد من أهل البلاد مسلماً، وقد اتخذ المسلمون بيته وجعلاه مسجداً، والرابطة ساعدتهم على استئجاره، وفي جزر فيجي يوجد ٥٦ مسجداً، وفي أول زيارة لي إلى البرازيل عام ١٩٧٠ لم يكن بها إلا مسجد واحد، وقد زرتها أيضاً قبل ثلاثة شهور، فوجدت فيها ٢٦ مسجداً، و١٢ مركزاً إسلامياً، وفي ترينيداد ٩٦ مسجداً، وفي غويانا التي تجاورها ٥٢ مسجداً، وفي سورينام ٥٣ مسجداً، وهذا يسجل الإسلام انتشاره في مناطق وبلدان جديدة في العالم كل عام.

## تصريح للإذاعة العربية في موسكو:

كان أحد العاملين في الإذاعة العربية في موسكو قد اتصل بي هاتفيًا وكلمني بالعربية يريد مني أن أخص هذه الإذاعة بكلمة تذاع منها مناسبة انتهاء زيارتنا للاتحاد السوفييتي.

وقد حضر إلى غرفتي بعد المؤتمر الصحافي فسجلت له كلمة أذاعتها الإذاعة الروسية بالعربية فيما بعد. وقد ألقى أسئلته التي كان يتلوها من ورقة في يده، وكانت أراء يميلها في مسجل معه لأنه ليس لدى وقت أكتب فيه الأجوبة، ولم يكن من عادتي أن ألقى في الإذاعة أو في الخطب كلامة مكتوبة، بل كانت كلماتي كالماء عفوية مرتجلة.

ومن أهم ما سأله عنه بعد أن تحدثت عن الهدف من زيارتنا للاتحاد السوفييتي، وبينت أن الزيارة جاءت استجابة لدعوة تلقتها رابطة العالم الإسلامي من الإدارات الدينية في هذه البلاد، وأن الهدف هو توثيق الصلات الثقافية ما بين رابطة العالم الإسلامي التي هي مؤسسة شعبية عالمية غير حكومية وبين الإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي.

إننا نرجو أن يزيد التعاون في هذا الأمر في المستقبل نتيجة لهذه الزيارة عملاً بقوله تعالى: **﴿وَتَعَاوْنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقُوَى﴾** لأن تعاؤنا نع الإخوة المسلمين في الاتحاد السوفييتي في مجال العلاقات الثقافية هو من الامتثال لما جاء في هذه الآية القرآنية الكريمة، فسأل قائلاً: وما هو انطباعكم عما ترددكم الأوساط الغربية عن اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفييتي؟

فقلت: إننا اطلعنا على أشياء كثيرة ومهمة من أوضاع المسلمين في البلدان السوفييتية، وأعتقد أننا سوف نطلع على أكثر من ذلك في المستقبل عندما تزيد العلاقات الثقافية ما بيننا وبين إخوتنا المسلمين في هذه البلاد، وفي زيادة المعلومات والاطلاع على الحقائق ما نستطيع أن نلقي التعليق الصحيح على أمثال تلك الأقوال.

ثم ذكرت له شكر وفدى على ما لقى من تسهيل وتعاون لإنجاح الزيارة من رجال الإدارة السوفيتية في الجمهوريات والمدن التي زرناها، كما أتنا لن ننسى العواطف الجياشة التي قابلنا بها إخوتنا المسلمين في هذه البلاد، وسوف ننقل ذلك كله لرابطة العالم الإسلامي التي يمثل المسلمون من أنحاء العالم في مجالسها المتعددة.

### حفل وداعي:

أقام مجلس العلاقات الخارجية لإدارات الدينية حفلاً وداعياً لأنه سيكون آخر دعوة للوقد.

وكان ذلك على حفلة عشاء أقيمت في مطعم من أشهر المطاعم الفاخرة في موسكو، ويسمى (مطعم براغا)، أي مطعم براغ التي هي عاصمة جمهورية تشيكوسلوفاكيا، سمي المطعم على اسمها.

وقد حضر الحفل عدد من المسلمين والوقد الإعلامي الذي رافقنا في الرحلة كلها، وبعض العاملين في مجلس شؤون الأديان.

وكانت مائدة جيدة إلا أنها دون الموائد التي كان يقيمها الإخوة المسلمين لوفدنا في البيوت في المدن التي زرناها.

وقد تقدم أحد أعضاء الوفد الإعلامي المرافق، وهو يعرف العربية، فقدم إلى شريطين للتلفاز قائلًا بالعربية: إنهم يا سيدي يتضمنان بعض ما جرى في جولتكم في الاتحاد السوفييتي، يسرني أن أقدمهما هدية متواضعة لكم أرجو أن تقال القبول.

ثم قدم الشيخ الدكتور شمس الدين خلال الحفل أيضًا دفترين مليئين بالصور التي التقطت للوقد في زيارته لبلاد بخارى وما وراء النهر، ووعد بإرسال الصور الأخرى مع وفد الحجاج السوفييت.

## وجلسة المراقبين المسلمين :

وفي الساعة الحادية عشرة كان لي اجتماع بالإخوة المراقبين من المسلمين في غرفتي شكرتهم فيه على ما تجشموه من عناء السفر في مراقبتنا في رحلاتنا هذه، وطلبت منهم العفو عما نكون قد سببناه لهم من تعب خلال الرحلة.

كما شكرت منهم بصفة خاصة الإخوة الذين وقع عليهم عبء الترجمة لنا من العربية إلى اللغات الأخرى وبالعكس، وقدمنا لهم هدايا تذكارية قيمة.

وقد رتبت هذا الاجتماع الذي لم يحضره معي إلا الأخ (رحمه الله بن عناية الله) سكرتير الوفد في هذه الساعة المتأخرة من أجل عدم ما قد يصيّبهم من إحراج في قبول الهدايا منا، ومنها على سبيل المثال ساعات يدوية، وسجادة للصلوة، وعباءات عربية مقصبة، ومصاحف كريمة من طباعة المدينة المنورة كان أكثرهم وهي يتداولونها يقبلونها وذلك لصعوبة الحصول على المصاحف في الاتحاد السوفييتي ولو بالأثمان الغالية، إضافة إلى ما لهذه المصاحف الكريمة التي أعطيناها لهم من أهمية الطباعة في المدينة المنورة، ومن العناية بأغلفتها المذهبة، وكانوا كلهم يسكنون معنا في الفندق نفسه.

## وحديث مجلة إسلامية :

وفي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً كان الأخ الشيخ (عبد الحميد) يسجل معنا حديثاً مطولاً لمجلة (المسلمون في الشرق السوفييتي)، وهي التي تصدر في طشقند بثلاث لغات منها العربية، دار حول الأوضاع الحاضرة في العالم الإسلامي وشؤون ثقافية أخرى، وما ننتظرك أن تكون عليه العلاقات ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارات الدينية لسلمي الاتحاد السوفييتي.

### مقدمة الاتحاد السوفييتي:

تركنا فندق سوفيت كايا الفخم في السادسة والنصف صباحاً قاصدين مطار موسكو، ويبعد المطار عن الفندق اثنين وثلاثين كيلو متراً، وكان المرور في شوارع موسكو في هذه الساعة المبكرة من الصباح خفيفاً، مع أنه حتى في ذروة الازدحام لا يقارن بزحام السيارات في مدن الدول الغربية، أو حتى في مدن العالم النامي، تاهيك عن البلاد التي تتمتع بوفرة في النقود مثل بلادنا والله الحمد.

ومررنا على حدود مدينة موسكو نفسها بحسب عليه عالمة كالصليب، وليس بالصلب، ولكنها من مانعات تقدم الدبابات، وهي التي تكون كالصلب من الحديد القوي يوضع على الأرض.

ذكر الإخوة المرافقون أن هذه النقطة هي التي وصلها الألمان في محاولتهم لاحتلال مدينة موسكو خلال الحرب العالمية الثانية.

ويفي غرفة كبار الزوار حضر رؤساء الإدارات الدينية كلهم، وقد جاء اثنان منهم من أجل توديعنا وهما الدكتور شمس الدين بابا خانوف الذي قدم من طشقند، والشيخ محمود فيشكى من (محج قلعة).

أما الشيخ طلعت تاج الدين، فإنه كان ملزماً طيلة سفرنا في الاتحاد السوفييتي - جزاء الله خيراً - وأما الشيخ (الله شكر باشا زاده) رئيس الإدارة الدينية الرابعة فإنه كان غائباً عن الاتحاد السوفييتي في مؤتمر إسلامي عقد في عمان بالأردن، كما حضر ممثلاً وزارة الأديان الذي كان قد حضر لاستقبالنا عند وصولنا أول مرة وهو يعرف العربية، وكان هذا على مرأى ومسمع من المودعين الروس غير المسلمين.

وغادرنا مطار موسكو على طائرة سوفيتية غادرت مطار (شريمتوف)  
٢) في موسكو في التاسعة وخمس دقائق قاصدة مدينة (وارسو) عاصمة  
بولندا، وأعلنت المضيفة أن المسافة ستكون ساعتين إلا عشر دقائق.

وصلنا بعدها مدينة (وارسو) في التاسعة وخمس دقائق، وذلك لكون  
فارق التوقيت الصيفي لمدينة موسكو وتوقيت وارسو ساعتين.

وقد ذكرت خبر الرحلة إلى بولندا في كتاب خاص بها حافل وعنوانه:

«مع المسلمين البولنديين».

والله أعلم.

# المحتويات

٦٧.....	صباح أوفا .....
٧.....	جولة في مدينة أوفا .....
٧٤.....	روضة الأطفال .....
٧٨.....	حديقة النصر .....
٨٠.....	مع رئيس الجمهورية .....
٨٩.....	آخر صفة .....
٩١.....	في مقر الإدارة الدينية .....
٩٥.....	أول تسجيل للقرآن في سيبيريا .....
٩٧.....	إلى جامع أوفا .....
١٠١.....	الخطابة .....
١٠٣.....	مطعم الجود الأبيض .....
١٠٦.....	معرض المجزات الوطنية .....
١٠٨.....	شجرة الماء .....
١١٣.....	في بيت المفتى .....
١١٤.....	لحوم الخيل وألبانها .....
١٢٠.....	كلمة القادمين .....
١٢٤.....	مع رجال الصحافة المحلية .....
١٢٦.....	مغادرة بلاد البشكيريين .....
١٢٦.....	إلغاء زيارة قازان .....
١٢٨.....	وداعاً يا أوفا .....
١٣٣.....	بلاد الروس .....
١٣٥.....	نبذة عن روسيا الاتحادية .....
١٣٥.....	الإسلام والمسلمون داخل روسيا الاتحادية .....
١٣٥.....	المقدمة .....
١٣٧.....	الجمهوريات الإسلامية داخل روسيا الاتحادية .....
١٣٧.....	<b>جمهورية الشيشان والأنجوش .....</b>
١٣٧.....	الموقع والمساحة .....

٥.....	كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف .....
١١.....	مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات .....
١٩.....	تعقيب .....
٢١.....	مقلمة .....
٢١.....	مسلمو الاتحاد السوفييتي في عهد القياصرة .....
٢٦.....	البيضة الإسلامية في الاتحاد السوفييتي .....
٣٢.....	قبل الوصول إلى باستوره .....
٣٣.....	المعالم الحرفافية .....
٣٣.....	١- اسم البلد .....
٣٣.....	٢- الموقع والمساحة .....
٣٣.....	٣- المناخ .....
٣٤.....	٤- التضاريس .....
٣٤.....	٥- المدن الرئيسية .....
٣٥.....	٦- عدد السكان .....
٣٧.....	٧- نبذة تاريخية عن تأسيس جمهورية بشمردزستان .....
٣٧.....	٨- تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة .....
٤٧.....	٨- المصادر الرئيسية التي تعتمد عليها موارد الجمهورية .....
٤٧.....	٩- أهمية التجارة في الجمهورية .....
٤٨.....	١٠- نسبة الأمية .....
٤٨.....	نشاط المنظمات غير الإسلامية .....
٤٨.....	٤٨- الباشقرون في الكتب العربية القديمة .....
٦٠.....	٦٠- إلى بلاد الشفق والفق .....
٦٠.....	في مطار أوفا .....
٦٣.....	في مدينة أوفا .....
٦٣.....	لين الفرس وعسل الشجر .....

يتشمسون في الثالثة والنصف مساءً.....	١٧٤	لمحة تاريخية .....
عودة إلى الجولة السياحية .....	١٧٧	فترة البيرسترويكا ، العلاقة مع موسكو
المقبرة التذكارية .....	١٧٨	المشكلات القومية .....
الوفد مع الدليلة في المقبرة التذكارية في لينين		النشيد الوطني الشيشاني .....
قراد .....	١٧٩	النشيد يقول .....
أخبار الحصار .....	١٨٠	الشروط الطبيعية ، الثقافية، الوضع
شهود من المسلمين .....	١٨٢	الاجتماعي .....
يضعون الزهور على قبر الجندي المجهول في		التحديات التي تواجهها هذه الجمهوريات
لينين قراد .....	١٨٣	اليوم .....
إلى قصر الشتاء .....	١٨٦	الخلول .....
قاعات القصر .....	١٨٨	بلاد الروس .....
إلى جامع لينين قراد .....	١٩٠	في مطار لينين قراد .....
جامع لينين قراد .....	١٩٠	في مدينة لينين قراد .....
في مكتبة المسجد .....	١٩١	جولة سياحية .....
الشيخ جعفر نصيبي الله على يمينه المؤلف في		مع شارع موسكو .....
مكتبه بجامع لينين قراد .....	١٩٢	ستون ذهراً في المدينة .....
الصلوة في المسجد .....	١٩٥	منزل الشاعر بوشكين .....
السلام المنظم .....	١٩٧	قصر الصيف .....
في بيت الإمام .....	٢٠٠	قاعة المكتبة .....
في منزل الإمام جعفر نصيبي الله إمام جامع		مثال الصمت .....
لينين قراد .....	٢٠٢	كنيسة النصر .....
في متجر روسي .....	٢٠٢	قصر كاترين الثانية .....
طابور (الإيسكريم) .....	٢٠٥	مسجد الحديقة .....
قبل مغادرة لينين قراد .....	٢٠٦	بحيرة قصر الصيف في لينين قراد ومحاولة
مغادرة لينين قراد .....	٢٠٧	تصوير المسجد الصغير .....
من لينين قراد إلى موسكو .....	٢٠٨	لكل شخص تسعة أمتار .....
صبح الريف الروسي .....	٢١١	الليالي البيضاء .....
على مشارف موسكو .....	٢١٣	يوم العطلة .....
مجلس شؤون الأديان .....	٢١٤	تمشية على الأقدام .....
إلى الكرملين .....	٢١٩	المؤلف في أحد شوارع لينين قراد .....
وقد الرابطة في الساحة الحمراء في موسكو	٢١٩	يوم صيفي .....

يصنون إلى كلمة المؤلف في جامع موسكو .....	٢٤٥	الكنيسة وقباب المسجد .....	٢٢١
المؤلف يتكلم في جامع موسكو.....	٢٤٠	تذكارية في الميدان الأحمر لوفد الرابطة.....	٢٢١
المؤتمر الصحفي الكبير .....	٢٤٢	عند قبر لينين .....	٢٢٢
في المؤتمر الصحفي الكبير في موسكو.....	٢٤٤	في ميدان الكرملين في موسكو .....	٢٢٣
تصريح للإذاعة العربية في موسكو .....	٢٥١	عرى الشيوعية .....	٢٢٥
حفل وداعي : .....	٢٥٢	جرس الكنيسة الكبير في ساحة الكرملين .....	٢٢٦
جلسة المراقبين المسلمين .....	٢٥٣	تحليل أساطير الشيوعية .....	٢٢٧
وحيث لـ مجلة إسلامية .....	٢٥٣	قبر الجندي المجهول .....	٢٢٩
مقادرة الاتحاد السوفييتي .....	٢٥٤	والمدن البطلة .....	٢٢٩
<b>المحتويات.....</b>	<b>٢٥٦</b>	شهد نصر الإسلام .....	٢٣١
		إلى جامع موسكو .....	٢٣٥

  
مطبعة النرجس التجارية  
NARJES PRINTING PRESS  
تلفون : ٢٣١٦٦٥٤ / ٢٣١٦٦٥٣  
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦٣ - الرياض